العاديّات

فصلية تُعنى بشؤون التراث والفِكر تصدرها جمعية العاديّات

عدد مزدوج

خريف وشتاء ٢٠٠٤

الذكرى الثمانون لجمعية العاديّات



هـزّة أرضيـة في حلـب

إنشـاد المـآذن

العاديّـات في عيـون المثقّفين

المسرح في شعر عمر أبو ريشة

توظيـف قلعـة حلـب سياحياً

العاديّات

فصلية تُعنى بشؤون التراث والفكر



تصدرها في حلب جمعية العاديات السورية

بموجب الترخيص رقم ٧٨٧٣/٢٠٠٣

الاشتراك السنوي

سورية: ٣٠٠ ل. س "بدون أجور بريد" - ٤٠٠ مع أجور البريد
الدوائر الرسمية والمؤسسات والهيئات العامة: ١٠٠٠ ل.س
خارج سورية: ٥٠ دولاراً أمريكياً
ثمن النسخة في سورية: ٧٥ ل.س
العدد المزدوج: ١٢٥ ل.س

مجلة العاديات:

- ص. ب ٦٤٧٤
- هاتف وفاكس: ٢٢٦٧٦٧٤ ـ ٢٢٨٥٧٣٠
- البريد الإلكتروني: **Email: adyat@scs-net.org**

شروط النشر في المجلة

يسرّ أسرة تحرير مجلة العاديات أن تستقبل مساهمات أصحاب القلم من الكتاب والمثقفين والباحثين في التراث والفكر.

وترى أسرة التحرير أن تكون المواد المرسلة وفق الشروط الآتية:

- أن تراعي المادة المرسلة قواعد البحث العلمي من حيث الموضوعية والمنهجية وذكر المصادر والمراجع.
- تراجع المواد المرسلة من قبل أسرة التحرير، ولا تعاد المادة إلى صاحبها في حال عدم نشرها.
- تفتح المجلة أبوابها للحوار حول الموضوعات المنشورة.
- ترتيب المواد يخضع لاعتبارات فنية.
- ألا تتجاوز المادة المقدمة للنشر عشرين صفحة، و أن تكون مرفقة بالصور والمخططات الموضحة للموضوع.
- الآراء الواردة في المجلة تمثل وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير.
- يحصل المساهم في المجلة على نسختين مجانيتين من العدد الذي ساهم فيه.
- توجه المراسلات باسم مدير التحرير.

ترسل المواد إلى المجلة عن طريق بريدها الإلكتروني أو على قرص مرن مرفق بنسخة مطبوعة على الورق.

العنوان البريدي: ص. ب ٦٤٧٤ حلب، سورية

أو تسلم باليد في جمعية العاديات، شارع اسكندرون، جانب صالة معاوية

ننتظر مساهمتكم في تحرير هذه المجلة سواء بالكتابة فيها أو تقديم أي اقتراح يفيد في تحسين أدائها، وجعلها لائقة بجمعيتنا العريقة.

التحرير



تلملم العاديّات أطراف ثوبها مَزْهُوّةً وقد بلغت الثمانين. تقف شامخة بأبنائها المخلصين الذين يتوالون جيلاً بعد جيل، وقد رضعوا حليب المحبة، وورثوا الفخر بالعمل الأهلي الذي لا ينتظر مقابلاً وإنما يدفعه إلى العمل المتواصل طاقة يملكها ويهديها إلى وطنه الذي يبادله حُبّاً بحب.

ما الذي يدفع بنا إلى العمل بجهد وإخلاص من غير مقابل مادي مباشر؟.. إنه الحب، ورغبة التواصل الحميم مع الآخرين لبناء أسرة موازية تشكّل بديلاً عما افتقدناه حين ارتفعت المباني وفقدنا الحواري القديمة التي تخرج من حناياها روائح التاريخ بشموخه وألقه وثوانيه.

ما الذي يجعل من يعمل على إصدار هذه المجلة بشكل لائق، من حيث الشكل والمضمون معاً، يواظب على عمله ليل نهار بحيث لا يجد لنفسه متّسعاً كي يتمتّع بالراحة بعد العمل؟

إنه الحب -وحده- الذي يجعل العسير سهلاً، والشقاء نعيماً.

بالحب نعمل لتحصيل الرضى الذاتي من خلال الحصول على رضى الآخرين.. بهم نحيا ونشعر بقيمتنا من خلال المساهمة في دفع الشقاء عنهم أو جعلهم يعيشون حياة أقلّ قساوة مما يظنّون.

إنما نعمل بالحب، وهذا الحب لا ينفيْ أن نبدي تذمّرنا بين حين وآخر من هذا العمل الشاقّ الذي نحبّه، والدليل على ذلك أننا ما نزال نقوم به، ونسعى كي نرتقي في سلّم العمل إلى ما هو أفضل، وهذا يعني إلى ما هو أصعب، وإلى ما يأخذ وقتاً أطول.

في العدد الجديد من مجلة (العاديّات) القديمة-المتجددة، ملف عن مهرجان الجمعية الذي أقامته برعاية السيد وزير الثقافة الدكتور محمود السيد بمناسبة مرور ثمانين عاماً على تأسيسها، وفيه نجد فعاليات أيام ثلاثة أحياها أعضاء الجمعية بفروعها المنتشرة في المحافظات السورية، وباركتها القيادة السياسية بشكل يتضح فيه تلاحم المثقف بالسياسي حين يتعلق الأمر بمحبة الوطن، ومحبة حلب.

كما ضمت المجلة أبحاثاً قيّمة توزّعت موادّها في محاور عدة: الفكر - التراث - الآثار - التاريخ الأدب - وحفلت بأخبار آثارية طازجة.

إنه عدد مزدوج يحاول إنضاج تجربته بعد عددين سابقين صدرا أوّل العام.

ما تزال المجلة تخطو يحدوها الأمل بأن تستقطب أقلام كبار كتّاب الوطن العربي، متخيّرة موضوعات تتميّز بالجدّة والطرافة.

ولا شك أن صدور (العاديّات) في مرحلة غليان إعلامي، وبداية تطورات جديدة وتحولات تشهدها المنطقة، تُعدّ خطوة لا تخلو من مخاطرة يمكن أن يتوّجها النجاح بفضل دعم الباحثين والقرّاء معاً، يداً بيد، بهدف الحرص على جوهر التراث الذي تحكي قصتّه الحواري القديمة.

مدير التحرير

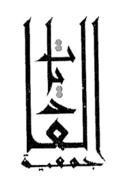


ملف الذكرى الثمانين لجمعية العاديّات ١٩٢٤ - ٢٠٠٤



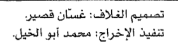


العاديات في عيون المثقفين العرب:

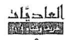


الغلاف الأمامي: مشهد من حلب من خلال مدخل القصر الملكي - صور من مهرجان الذكرى الثمانين لجمعيّة العاديّات

الغلاف الخلفي: الشيخ كامل الغزّي مؤسس جمعية العاديّات برفقة السائحين في صحن الجامع الأموي - صور من العاديات أيام زمان



تصميم الغلاف: غسّان قصير.
تنفيذ الإخراج: محمد أبو الخيل.



أكشاك تولد وأخرى تموت



في شارع الخندق بحلب، بناءٌ جديد حرص صاحبه، أو بالأحرى بلديّة حلب القديمة، على أن يُعاد إنشاؤه على نمط الجزء القديم منه، فيما يتداعى الجزء القديم دون أن تمتدّ إليه يد الترميم أو الصيانة.

إنه مبنىً يُلخّص مشكلة حلب القديمة التي يُريد العالم بأسره أن تبقى شاهداً أثريًّا خالداً، فيما يتقاعس أهلوها عن حمايتها والحفاظ عليها..

لماذا..!؟ سؤالٌ موجّه إلى كلّ الأطراف..

مسابقة العاديات للأبحاث التراثية

جائزة الشيخ كامل الغزي

(١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)

انطلاقاً من دور جمعية العاديات الرائد في مجال الحفاظ على التراث المادي والمعنوي، وانسجاماً مع الجهود المبذولة في دعم الباحثين الذين يهتمون بالتراث الحضاري للمنطقة، يسر جمعية العاديات السورية أن تعلن عن مسابقتها الثانية لجائزة (العاديات) للإبداع والتي تخصص هذا العام للدراسات والأبحاث الجديدة التي لم يسبق نشرها في أي وسيلة إعلامية.

شروط المسابقة

المشاركات في المسابقة مفتوحة للجنسين من سورية والعالم وفق الشروط الآتية:

١- تقديم بحث وفق أصول البحث العلمي يبحث في إحدى القضايا التراثية أو الآثارية في سورية.

٢- يقدم البحث على ثلاث نسخ ويرفق بـ (فلوبي/ ديسك) يحتوي على البحث وعلى تعريف فكري بالباحث.

٣- المشاركة في المسابقة متاحة لكل العرب وغير العرب، على أن يكون صاحب البحث إما من المدينة التي يتحدث عنها، أو كان مقيماً فيها لمدة تتجاوز العام على أقل تقدير، وترفق الوثائق اللازمة مع البحث عند تقديمه.

٤- ألا يكون البحث قد فاز في مسابقة مشابهة أو قُدّم لنيل درجة جامعية، وألا يكون قد سبق نشره.

٥- أن يكون البحث باللغة العربية بحدود ١٥-٢٠ ألف كلمة.

٦- أن يخلو البحث من اسم المشارك أو من الإشارة إليه، وإنما يضع الباحث اسمه وعنوان بحثه وعنوانه في ظرف مستقل مغلق.

٧- لا تلتزم الجمعية بإعادة النصوص فازت أم لم تفز.

٨- يغلق قبول المشاركات في أول رمضان ١٤٢٦ هـ والموافق تشرين الثاني عام ٢٠٠٥ م.

٩- تعلن النتائج في الأسبوع الأخير من شهر ذي الحجة الموافق في آذار ٢٠٠٦ م

١٠- توزع الجوائز في حفل التعارف السنوي الذي تقيمه جمعية العاديات، وتتم دعوة الفائزين لحضور مراسم توزيع الجوائز وتصحبهم في جولة علمية للتعرف على آثار مدينة حلب وأوابدها التاريخية، ويرافق توزيع الجوائز مؤتمر صحفي للتعريف بالفائزين وأبحاثهم.

١١- تحتفظ جمعية العاديات بالأعمال المقدمة للمسابقة وتنشرها في مطبوعاتها وفق ما تراه مناسباً وتقدم مكافأة رمزية للأبحاث المنوه بها والتي لم تفز بالجائزة، وذلك بعد نشرها في مجلة عاديات حلب أو في مطبوعاتها الأخرى.

لجنة التحكيم

تشكل لجنة التحكيم من أربعة متخصصين لقراءة الأعمال وتقييمها وفق معايير البحث العلمي وفرزها إلى ثلاث مراتب، وفي حال تعذر اتفاق المحكمين على تحديد مرتبة بعض النصوص تُحال إلى رئيس جمعية العاديات لاختيار ثلاثة نصوص فائزة من بينها، ويكون قراره نهائياً. تعلن لجنة التحكيم اختيارها للنصوص الفائزة.

الجوائز

تقدم الجوائز بالتعاون مع دائرة الإفتاء بحلب، التي تبرعت للجائزة سنوياً بمبلغ/١٧٥٠٠٠/ ألف ليرة سورية، على الشكل الآتي:

١- ينال صاحب المرتبة الأولى مبلغ /١٠٠,٠٠٠/ل.س مائة ألف ليرة سورية، ومجموعة من مطبوعات جمعية العاديات، ودرع الجمعية، وينال عضوية شرف فيها، إن لم يكن عضواً عاملاً.

٢- ينال صاحب المرتبة الثانية/٥٠,٠٠٠/ ل.س خمسين ألف ليرة سورية، ومجموعة من مطبوعات جمعية العاديات، ودرع الجمعية.

٣- ينال صاحب المرتبة الثالثة /٢٥,٠٠٠/ ل.س خمسة وعشرين ألف ليرة سورية ودرع الجمعية.

ترسل المشاركات إلى

أمانة جائزة الشيخ كامل الغزي للأبحاث التراثية.

مسابقة جمعية العاديات. ص.ب ٦٤٧٤ حلب. سورية.

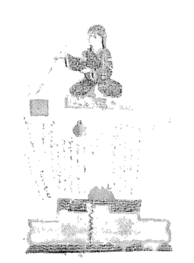
أو تسلّم شخصياً إلى أمانة السر.

للاستفسار هاتف وفاكس: ٢٢٦٧٦٧٤

E-mail: adyat@scs-net.org

عدد خاص

ستُصدِر المجلة عددًا خاصًا عن تاريخ العلوم والتقنية بالتعاوُن مع مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة.

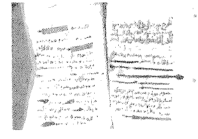


محاور العدد

١- خصائص التراث العلمي العربي الإسلامي، وأهمية إحيائه وإبرازه.

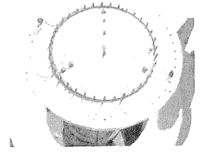
٢- العلوم:

- العلوم البحتة. - العلوم الطبية.
- العلوم الفلكية. - العلوم الحسابية.
- العلوم الزراعية. - العلوم الهندسية.



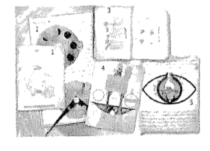
٣- التقنية في الحضارة العربية الإسلامية:

- تقنيات البناء والعمران.
- تقنيات الزراعة والفلاحة والري.
- تقنيات الصناعة والحرفة.
- تقنيات أدوات الحرب والقتال.
- تقنيات الحياة المنزليّة.
- تقنيّات الموسيقا.
- تقنيّات التوقيت.



٤- تجارب إحياء التراث العلمي ونشره:

- مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة - إنكلترا
- معهد التراث العلمي العربي بحلب.



٥- التاريخ الحضاري للمدن الإسلاميّة من خلال تطوّرها التقني والعلمي.

يُرجى من السادة الباحثين تزويد إدارة المجلة بموادهم ضمن المحاور المذكورة مرفقة بالصور والمخططات المناسبة.

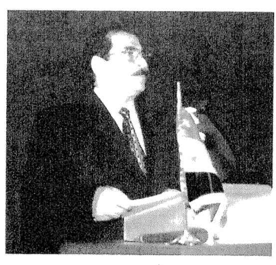
في الذكرى الثمانين لتأسيس جمعية العاديات

جمعية العاديات فاعلية متواصلة.. ونشاط متجدد

بقلم الدكتور محمد زهير مشارقة
نائب رئيس الجمهورية

ثمانية عقود مرت على تأسيس جمعية العاديات في حلب، بمسعى من العالم العامل والمؤرخ الفاضل الشيخ كامل الغزي طيّب الله ثراه، وبرغم مرور هذه الحقبة على تأسيس الجمعية، فإن جمعية العاديات لا تزال في ريعان شبابها وقمة عطائها، تعنى بتراث الأجداد، وتهتم بالآثار التي خلّفها الأسلاف، وتولي تاريخ الأمة العربية كلّ ما هو بحاجة إليه من رعاية وعناية واهتمام.

تتميز جمعية العاديات بفاعليتها المتواصلة، ونشاطها المتجدد، وتبرز أهميتها الخاصة لكونها نموذجاً حياً للعمل الطوعي الأهلي، الذي يرفد الجوانب الأخرى من أعمال العلماء والباحثين في ماضي الأمة ومعالمه المشرقة، التي ظلت تنير الحياة في العالم القديم ردحاً طويلاً من الزمن.



وتستبين لنا أهمية الجمعية كذلك، من خلال تنوع الأنشطة والفعاليات التي تقوم بها، سواء أكان ذلك فيما يعقد من ندوات ويلقى من محاضرات، أم ما يتمّ من زيارات ورحلات اطلاعية يتعرف خلالها المواطن، على وقائع تاريخه التليد وماضيه المجيد، بمشاهدة الآثار الخالدة والأوابد التاريخية في أصقاع شتّى من بلاده.

وتزداد تلك الأنشطة أهمية، في هذه الظروف التي أصبح فيها العرب والمسلمون غرضاً للأعداء، وهدفاً للدوائر الإمبريالية والصهيونية. يشنعون عليهم، ويصفون حضارتهم الرائعة، بأنها تقل عن غيرها، ولا ترقى إلى مستوى غيرها من الحضارات. ويلصقون بهم تهماً باطلة، أقلها "تهمة الإرهاب" ويخرج بعضهم عن طوره من ساسة أو كتاب، فيقع في العرب والمسلمين، بدافع من حقد دفين، فينكر عليهم كلّ فضل. بل إن الأمر بلغ ببعضهم أن يعلنها حرباً صليبية على العرب والمسلمين، كما جرى لجورج بوش في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول لسنة ٢٠٠١... ثم تراجع.

والأمة العربية وهي تواجه تحديات شتى، أحوج ما تكون إلى وعي ذاتها، بالعناية بقضايا تراثها وجوانبه المشرقة. واستنتاج الدروس والعبر من مسلسل الأحداث التي جرت عبر تاريخها المديد. لا لتقف عندها، وتكتفي بالتحدث عنها والفخر بها، وإنما لتجد فيها حافزاً على النهوض، ودافعاً إلى التطور والتقدم، يمكن الجماهير العربية من بناء حاضرٍ زاهرٍ، تتبوأ الأمة من خلاله المكانة التي تليق بها بين أمم الأرض.. وتسهم في تحقيق التقدم والرفاه للإنسانية جمعاء.

شأنها في ذلك كشأنها في العصور الذهبية من أحقابها الغابرة..

وقد نوّه بذلك السيد الرئيس بشار الأسد: في كلمته القيمة الجامعة التي ألقاها في القمة الإسلامية التي عقدت في الدوحة ٢٠٠٠/١١/١٢ إذ دعا العرب والمسلمين إلى الأخذ بأسباب القوة على اختلاف أنواعها، من ثقافية وعلمية وتقنية واقتصادية وسياسية واجتماعية وما إليها، بما يمكنهم من مواجهة التحديات الراهنة وليكون لهم شأن بين الأمم في المجتمع الدولي، واستشهد على ذلك بحديث شريف للرسول الكريم جاء فيه "المؤمن القوي خير وأقرب إلى الله من المؤمن الضعيف".

هذا وإن تحقيق ذلك، يحتاج إلى عمل دؤوب وجهد صادق، وسعي متواصل ليتم بلوغ الغاية، والتوصل إلى تحقيق الأهداف المبتغاة. ورحم الله الشاعر أحمد شوقي إذ قال:

وما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا..

❖ ❖ ❖

تزداد الأوضاع في المنطقة العربية توتراً، بعد احتلال العراق الشقيق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وسقوط بغداد في التاسع من نيسان لعام ٢٠٠٣.

فلقد أدى احتلال العراق إلى تقويض أركان الدولة ومؤسساتها فيه. وإلى نشر الخراب والدمار والفوضى في ربوعه، وإلى انعدام الأمن فيه. وتتفاقم معاناة المواطن العراقي اليومية، إذ تنعدم ضرورات الحياة اليومية لديه أو تندر، وهو الذي عانى ما عانى في ظلّ حصار جائر دام ما يزيد على اثني عشر عاماً.

وتواصل قوات الاحتلال الأمريكي، أعمال القتل والتدمير بصورة يومية، وترتكب المزيد من المجازر، وتقترف الكثير من الجرائم وتروع المواطنين الآمنين في المعتقلات وتسومهم سوء العذاب، وما جرى للمعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب خير شاهد على ذلك. هذا في الوقت الذي يحلو لأركان الإدارة الأمريكية فيه أن يتشدقوا في الحديث عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

إن الذرائع التي تذرع بها الأمريكان لاحتلال العراق، سقطت جميعا، وفي مقدمتها حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل. ثم الادعاء بأنه ينسق مع منظمة القاعدة، أو أنه يشكل تهديدا لدول الجوار...

لقد كان أركان الإدارة الأمريكية، يحلمون بأن يكون احتلال العراق، مقدمة للسيطرة على الثروات النفطية في المنطقة العربية والتحكم بأسعاره عالمياً، ومدخلاً للهيمنة على المنطقة العربية وما جاورها من بلدان العالم الإسلامي من خلال مشروع بوش للشرق الأوسط الكبير. وفاتهم أن بإمكانهم احتلال العراق ولكن ليس باستطاعتهم السيطرة عليه، كما غاب عنهم أن أبناء العراق لا يمكن أن يرضوا بالذل والهوان، أو تقرّ نفوسهم على الضيم، وأن المقاومة العراقية في جميع أرجاء العراق هي حالة وطنية وهي حالة شعبية لدى جماهير العراقيين حتى يجلو المحتلين وينعم العراق بالحرية والاستقلال...

ويبقى موقف سورية من محنة العراق موقفاً ثابتاً، فلقد أكدت سورية في العديد من المناسبات حرصها على وحدة العراق أرضاً وشعباً، وعلى أن يستعيد العراق الشقيق سيادته واستقلاله ودوره في محيطه العربي. ويختار سلطاته التشريعية والتنفيذية بإرادة حرة، ويصنع دستوراً يحقق الطموحات الوطنية لجماهير الشعب فيه.

❖ ❖ ❖

إن الظروف التي نشأت في المنطقة بعد احتلال العراق، استغلتها إسرائيل أبشع استغلال لترتكب المزيد من الجرائم والمجازر بحق الشعب العربي الفلسطيني الأعزل، ولتمعن في حرب الإبادة التي تشنها عليه، لإفراغ الضفة والقطاع من سكانهما واستقدام المزيد من المستوطنين من أنحاء شتى من العالم ليقيموا في المستوطنات التي تبنيها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة. وتعمل -وهي البؤرة الأخطر للإرهاب في العالم- على أن تلبس الحق بالباطل فتصف أعمال المقاومة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني بأنها أعمال إرهاب مع أنها عمل وطني مشروع أقرته الأعراف والمواثيق الدولية، ومارسه كلّ شعب تعرض وطنه للاحتلال..

إن مجرم الحرب شارون لن يفلح في القضاء على روح المقاومة لدى الفلسطينيين، ورغم كل ما يقوم به من قتل واغتيال، وسجن واعتقال، وحصار

وتجويع، وإهانة وإذلال وتدمير للبنى التحتية، وإقامة لجدار الفصل العنصري في الضفة الغربية. فإرادة الصمود والمقاومة لدى جماهير الشعب العربي الفلسطيني أقوى وأمضى من سلاح مجرم الحرب شارون. وأبطال المقاومة ماضون في تصديهم، مستمرون في انتفاضتهم حتى يحرروا الأرض ويستعيدوا الحقوق الوطنية المغتصبة، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة على التراب الوطني الفلسطيني وعاصمتها القدس الشريف معتمدين على دعم الجماهير العربية على امتداد الأرض العربية، ودعم أحرار العالم في مختلف أرجاء المعمورة.

❖ ❖ ❖

وأما سورية فإن جماهير الشعب فيها، تواصل مسيرتها النضالية الظافرة مسيرة الحرية والمحبة والوفاء، للسيد الرئيس بشار الأسد ليقود مسيرتها الظافرة على دروب المجد والسؤدد والعزة القومية، تبدو أكثر تصميماً وإصراراً على العمل الدؤوب الجاد، حتى تحقق تطلعاتها الوطنية وتبلغ غاياتها القومية الكبرى.

إن المكانة الإقليمية والدولية الكبرى التي احتلتها سورية في ظل التصحيح المجيد، تتعزز باستمرار في عصر السيد الرئيس بشار الأسد، بفعل الزيارات التي يقوم بها للبلدان الشقيقة والصديقة، واللقاءات التي يجريها في دمشق مع قادة تلك الدول، بما يخدم قضايانا الوطنية والقومية. وبفضل سعيه الدؤوب لتعزيز التضامن العربي، بما يمكن الأمة العربية من مواجهة التحديات ودرء الأخطار.

ويؤدي إلى توضيح موقفنا من مختلف القضايا، ولاسيما قضية السلام العادل والشامل، المرتكز على قرارات الشرعية الدولية، ومبدأ الأرض مقابل السلام ومرجعية مدريد. إنه السلام الذي يؤدي إلى انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة، إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، واسترجاع الحقوق القومية المغتصبة، ولاسيما الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف، ويعيد إلى كل ذي حق حقه، ويؤدي إلى تحقيق الأمن والاستقرار لجميع الأطراف في المنطقة.

هذا وإن كان ما حققته سورية في ميادين الإصلاح والتطوير والتحديث يبدو عظيماً في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية على قصر المدة التي مضت على انطلاقة مسيرة التطوير والتحديث، فإن الجماهير الشعبية، تأمل بتحقيق المزيد وتطمح إلى بلوغ الكثير، وهي تواصل مسيرتها الظافرة تلك بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد، بهمم عالية وعزائم لا تعرف الونى وثقة واقتدار على تخطي العقبات وتجاوز العوائق، حتى يتم لجماهير الشعب تحقيق ما تصبو إليه على الصعد الوطنية والقومية من تطلعات وآمال كبرى.■

كلمة السيد وزير الثقافة

الدكتور محمود السيد

أحييكم أطيب تحية، وأهنئ جمعية العاديات بمناسبة مرور ثمانين عاماً على تأسيسها، وأشكر لها جهودها على إقامة هذا المهرجان بهذه المناسبة الخيّرة على أرض حلب الشهباء، هذه المدينة المتميزة عراقة ونسباً، وثقافة وأدباً والتي يقول عنها الشاعر عامر رشيد مبيض:

شهباء يا أنشودة المجد القديم العربي
شهباء يا أسطورة مكتوبة بالذهب
يا تاج كل مدينة في مشرق أو مغرب
أم المفاخر كنت أنت على المدى والحقب

لقد كان تأسيس جمعية العاديات في الثاني من شهر آب عام ١٩٢٤ عملاً ثقافياً ذا أهداف أسمى وأنبل من الاهتمام بتراث الآباء والأجداد، وأي أهداف أسمى وأنبل من الاهتمام بتراث الآباء والأجداد؟ وأي أهداف أسمى وأنبل من الاهتمام بتراث الآباء والأجداد والعاديات المنتشرة في ربوع سورية، والتشجيع على زيارتها، والانكباب على دراستها، وتنظيم رحلات لأعضاء الجمعية لزيارة هذه الأماكن وإجراء الدراسات الفنية والتاريخية والأثرية لإظهار العبقرية في القومية العربية في مختلف نواحيها إضافة إلى إلقاء المحاضرات الأثرية



والتاريخية والفنية وإصدار النشرات والكراسات الدورية ومجلة العاديات؟

أليس على الأبناء احترام ما خلّفه لهم الآباء والأجداد في مختلف مناحي الحياة؟ ألم تحدثنا هذه العاديات، هذه الآثار الباقية والخالدة عن أحوال السالفين؟ وهل ثمة أحلى من حديث المنازل؟ ألم تكشف لنا عن عظمة حضارتنا الإنسانية والتي ظهرت لأول مرة في العالم ونمت وتطورات على أرضنا المعطاء؟.

إن اكتشاف آثار الإنسان على أرضنا يؤكد الدور الفاعل لإنسان أمتنا في تطوير الحياة الإنسانية، ويوضح معالم الشخصية القومية التي استمرت متألقة عبر القرون

المتعاقبة، وها هي ذي آثار سورية في كل مكان تدل أيما دلالة على العمق الحضاري لأمتنا، وعلى إنسانية هذه الحضارة الممتدة الجذور في أعماق التاريخ لتقدم الدليل الساطع على طبيعة أمتنا وجبلتها الإنسانية الحضارية وعراقتها وأصالتها وعزة نفوس أبنائها، ولكم هو جميل الانتساب إلى هذا المجد، والأجمل من ذلك الإخلاص له والوفاء لبناته وحماية آثاره الخالدة، ولقد أحسن شاعر حلب الشهباء محمد كمال عندما قال:

هو إرث الأجداد ينطق بالمجـ(*)

ـد ونبل أن يخلص الأبناءُ

يا ابنة العز أنت في صفحة التـ(*)

ـاريخ بدء، فلا يرعك انتهاءُ

كيف أخشى من الزمان افتقاراً

وانتسابي إلى ثراك ثراءُ

أيتها الأخوات، أيها الأخوة:

غني عن البيان أن سورية ما هي إلا رقائق من الحضارات المتعاقبة، ولكم هو رائع أن يكون عمرنا الثقافي يزيد على سبعة آلاف عام، وهاهي ذي آثاره باقية وخالدة على مرّ العصور في تدمر وبصرى وعمريت، وماري وايبلا وأوغاريت، على الرغم من كل الحقب والأهوال التي مرّت بها أمتنا، وها هو ذا الشاعر الكبير عمر أبو ريشة ابن حلب الشهباء يمر بصرح روماني قديم لا يستطيع غير الظن أنه يتحدث عن ماضيه، وقد استرعى انتباهه خلوه من الأشواك وتألق ترابه النظيف فقال في نفسه: إن الموت يقف أمام ضحيته مجروح الكبرياء لأنه لا يستطيع أن يفتك بها أكثر مما يفتك، فلنستمع إليه يقول:

قفي قدمي!! إن هذا المكان

يغيب به المرء عن حسه

رمال وأنقاض صرحٍ هوت

أعاليه تبحث عن أسه

أقلّب طرْفي به ذاهلاً

وأسأل يومي عن أمسه

لقد تعبت منه كفّ الدما(*)

روباتت تخاف أذى لمسه

من هنا كان العمل الذي تضطلع به جمعية العاديات متعدد المرامي والغايات النبيلة حماية للآثار، وحفاظاً على تراث الأمة، وقراءة متأنية للتاريخ وتفسيره في ضوء المنهج العلمي، وهي تضطلع بمهامها في ظلال عولمة متوحشة تروم امحاء الذاتيات الثقافية للأمم والشعوب وبخاصة تلك الأمم ذات البعد الثقافي الضارب الجذور في أعماق التاريخ كتراث أمتنا، ولهذا كان ميراثنا الثقافي مستهدفاً من أعداء الأمة تعتيماً وتشويهاً وتدميراً بغية تفريغه من قيمه وذاكرته.

ولهذا ركز العدو الصهيوني اهتمامه على البيئة المادية للمدلولات الأثرية لما للقى والرقم والرموز والتماثيل من أمارات واضحة غير قابلة للنفي، لعله يتمكن من إثبات مزاعمه، إلا أن كل اللقى والمكتشفات لم يخدم أي منها حججه المزعومة عبر التاريخ، ولم يكن لها أي دليل تاريخي يؤيد تلك الحجج.

وهذا ما أدى إلى إشعال نار الضغينة والكراهية في النفوس المجبولة على الحقد ضد كل نأمة خير في هذه الحياة، فإذا حقدهم تجاه القيم الانسانية والحضارية التي يزخر بها تاريخنا العربي يدفعهم بالتنسيق مع القوات الأمريكية المحتلة في العراق إلى تدمير محتويات المتاحف في

بغداد ونهبها وسرقتها، ذلك لأن متحف بغداد يعد مخزوناً ثقافياً غنياً لذاكرة أمتنا. ومن محتويات هذا المخزن عدة لوحات تمثل ركوع العبرانيين أمام نبوخذ نصر، وهذا ما دفع عتاة المشروع الصهيوني إلى حرقها وتدميرها وسرقة بعضها انطلاقاً من جبلتهم العدوانية العنصرية اللاإنسانية.

ولئن كنا نكبر أيما إكبار المهام الوطنية والقومية والإنسانية التي تضطلع بها جمعية العاديات في ظلال هذا العالم المتبدل والمتغير والمتموج، وهذه العولمة ذات البعد اللاإنساني، والتي يسوء أربابها أن يسود السلام الشامل والعادل في هذا العالم، ويؤرقهم أن يعيش العالم في أمان، وأن يعم الحب في أرجاء المعمورة فإننا لنكبر أيما إكبار أيضاً العمل التطوعي في الجمعية، والذي يدل أيما دلالة على المستوى الراقي والمشرف الذي يتحلى به أعضاؤها، إذ لا شيء أروع ولا أسمى من العمل التطوعي تجاه القضايا الوطنية، ورحم الله أبا ماضي إذ يقول:

أحسن وإن لم تجزَ حتى بالثنا

أي الجزاء الغيث يبغي إن همى؟

مَن ذا يكافئ زهرة فواحة

أو من يثيب البلبل المترنما؟

يا صاح خذ علم المحبة عنهما

إني رأيت الحب علماً قيّما

وإذا كنا نُكبر العمل الطوعي في جمعية العاديات فإننا في الوقت نفسه نقدر عالياً الروح الديمقراطية للنظام الداخلي لهذه الجمعية، والتناغم الجميل بين اختصاصات المنتسبين إليها، فلا أحلى من تعدد ألوان الأزهار وتنوعها في رحاب الرؤية الشاملة لبناء الوطن وعزته وسمو مجده ورفعته.

ونقدر عالياً الفعاليات الثقافية التي تضطلع بها الجمعية وفروعها في المحافظات إذ إن هذه الفعاليات تتسم بالتنوع في مجالاتها، والغنى في مضمونها ومحتوياتها، وبالأهمية في موضوعاتها، وباستقطابها لرجالات الفكر والثقافة المشهود لهم بالكفاية والتميز.

فالشكر الجزيل لجمعية العاديات على ما تضطلع به من مهام نبيلة، وما تقوم به من مناشط راقية، وما تتسم به من ديناميكية في تنفيذ أنشطتها، والتهنئة القلبية لها بمناسبة مرور ثمانين عاماً على تأسيسها، وإلى مزيد من التقدم والنجاح والألق المستمر إلى ما فيه رفعة الوطن ومجد الأمة بقيادة قائد مسيرة التطوير والتحديث السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه عزتها وارتقاؤها.

تحية للمقاومين الشرفاء من أبناء الأمة المدافعين عن كرامتها ضد المحتلّين في فلسطين والعراق.

تحية لروح القائد الخالد حافظ الأسد ولأرواح الشهداء الذين قدّموا أرواحهم فداءً لعزّة الوطن وكبريائه.

تحية الوفاء والولاء لقائد مسيرة التطوير والتحديث السيد الرئيس بشار الأسد رمز شموخ أمتنا وإبائها القومي.

وفّقنا الله جميعًا لما فيه رفعة الوطن ومجد الأمّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته■

كلمة أمين فرع الحزب بمدينة حلب

السيد عبد القادر المصري

في هذه القاعة الجميلة، ونحن نصغي إلى نبض التاريخ العربي المعطر بالمآثر والأمجاد تتردد أصداؤه ونفحاته الخالدات بين أسوار قلعة الشهباء وجنباتها المؤزرة بالشموخ والكبرياء، جمعتنا المناسبة لنحتفل معاً بالذكرى الثمانين لتأسيس (العاديات) أول جمعية أهلية في الوطن العربي الكبير، نهضت منذ النشأة باسم جمعية أصدقاء القلعة والمتحف للدفاع عن الآثار والتراث، ولتقرأ التاريخ قراءة علمية منهجية، وتفسر وقائعه وأحداثه بروح نقدية طابعها الأمانة، وغايتها حماية الأصالة والتشبث بالجذور والتمسك بالهوية والحفاظ على ذاكرة الوطنية والقومية حية متقدة، تستلهم منها الأجيال على مرّ الأيام وتقلب الأحوال انتصارات القادة العظام، وفتوحات العلماء والمفكرين والباحثين الأجلاء الأعلام، وتنهل من إرثهم الحضاري الباقي ما بقي الزمان ليكون منطلقها في مواجهة تحديات العصرنة ومعطيات الحداثة ومخاطر العولمة وصولاً إلى شواطئ المستقبل الآمن المزهر.



ولقد أفسحت لجمعية العاديات عقودها الثمانية، ولا سيما الأخيرة منها، ميداناً واسعاً ومرتقى متقدماً في ساحات الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية. والفضل في هذا عائد إلى جملة من العوامل تتصدرها الجهود الطيبة المثمرة التي تبذلها فروعها المنتشرة في معظم محافظات القطر بمجالس إدارتها المتعاقبة والتنسيق البناء مع القيادات الحزبية والحكومية الحريصة غاية الحرص على تفعيل دور المؤسسات الثقافية الرسمية والأهلية ورفع وتائر أدائها وتعزيز توجهاتها الوطنية والقومية. وكذلك النشاط الطوعي المبدع الذي

يسهم فيه المنتسبون إليها من طليعة الشرائح العلمية والثقافية، العاملون في مجالات التربية والتعليم الجامعي والطب والهندسة والاقتصاد والآثار والآداب والفنون، وسائر العلوم الإنسانية على اختلاف مهامهم ومواقعهم العلمية وتنوع انتماءاتهم وعقائدهم الدينية والسياسية حيث يؤلفون معاً أسرة مجتمعية واحدة يربط الحب بين أفرادها ويصوغون متعاونين صورة مشرفة تستمد قسماتها الوضاءة من وجه سورية المشرق.

ومن الإنصاف القول في هذا المقام: إن ما أحرزته الجمعية من نجاح وتقدير واحترام على الصعيدين المحلي والعربي ليستند أيضاً إلى برنامجها الثقافي الغني، ونهجها الفكري الواضح وتفاعلها الايجابي مع الأحداث والمتغيرات العربية والدولية وتصديها الدامغ لحملات التشويه والتضليل الإعلامية المبنية على ثقافة الحقد والكراهية والعدوان التي تتعرض لها أمتنا العربية المحبة للحق والعدل والسلام بهدف النيل من صمودها، والفت من عزيمتها، وبث روح الفرقة واليأس في نفوس أبنائها، وتحطيم منظومة القيم والمثل العليا التي يؤمن بها شبابها، كي يسهل على أعدائنا، أعداء الوجود والمصير، استلاب إرادتنا وكسر مقاومتنا واغتيال حريتنا والتحكم بمقدراتنا وتدنيس ترابنا إلى أجل غير مسمى.

أيها الأخوة.. أيتها الأخوات..

غير خاف على أحد منا أن الأخطار المحدقة بشعبنا وأمتنا تفرض علينا جميعاً النهوض بمسؤولياتنا الوطنية، والعمل الدؤوب لإنجاز الأهداف الكبرى التي تتجه نحوها مسيرة الإصلاح والبناء، مسيرة التطوير والتحديث التي يقودها السيد الرئيس بشار الأسد لترسيخ صمودنا أمام حملات التهديد التي تشنها الإدارة الأمريكية المتطرفة وحلفاؤها الصهاينة وتجار الحروب الذين لا يقيمون وزناً للمبادئ والأعراف والمواثيق والشرائع الإنسانية والسماوية.

فلنحصن وحدتنا الوطنية ولنعمق الحوار - نحن المثقفين- بين فئات الشعب وشرائحه المختلفة ولنوسع المشاركة الجماهيرية للبحث عن أفضل السبل والوسائل الكفيلة بمعالجة قضايانا وحل مشكلاتنا وتحقيق آمالنا المشروعة.

ختاماً أقدم لكم ولمجلس إدارة الجمعية رئيساً وأعضاء أحر التهاني القلبية، وأشكر للسيد وزير الثقافة حضوره الطيب ورعايته الكريمة لفعاليات هذا الملتقى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته■

كلمة محافظ حلب

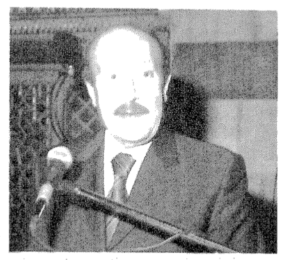
السيد أسامة حامد عدي

يكتسي اللقاء في هذه القاعة العريقة اليوم طابعاً متميزاً، لأنه لقاء يتم للاحتفال بظاهرة تراثية متفردة هي جمعية العاديات، التي ولدت قبل ثمانين عاماً رديفاً للعمل الرسميّ المنظم في حفظ الآثار وصيانتها وتوثيقها. وتأتي أهمية هذه المناسبة من نواح عدة:

أولها: أن جمعية العاديات التي تأسست في حلب عام ١٩٢٤ هي الأولى والأقدم من نوعها على امتداد الوطن العربي ولم تتبعها جمعيات مماثلة إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

وبذلك تكون هذه الجمعية سباقة إلى فهم دور التراث بأشكاله المادية وغير المادية، وأهمية هذا التراث في بلورة شخصية الأمة وإبقائها حية نابضة بالتطور المستند إلى قواعد التاريخ العريق.

وثانيها: أن هذه الجمعية لم تتوقف عند حدود مركز نشأتها في حلب بل هي توسعت على امتداد سورية ليكون لها اليوم خمسة عشر فرعاً في أكثر المدن السورية تعمل بتنسيق ونظام مبرمج.



وثالثها: أن الجمعية لا تعمل في برج عاجيّ منغلق، وإنما هي منفتحة على أكثر المؤسسات الحكومية والفعاليات الأخرى ذات الصلة بأنشطتها الثقافية والتراثية كمديريات الآثار والثقافة والسياحة وجامعة حلب والنقابات العلمية.

وإن محافظة حلب التي تنشط هذه الجمعية بين جنباتها، تنظر بكل التقدير إلى هذا النشاط الذي يأتي مكملاً للمشاريع الحكومية الهادفة إلى المحافظة على تراث الأمة وذاكرة الوطن.

وهكذا نجد الجمعية عضواً في كل اللجان الفاعلة في ميدان العمل التراثي مثل: لجنة حماية حلب القديمة، ولجنة إنجاز الجامع الأموي الكبير بحلب، ولجان تسمية الشوارع وتوثيق التراث المعماري والتراث الثقافي بأنواعه المتعددة. كما نجدها في سائر المؤتمرات والندوات العلمية ذات الطابع التراثي.

إن النخبة التي تضمها جمعية العاديات من باحثين وأكاديميين ورجال فكر وقانون واقتصاد وعمارة وأدب وفن وفعاليات اجتماعية إنما تمثل الوجه الحقيقي للوحدة الوطنية بأجلى معانيها تلك الوحدة التي حرصت سورية على ترسيخها وتأكيدها بتوجيه من السيد الرئيس بشار الأسد وفي إطار مسيرة التطوير والتحديث التي يقودها السيد الرئيس لكي تبقى سورية منبراً للعيش المشترك والحوار الحضاري والتسامح والتثاقف المتبادل.

وهذا كله متجسد في جمعية العاديات وفي أنشطتها المتنوعة الثقافية والاجتماعية والفنية والآثارية، وفي تشكيل الأطياف الواسعة لأعضائها من كافة الأعراق والأديان والمذاهب، يلتقون جميعاً تحت مظلة الوطن بتراثه وواقعه المستنير وآفاق مستقبله المشرق.

وسوف نبقى في محافظة حلب نقدم أقصى ما نستطيع من دعم وعون لهذه الأنشطة الرائدة.■



مدخل مقر جمعية العاديّات بحلب

كلمة سماحة مفتي حلب

الدكتور أحمد بدر الدين حسّون

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الدكتور محمود السيد وزير الثقافة.. من أعطى وزارة الثقافة بعداً ثقافياً حقيقياً.. وأراده القائد أن ينتقل من تربية الأمة إلى ثقافتها. والثقافة أمانة تعني حمل التراث والحفاظ عليه لأنه يمثل شخصية الأمة وهويتها وحضارتها.

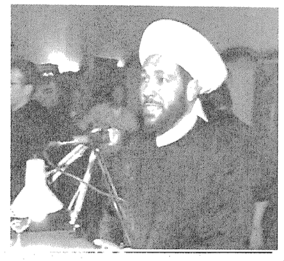
أيها السادة الضيوف: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته جميعاً..

نقف اليوم لنحتفل بمهرجان "العاديات". وهل العاديات مجرد ذكريات..؟

أم مجرد أحجار وهضاب وتلال..؟ أم هي قيم ومُثل وصراط؟ العاديات، هل هي أمم مضت في غابر الأزمان أم هي منهج للمستقبل يوصلك إلى أسمى معراج الحياة؟

قال تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ صدق الله العظيم.

إله وإنسان وأكوان ثلاثية العشق ثلاثية الحياة.



إله خلق الإنسان، وضع فيه سرّ الأكوان، وجعل الأرض خادمة له والسماء.

إننا أيها الأخوة والأخوات..

نلتقي بعد ثمانين عاماً في محراب التقى فيه يوماً إمام مؤرخ علامة هو الشيخ كامل الغزي، مع الأب الجليل جبرائيل رباط، ولفيف من أبناء حلب الغيورين على تراثها. التقوا ليدافعوا عن قلعة حلب.

جاؤوا إلى هذا المكان فوجدوا المسجد قد فارقه محرابه.

كان المسجد يئن ويشتكي ويقول: أين ذهب محرابي؟ وهل يمكن للتراث أن يُسرق ويغادر مكانه؟

في تلك اللحظة ولدت جمعية العاديات، صرخة أمل لأمة لا تتنازل عن أرضها وأجدادها ولاعن عرضها وتاريخها، صرخة تقول للأبناء: ها قد مهدنا لكم الطريق، طريق الإباء، فلا تتخلوا عنه.

الوطن والإنسان... وطن تقرأ بين ثنايا أحجار نمنمات كانت خبيئة في الصدور والأفكار والعقول.

نمنمات تقول للأجيال الجديدة: هذا ما تركناه لكم من آثار وتراث فماذا تتركون لأبنائكم وأحفادكم؟

تدبروا قول الله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾.

نعم أيها الأخوة... إن لقاءنا اليوم ليس لقاء فنياً أو تراثياً فقط، إنه لقاء أمة تمتص من جذورها رحيق أزهارها وثمارها، وأي أمة تفقد جذورها تصبح عاجزة عن إنتاج الثمار والزهور.

وصراعنا اليوم الذي فرضه علينا الآخرون إنما هو صراع جذور والجذور تعني الأرض والتاريخ والفكر.

هاهم الصهاينة في فلسطين يدعون أن أرضنا ملك لهم، وقد حاولوا خلال نصف قرن أن يثبتوا أكاذيبهم، ولكنهم أخفقوا، ولم يتمكنوا رغم الحفريات والتنقيبات من العثور على أي دليل آثاري يؤكد مزاعمهم.

ومن هنا تبرز أهمية جمعية العاديات ودورها في توثيق تراث الأمة والمحافظة على شخصيتها قراءة وآفاق مستقبلها، ولهذا فجمعية العاديات تمثل الوطن بكل أطيافه، إنها ليست جمعية طائفية ولا حزبية ولا عرقية إنها من الوطن لجميع أبناء الوطن.

حلب التي تضمنا اليوم بين ذراعيها... حلب إبراهيم هنانو.. وهو يجاهد ضد المستعمر ويدعو لحرية الوطن..

حلب.. نجتمع اليوم من أجلك.. تلتقي على حبك الأفئدة، وفي رحاب قلعتك الشامخة نحتفل بالذكرى الثمانين لتأسيس هذه الجمعية العريقة.

القلعة المدينة الوطن الأمة.. أرض تربتها مسك، وسماؤها نور.. وهواؤها نسمات الإيمان. فمن تخلى عن أمته لا مسك له ولا نور ولا نسمات.

أيها الأخوة...

في هذه القاعة الكبرى كان لقاؤنا مع وزيرة خارجية أسبانيا ويومها قالت لي: أحسُّ أن جذوري هنا.. ويومها ضحكت وقلت للسيدة وزيرة خارجية أسبانيا: ومن قال لك أن جدك ليس أموياً... فابتسمت وقالت: نعم لدي الإحساس بذلك.

وفي هذه القاعة كان لقاؤنا مع السيد الرئيس الشاب المتألق وملك أسبانيا... وكأني به يقول للملك الأسباني: أنتم في الطرف المقابل من المتوسط ونحن في أوله، ومع ذلك فإن أجدادنا ذهبوا إلى هناك وحملوا حضارتهم المتسامحة وبنوا قصور الحمراء ومسجد قرطبة العظيم. حضارة لم تلغ الآخر ولم تهدم كنيسة، بل عاش الجميع في ظلالها أخوة ومحبة وسلاماً.

وهذه جمعية العاديات بروحها الحضارية الرفيعة تمثل ذلك الوجه الوطني الجميل الذي يجمع شمل أبناء الوطن في أبهى صور الوحدة الوطنية.

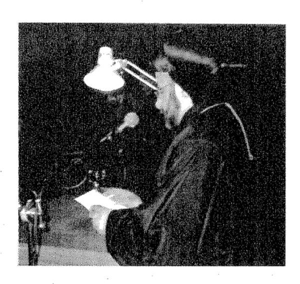
هنيئاً لجمعية العاديات ذكراها الثمانين، هنيئاً لها في مركزها الأم حلب وفروعها المنتشرة في المدن السورية والجميع يعملون في جو من الفهم المشترك والغيرة على تراث الأمة وتاريخ الوطن.■

كلمة رئيس طائفة السريان الأرثوذكس بحلب

المطران يوحنا إبراهيم

١- الذكرى الثمانون لتأسيس جمعية العاديات في حلب، تنقلنا اليوم إلى أجواء متعددة، لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها والتحدث عنها في وقت قصير، بدءاً من فكرة تأسيس الجمعية سنة ١٩٢٤، لأسباب كثيرة منها: أنها جمعت بين شخصيات كان لها في المجتمع الحلبي الدور المميز في العلم والأدب والتاريخ، ولم يخطر على بال أحد من مؤسسيها آنئذ، التفكير بالانتماء الديني أو المذهبي، فالوطنية والمواطنة كانت قد صهرتهم في بوتقة واحدة، ووحدت قلوبهم وجهودهم، وجمعت بين أفكارهم ليلتفتوا إلى أحياء جزء مهم من تراث هذا البلد الغالي الذي هو بالتالي تراث الجميع.

بادئ ذي بدء جمعتهم صداقة، فأرادوا أن تلتف الصداقة حول قلعة حلب الشامخة، ومتحفها حاضن التحف الأثرية وبمناسبة الحديث عن تراثنا وآثارنا كما هو ماثل اليوم، أرجو أن



نحافظ على قدمها دون تشويهه أثناء النقل والترميم، لأن الآثار التي تسلمناها من الماضي السحيق هي أمانة في أعناقنا. كيف نستطيع أن نتخيل في أجواء الفوضى والخوف، والانقسام، والاضطراب، وعدم الأمان، التي زرعها الانتداب الفرنسي على سورية يومئذ أن يتحسس بعض وجوه هذه المدينة الحبيبة وعلمائها، وأدبائها ومفكريها، انطلاقاً من شعورهم الوطني، بفكرة حماية جزء

مهم من رموز آثارنا المتمثلة بقلعة حلب الصامدة ومتحفها المعروف، ولهذا إطلاق اسم جمعية أصدقاء القلعة والمتحف، على هذه الجمعية، كان أول انطلاقة لتذكية الشعور الوطني ضد المحتل.

٢- وعندما اقترح المرحوم الشيخ كامل الغزي إطلاق جمعية العاديات، بدل جمعية أصدقاء القلعة والمتحف، أصاب كبد الحقيقة. والعاديات كما تعلمون جمع كلمة عادي أي ما هو منسوب إلى قوم عاد، الوارد ذكرهم في القرآن الكريم: عاد إرم ذات العماد في هذا الشرق كل الأقوام والشعوب والإثنيات، أخطأت عندما قضت على ماضيها بسبب ما كان فيه من أديان متعددة متنوعة. هكذا فعلت المسيحية التي حفرت قبراً بيديها ودفنت فيه كل ما له علاقة بالتاريخ السابق للمسيحية، دون أن تدرك أن هذا الماضي ليس ملكاً خاصاً لأفراد أو جماعات، يحركهم مزاج فيفعلون ما يشاؤون لغاية طمس الحقائق.

فالعودة إلى عاد لا يعني بالضرورة العودة إلى الماضي وإنكار الحاضر، أو عدم التفكير بالمستقبل، بل يعني ربط الماضي بالحاضر لنبني مستقبلاً مميزاً للأجيال.والباحثون يدركون ويعلمون أنه ليس في الكتب العربية أو غيرها مما كتبه القدماء كتاب واف بتاريخ العرب قبل الإسلام لماذا؟

يقول جرجي زيدان: الموجود بين أيدينا من آثار قلمية إنما هو نتف متفرقة يجتمع منها تاريخ ناقص. ويشير إلى أنه لو أتيح كشف الماضي ودرسه، لانجلى تاريخ العرب القديم انجلاء حسناً، كما انجلى تاريخ الفراعنة وتاريخ بابل وآشور. ربما كان هذا تفكير الشيخ الغزي عندما أراد أن يعيد إلى أذهاننا ذكرى قبائل عاشت وعرفت في المنطقة بأسماء متنوعة مثل: عاد وثمود.

٣- وانتساب عدد كبير من محبي التراث والمهتمين بشؤون الآثار في حلب ثم في باقي فروع الجمعية في سورية، وتعاقب رؤساء على مجلس إدارة العاديات بأسمائها الواردة في سجلات الجمعية يؤكد على أن الوطن والإنسان، كانا في قائمة أولويات أولئك المهتمين بشؤون التراث والآثار، والوطن يوحد ولا يفرق، والوطن يجمع ولا يمزق، والوطن يحتوي الكل من أجل الكل، فإلى جانب الشيخ كامل الغزي يأتي الأب جبرائيل رباط ومع العلامة راغب الطباخ يجلس الدكتور أدولف بوخه، كيف لا والجمعية تؤمن إيماناً صادقاً بأن الدين لله والوطن للجميع، وهكذا نرى كوكبة من شخصيات حلب تتلاحم فيها الأيادي وتتشابك مسلمون ومسيحيون يعملون معاً ويجاهدون من أجل تحرير البلاد وتسفك دماؤهم الزكية في تراب هذا الوطن من أجل عزه وسؤدده ورفع شأنه عالياً والكل يتبارى في كيفية دفع عجلة هذه الجمعية إلى الأمام، لأن هدف الجمعية وغاية العمل فيها، هو أن يرتقي الإنسان

بوعيه، ويدرك معنى ارتباطه بالأرض، بكل ما فيها من كنوز وغنى، لأنها ملك الإنسان المنتمي إليها. وهذا التوجه يدحض الفكر المتسرب والمستورد، والذي استغله المحتلون لأراضينا لبث روح التفرقة بين أبناء البلد الواحد.

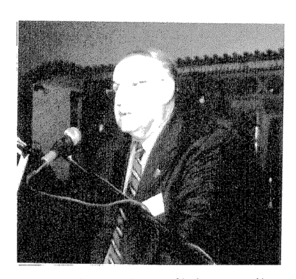
٤- فسورية كانت أبداً بلد العيش المشترك، والإخاء الديني وصفحات تاريخها قبل دخول المستعمرين، تشهد على أن الوحدة الوطنية في حاراتنا وأزقتنا وبيوتنا وأسواقنا كانت تمارس يومياً من خلال العلاقات المتينة التي ربطت بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبخاصة في الأعياد والمناسبات في الأفراح والأتراح وجاءت جمعية العاديات لتجمع تحت ظلالها وجوهاً تمثل حضارة بلدنا بكل ما فيها من إيمان وعمل ومحبة.

٥- ولم تكتف جمعية العاديات ببث روح المواطنة في نفوس المنتسبين إليها، أو بإعادة ذكريات الماضي السحيق الذي هو جزء من تراثنا المشترك، وتاريخنا الذي نعتز ونفتخر، أو التأكيد على أن رسالة سورية إلى العالم، كانت أن حوار الحياة الذي تعيشه سورية لقرون طويلة ومازالت هي النموذج الأمثل للتخلص من الصراعات والاقتتال الذي يقع في أكثر من منطقة في العالم، دون أي مبرر، وإنما أخذت على عاتقها بدءاً من عام ١٩٥٠عندما استعادت نشاطها، إحياء الجانب الفكري في الوطن، فعملت على إعادة إصدار مجلة العاديات، وهاهي تعود اليوم إلى الحياة مرة أخرى بعد انقطاع طويل، وخططت لبرامج متتالية لزيارة المناطق الأثرية والمواقع التاريخية، وساهمت في قطع الطريق أمام تجارة الآثار وكان لها الدور الفعال في تأسيس معهد التراث العلمي العربي، وهذا تأكيد جديد على اهتمامها بإحياء هذا التراث، وتشجيعها بنشر الكتب والدراسات خاصة موسوعة خير الدين الأسدي. وموضوع النشر موضوع واسع، أرجو أن ينال اهتمام كل المسؤولين في هذا البلد، فخبرتي المتواضعة تدل على أن ما يصدر من كتب اليوم في الوطن العربي عامة، وفي سورية بشكل خاص وعدد القراء العرب لا يوحي بأن الفكر يأخذ دوره الهام في حياة الوطن والإنسان، عسى أن تكون جمعية العاديات واحدة من الحوافز على الاهتمام بعالم النشر، ودفع المواطنين إلى القراءة التي فيها صقل للنفوس وغذاء للعقل. كل هذه النشاطات جعلت لجمعية العاديات وزناً كبيراً بين بقية الجمعيات.فالثمانون من عمر هذه الجمعية هو بمثابة صرح كبير بناه المخلصون من أبناء هذا الوطن. فالراحلون غادروا الحياة بعد أن طبعوا بصمة في صفحاتها ستبقى خالدة والباقون على قيد الحياة تسلموا الأمانة ويجاهدون من أجل رفع شأن الجمعية إلى ما فيه خير الوطن والمواطن.■

كلمة رئيس مجلس إدارة جمعية العاديّات

الأستاذ محمد قجة

تحتفل جمعية العاديات بمرور ثمانين عاماً على تأسيسها عام ١٩٢٤. حادث سطو على الآثار كان السبب المباشر في ولادة الجمعية. فلقد قام الجنرال الفرنسي فيغان بتفكيك المحراب الخشبي الجميل من الجامع الصغير في قلعة حلب. ويعود إلى العصر الزنكي . وقام بنقل المحراب إلى بيته في فرنسا، إنه أمر غير مستغرب، فالذي يسرق بلداً بأكمله لا يصعب عليه سرقة محراب في جامع صغير. هذا الحادث غير الحضاري دفع جماعة من أبناء المدينة إلى الدفاع عن تراثهم وآثارهم، فأسس الشيخ كامل الغزي جمعية أصدقاء القلعة عام ١٩٢٤، وتطور اسمها إلى أصدقاء القلعة والمتحف عام ١٩٢٦ ليستقر على تسمية مختصرة معبرة عام ١٩٣٠ هي تسمية "جمعية العاديات". ووضعت لنفسها نظاماً أساسياً من اثنتي عشرة مادة توضح أهدافها في حماية التراث. كما توضح هيكلية عملها، بأنها جمعية أهلية تعمل طوعاً وتبرعاً، وتمثل كل أطياف المواطنين بغض النظر عن أعراقهم



ومذاهبهم وطوائفهم وتكوينهم السياسي. وقد عكس مجلس الإدارة الأول المؤلف من خمسة عشر عضواً هذه الطبيعة الممثلة للوحدة الوطنية التي عرفتها مدينة حلب على مرّ تاريخها. وحلب جزء من هذا الوطن الكبير بأبعاده الحضارية.وهي بحكم قدمها وعراقتها تمثل الوجه الوطني الحضاري بين سائر المدن العربية، بل مدن العالم الإسلامي، لأنها أول مدينة في التاريخ لا تزال مأهولة، وعرفت عشرات الحضارات والأعراق التي امتزجت فيها وأخذت شكلها النهائي مع الحضارة

العربيـة المعروفـة بتسامحها وعمقهـا وأبعادها الإنسانية المرنة.

وتمثـل جمعيـة العاديـات امتـداداً طبيعيـاً لمنظمـات العمـل الأهلـي العـام الـذي عرفـه تاريخنـا العـربي، هـذه المنظمات التي تمثلها مؤسسات الأوقاف والرباطات والأديرة والتجمعات الحرفية والعلمية والنوادي والنقابات، إلى جانب الاستفادة من تجارب العمل الأهلي لدى المجتمعات الأخرى. وجاء تأسيس جمعية العاديات استجابة طوعية لرغبة نخبة من المـواطنين الـذين يغـارون علـى تـراث بلدهم. ومن هنا عرفت الجمعية خلال ثمانين عاماً من عمرها أعلاماً ورجالات تركوا بصماتهم في ميادين العمل الوطني والفكـري والثقـافي والتراثـي والفـني والاجتمـاعي، ونتحـدث عـن بعـض الـراحلين منـهم ففـي مجـال البحـوث والدراسات والتاريخ تبرز أسماء الشيخ كامل الغزي والشيخ محمد راغب الطباخ المؤرخين، والأب جبرائيل رباط والعلامة خير الدين الأسدي والشيخ محمد الحكيم مفتي حلب سابقاً والأديب سامي الكيالي صـاحب مجلـة الحـديث وعبـد الوهـاب طلـس، وفـؤاد عنتـابي. وفي مجـال الدراسـات القانونيـة والتشـريعية: عبـد الوهاب حومد وأسعد الكوراني وجبرائيل غزال والدكتور عبد الرحمن الكواكبي وعزة ضاحي (من حمص).

وفي مجـال العمـل الاجتمـاعي والاعلامي العام: ادولف بوخه وعبد الله يوركي حلاق، وصبحي مظلوم، ورياض الجابري، وسامي سحلول (من حمص).

وفي مجـال العمـل الـوطني والـسياسي: الـدكتور عبـد الـرحمن الكيـالي، وعلـي رضـا. وفي المجـال الفـني: فـاتح المـدرس وألفريد بخـاش ونبيه قطايه، واحسان الشيط. وفي مجال الدراسـات الآثاريـة: محمد أسعد طلس وصبحي الصواف، وجبرائيل سعادة، وراؤول فيتالي (من اللاذقية)، وعبد القادر عياش (من دير الزور). وفي المجال المعماري: عبد المنعم حربلي وصالح بساطة ومصطفى حكمت اليازجي وهناك أعداد كبيرة من أعلام الباحثين والفنانين مازالوا يثرون الجمعية بعطائهم المستمر، مدّ الله في أعمارهم.

لجمعية العاديات اليوم خمسة عشر فرعـاً موزعـة علـى المـدن السـورية في: اللاذقيـة وجبلـة وطرطـوس، وادلـب، وحمص وحماه وسلمية و مصياف، ودرعا والسويداء، والرقة ودير الزور والميادين، والحسكة، وتعمل هذه الفروع بتنسيق مع المقـر الأم في حلـب في مجـال العمـل الثقـافي وحمايـة الآثـار والـرحلات والزيارات والأنشطة الاجتماعية.

كما تتعاون الجمعية مع الجهات ذات الـصلة بأنـشطتها كالجامعـات ومعهـد التـراث ومـديريات الآثـار والـسياحة والثقافة والنقابات العلمية، والجمعيات العربية المماثلة.

يقـوم عمـل الجمعيـة علـى اللجـان المتخصصة في مجالات التراث والآثار والثقافـة والإعـلام والـرحلات وحمايـة البيئة والنشاط الاجتماعي والفني، ويتم ذلـك مـن خـلال محاضـرات أسـبوعية

وندوات شهرية ومؤتمرات سنوية وزيارات آثارية ميدانية ورحلات محلية وخارجية، ويتم رصد تلك الأنشطة بالتوثيق المكتوب والمسموع والمرئي. وتصدر الجمعية اليوم مجلة فصلية باسم مجلة العاديات إلى جانب الكتاب السنوي الكبير المحكم بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب.كما أصبح للجمعية موقع على الإنترنت، وهي بصدد توثيق ذاكرتها التراثية وأعلامها من خلال متحف خاص بهذا الموضوع.

إن استمرار الجمعية في عملها الريادي لمدة ثمانين عاماً يعود إلى آلية العمل الديموقراطي والانتخابات التي تجري كل عامين ويتم عبرها اختيار مجلس يمثل الهيئة العامة ويمارس عمله على هذا الأساس، كما أن طبيعة العمل الأهلي الطوعي تفرز آلية أخرى تتوخى خدمة الوطن من غير انتظار مكافأة أو مرتب أو لقاء مادي. إلى جانب ذلك فإن الهيئة العامة للجمعية في حلب والفروع كافة تمثل نخبة من مثقفي البلاد المهتمين بتراث الأمة وخدمة الوطن والمحافظة على هويته وشخصيته القومية والحضارية. وانطلاقاً من ذلك كله يتم الاحتفال هذا الأسبوع بمرور ثمانين عاماً على تأسيس الجمعية، الأقدم من نوعها في الوطن العربي، وسوف يتم خلال الاحتفال تكريم قدامى الأعضاء، وتوزيع الجوائز على الفائزين بمسابقة الشيخ كامل الغزي للأعمال التراثية. تلك المسابقة التي تنظمها الجمعية وتوزع جوائزها بالتعاون مع مفتي حلب.

إن المرحلة الراهنة التي يعيشها الوطن العربي في إطار الهجمة على الثقافة العربية تقتضي منا توحيد الجهود للحفاظ على تراثنا الحضاري والثقافي الذي تريد العولمة الظالمة ابتلاعه وإلغاءه وإخراجه من مسيرة التاريخ. ويأتي دور المنظمات الأهلية في هذا المقام رديفاً طبيعياً لكل الجهود التي تبذلها المؤسسات الأكاديمية والثقافية والسياحية والفنية.

إننا في احتفالنا هذا نتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد الدكتور محمود السيد وزير الثقافة الذي تفضل برعاية المهرجان وتقديم العون لإنجاحه. كما نشكر السيد محافظ حلب الذي يدعم أنشطة الجمعية باستمرار وبكل الأشكال الممكنة.

وإننا نعمل بتنسيق مع مكتب الإعداد في فرع الحزب، ولا يسعنا إلا تقديم الشكر لأمانة الفرع ومكتب الإعداد.

كما نشكر جامعة حلب رئاسة وإدارات وكليات ومعاهد. للتعاون الوثيق بيننا وبين هذا الصرح الأكاديمي العملاق.

كما ننوه بالعلاقات الوطيدة بين جمعيتنا ومديرية الشؤون الاجتماعية ومديرية الآثار والمتاحف والثقافة والسياحة والنقابات العلمية وبخاصة نقابة المهندسين.

وسوف تبقى الجمعية وفية لتوجيهات السيد الرئيس بشار الأسد في حفظ التراث والمحافظة على شخصية الأمة وهوية الوطن.■

كلمة رئيس فرع اللاذقية

الدكتور صفوان شريتح

شرف كبير أن تكلفنا الجمعية الأم، هذه الجدة المتجددة شباباً، الصبية المعمرة ولا تشيخ، المنبعثة دائماً من رماد الحرب، أكثر صلابة وتصميماً، أن تكلفنا بكلمة الفروع، باعتبارنا بكر أبكارها وتتكاثر، أشد عزماً ونضارة، دون أن يضيرنا أخ أصغر بكر الإخوة والأبناء، فكبيرنا يخدم صغيرنا، على ما يقال، ويبهج قلب الأم والإخوة الكبار..

شرف الكلمة مسؤولية عظمى، قد نقصّر فيها عن احتضان طموحات الأخوة الآخرين، ونوازعهم، واستشرافاتهم المستقبلية، فيشفع لنا أننا حاولنا صادقين، وأن سعادتنا الغامرة ببلوغ جدتنا الثمانين.. قد تكون طغت على بعض ما يجب أن يذكر أو يقال.. فها هي وثمانون حولاً.. ولم تسأم..!

كما في بدايات الزمن دائماً، يتعلق الإنسان بما يحيط به في الطبيعة، من حجر وشجر وأشياء.. وتتوطد صلاته بها وانتماؤه إليها، فتصبح جزءاً من حياته



وتاريخه، يحافظ عليها، ويعتني بها ويقيم لها الطقوس، فتكون له جذوراً في المكان، ويصبح المكان منازل ومعابد ومدافن، بدونها يشعر الإنسان أنه يتيم ضائع غريب..

هكذا تماماً، وكما نشأت جمعيتنا الأم "كأصدقاء القلعة والمتحف" نشأنا في اللاذقية كـ "رابطة أصدقاء أوغاريت".. وذلك في إطار النادي الموسيقي في اللاذقية، وهو أعرق النوادي الفنية والاجتماعية في محافظة اللاذقية. تأسس

في أواخر العام ١٩٤٥ وكان بين المؤسسين العلاّمة المرحوم جبرائيل سعادة الذي نعرفه ونعرف مناقبه جميعاً.

كانت للنادي الموسيقي عدة لجان بينها لجنة التاريخ والآثار، ومن رحم هذه اللجنة انبثقت "رابطة أصدقاء أوغاريت" في عام ١٩٥٧ وعلى رأسها المرحوم جبرائيل سعادة.

قامت الرابطة بحفريات في ساحة الشيخ ضاهر مقابل مدخل ثانوية جول جمال. وعثرت على مقبرة هلنستية فيها تابوت محفوظ الآن في متحف طرطوس. لاقت الرابطة اهتماماً جدياً من المسؤولين، حيث وجّه مدير الآثار العام الدكتور سليم عبد الحق إلى الرابطة في ٢٣ تموز ١٩٥٧ من دمشق كتاباً جاء فيه:

((إلى رئيس رابطة أصدقاء أوغاريت وأعضائها المحترمين باللاذقية

يسر مديرية الآثار وهي ترى ما تبذلونه من جهود طيبة في خدمة الآثار السورية والدعاية لها والحفاظ عليها، أن تثني على جهودكم النبيلة، وتقدم لكم بالغ شكرها، وترجو لرابطتكم الزاهرة كل تقدم ونجاح)).

كان يقوم على إعداد النشرة، أربعة من أعضاء الرابطة هم: جبرائيل سعادة، راوول فيتالي، قاسم شواف وأحمد درويش أحمد، توفي الاثنان الأولان وانتقل الثالث للإقامة في باريس، ولا يزال الرابع بيننا مواظباً ومقيماً على العهد، وقد أتحفنا هذا العام بكتاب قيّم عنوانه "نصوص أوغاريتية".

في هذا السياق، لابد من إيراد المأثرة العظيمة لرابطة أصدقاء أوغاريت!

كانت أهمية أوغاريت قد انتشرت في العالم وأصبحت معروفة في المراكز الأكاديمية العالمية، وبدأت نصوصها تظهر دورياً باللغة اللاتينية في نشرة متخصصة اسمها "أوغاريتيكا".

في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول عام ١٩٦٠ كان أعضاء الرابطة الأربعة المذكورون مجتمعين لتحضير نشرتهم "صوت الماضي" عندما بسط أحدهم ما كان بين يديه من نصوص أوغاريتية باللاتينية، مقترحاً حل رموزها وترجمتها إلى العربية. وبدؤوا في عقد الاجتماعات المتتالية للرجوع إلى أبجدية رأس شمرا وإلى النصوص الأوغاريتية الأصلية للانتقال إلى الأبجدية العربية.. واكتشفوا شبهاً كبيراً بين لغة أوغاريت واللغة العربية. كان المرحوم جبرائيل سعادة يقول لنا في سنواته الأخيرة إنهم أحصوا ثمانمائة كلمة مشتركة بين اللغتين الأوغاريتية والعربية.

عام ١٩٦٤- ١٩٦٥ توقفت الرابطة عن نشاطاتها بسبب ترك أعضائها للنادي الموسيقي المذكور، وبدأ البحث عن جمعية للعاديات، وبدأ معه مخاض عسير.. وفشلت كل الجهود للحصول على ترخيص لجمعية عاديات مستقلة في اللاذقية.. وأتت النجدة من الجمعية الأم في حلب التي تبنت الموضوع، وطلبت من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الموافقة على افتتاح فروع لها في سائر

المحافظات السورية. وفي ١٩٧٧/٦/١٣ وافقت الوزارة ومديرية الشؤون الاجتماعية والمحافظة على افتتاح فرع اللاذقية، وعلى أعضاء مجلس الإدارة في ذلك الحين.

وبدأت مسيرة الألف ميل.. كان فرع اللاذقية بلا مقر، فحول المرحوم جبرائيل سعادة منزله الخاص إلى مقر تلقى فيه المحاضرات وتنظم الندوات ويجتمع فيه أعضاء مجلس الإدارة، إلى أن قيض لنا الدعم الكريم من محافظ اللاذقية السابق الأستاذ عبد المنعم حموي الذي سعى شخصياً لدى المسؤولين في دمشق، وحصل لنا على الموافقة على استئجار شقة صغيرة في إحدى بنايات بلدية اللاذقية، حيث لا نزال منذ عام ١٩٩٥. وهذه مناسبة لنكرر له التحية والشكر من على هذا المنبر.

في هذه الأثناء كانت الفروع تتأسس في مختلف المدن الرئيسية، وهي تغطي الآن كل المحافظات السورية، وهو موضع اعتزازنا الكبير.

كان هذا التوسع الأفقي، في مرحلة التأسيس، ضروريا لبناء قواعد الانطلاق إلى العمق فالجمعية، كما يكرر رئيسنا الأستاذ محمد قجة، هي جزء من المجتمع الأهلي الذي نعمل فيه وعليه، لنشر الاهتمام والوعي بالتراث الحضاري السوري العميق في مختلف تنويعاته الآثارية والتاريخية والفنية والاجتماعية، كرافعة لبناء المستقبل، وتوسيع القاعدة الاجتماعية للمهتمين بالشأن العام وتجنيدهم للانخراط في العمل الأهلي، لخلق مجتمع حي متطور، يواكب التاريخ ولا يبقى خارجه، ويرصد إبداعات الأفراد ويشجعها، ويحتضن الأنشطة والبحوث الفكرية والعلمية، لرفد العمل الرسمي والمؤسساتي بدم جديد متجدد لا غنى عنه في مسيرة التحديث والنهضة.

إلى هذا الجانب، وفي سبيل تحقيق غاياته، لابد من دعم وترسيخ التعاون مع الجمعيات الأهلية الأخرى في مجالات البيئة وتوعية المرأة وتحريرها، وحماية الطفولة ونشر الوعي الصحي، مما يؤمن للجمعية حضوراً فعالاً في مختلف أنسجة المجتمع وشرائحه.

لكي تتحقق هذه الأهداف النبيلة، وتكون الجمعية بمختلف فروعها فعالة ومفيدة، لابد من تحويلها أولاً إلى كتلة موحدة منسجمة متعارفة، ومرتبطة ببعضها البعض بأقنية تؤمن لكل فرع الاطلاع على ما يجري في الفرع الآخر، ليستفيد من تجاربه بهدف التنسيق والتعاون للوصول إلى مستوى راقٍ من الانسجام والتناغم. ويبدو لنا في هذا الإطار، أن الاتفاق على مؤتمر سنوي للفروع يعقد كل عام في أحدها بالتناوب سيكون من شأنه زيادة التعارف والاحتكاك بين أعضاء الجمعية، لدفع العمل المشترك دائماً إلى الأمام.

في الختام، وباسمكم جميعاً الأم في حلب في عيدها الثمانين ونهنئها من القلب ونتمنى لها الاستمرار في تأدية رسالتها الحضارية، ماحضين إياها إخلاصنا ودعمنا، وقبل كل شيء، تقديرنا ومحبتنا.■

مهرجان الذكرى الثمانين لجمعية العاديَّات

١٩٢٤-٢٠٠٤

جمال طحان*



برعاية السيد الدكتور محمود السيد وزير الثقافة أحيت جمعية العاديات على مدى ثلاثة أيام مهرجانها في الذكرى الثمانين لتأسيسها ودارت فعالياته في: قاعة العرش في قلعة حلب، دار الكتب الوطنية، صالة بلاد الشام (فندق شهباء الشام)، صالة الأسد للفنون الجميلة، خان الشونة.

---

* باحث يكتب الشعر والقصة، أمين سر الجمعية.

معارض

افتتح السيد وزير الثقافة الدكتور محمود السيد وصحبه من كبار الشخصيات الثقافية والفنية والاجتماعية معرض الصور والوثائق الذي أقامته الجمعية بالتعاون مع (صالة بلاد الشام - فندق شهباء الشام) وشاركت فيه جهات متعدّدة من فروع جمعية العاديّات في سورية بمجموعات من الصور التي التقطها فنانون، فقدم فرع إدلب صوراً تمثل القرى الطينية. وقدم فرع اللاذقية مجموعة رائعة عن أوغاريت، فيما قدم فرع الرقة صوراً قديمة عن آثارها، وكذلك فرع السويداء الذي ساهم بصور تمثل العادات الشعبية والمناطق الأثرية ولم يتخلف فرعا حمص وحماه فقدما صوراً قديمة للمدينتين.

وكان عنوان المعرض (سير وصور) حيث عرضت لأول مرة صور ضوئية تعود إلى أكثر من خمسين عاماً عن نشاطات جمعية العاديات ظهر فيها الرواد الأوائل في رحلاتهم.



وقد ساهم ورثة أولئك الرواد بما لديهم من صور أو وثائق حيث قدم الأستاذ يحيى الطباخ صوراً ومراسلات تعود إلى والده الشيخ محمد راغب الطباخ كان قد تبادلها مع كبار علماء عصره كما قدم الأستاذ حسني صاصيلا عن ورثة الشيخ كامل الغزي وثائق هامة تغطي نشاط الغزي الثقافي والاجتماعي. وكان من ضمن الوثائق المعروضة رسالة بخط الشيخ كامل الغزي تدعو إلى الاجتماع الذي تقرر فيه وضع النظام الأساسي للجمعية، فيما قدمت السيدة مها كيالي مجموعة صور نادرة لجدها المرحوم عبد الرحمن الكيالي. وكذلك قدمت أسرة المرحوم صبحي صواف بعض الصور. وكان للسيدة ليلى شيط مساهمة مميزة حيث عرضت مجموعة رائعة من الصور التي التقطها والدها المرحوم الدكتور إحسان شيط لمعالم حلب الأثرية.

كما كان لنشاط العاديات من حفلات ورحلات داخلية وخارجية نصيب من مجموعة الصور التي أظهرت الوجوه المتنوعة للجمعية.

كما تم عرض مخطوطات وطبعات أولى لكتب الشيخ راغب الطباخ، وكامل الغزي ومجلة العاديات التي صدرت في الثلاثينات في القرن الماضي إضافة إلى كتب حديثة عن حلب ومعالمها الأثرية وأعلامها للأساتذة فؤاد هلال وعبد الله حجار وعامر رشيد مبيض والدكتورة نجوى عثمان والمرحوم محمد فؤاد عينتابي وموسوعة حلب المقارنة للعلامة خير الدين الأسدي.

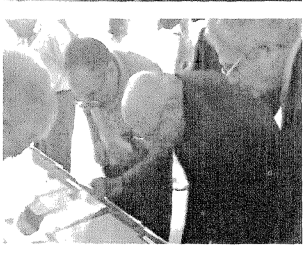
وساهمت الجمعية الأم بجزء من أرشيفها الذي تضمن محاضر جلسات وطلبات انتساب قديمة وقد وزع على رواد المعرض كتيب تضمن سير سبعة وعشرين رائداً من أعضاء الجمعية الراحلين من حلب واللاذقية ودير الزور بعنوان: (سير وصور).

وقد تجول السيد الوزير في أرجاء المعرض واستمع إلى شرح حول محتوياته ومن ساهم به وتوقف باهتمام عند قسم الوثائق حيث اطلع على طلبات انتساب أعلام من مدينة حلب إلى الجمعية وعلى مراسلات الغزي والطباخ مع كبار مثقفي وأدباء عصرهما أمثال محمد كرد علي واسكندر عيسى المعلوف وأحمد تيمور وسواهم.



بعد ذلك افتتح السيد الوزير معرض صور حلب القديمة الذي أقيم بالتعاون مع نقابة الفنون الجميلة (صالة الأسد للفنون الجميلة- الرازي) احتوى المعرض على أعمال مميزة للفنان أنور عبد الغفور قدمها مساهمة منه في احتفال الجمعية بعيدها الثمانين.





افتتاح المهرجان في قاعة العرش

بعد زيارة المعرضين قام السيد الوزير وصحبه بافتتاح المهرجان في قاعة العرش في قلعة حلب حيث ألقى الدكتور محمود السيد وزير الثقافة راعي المهرجان كلمة وزارة الثقافة، تلته كلمات فرع الحزب بحلب وكلمة محافظة حلب وكلمات أخرى، وقد نُشرت الكلمات في بداية الملف.



وفي رحاب قاعة العرش في قلعة حلب تمّ تكريم قدامى أعضاء الجمعية: عائشة الدباغ - سعد زغلول الكواكبي - جاك عسل - سامي برهان. حيث تسلّموا درع الجمعية عرفاناً لما قدّموه لها من خلال نشاطهم فيها على مدى سنوات، وألقى كلّ منهم كلمة شكر.



ومما قالته عائشة الدباغ نقتطف مقطعاً من القصيدة التي ألقتها بتلك المناسبة:

شابة في الثمانين

حكاية من ضمير الأمس أحكيها
صبية حلوة رقّت حواشيها
نديّة الحُسن رغماً من تقادمها
من عين كل حسود بتُّ أرقيها
معطاءة في شباب ما له هرم
وكيف تهرم والأكباد تسقيها؟
بوركت يا عيدها، عمر الزمان ندى
هوى، وفاء وتقديراً يوشّيها!
من كرمة للتراث الثرّ أترعها
جهد الرجال وراح الكل يعطيها
"للعاديات" نشاط ليس ينكره
أهل الحصافة، ولتشهد نواديها
فليرعَ ربّي الإله كلَّ من عملوا
في خير أمّتهم تعلو، ويُربيها
وليرعَ مولاي ربّي جهدَهم أبداً
بالعزم والرأي ما شاءت معانيها

كما نقتطف مقطعاً من قصيدة طويلة ألقاها الأستاذ سعد زغلول الكواكبي تحت عنوان:

للعاديات

و عاديّة العمر جمعيةٌ قد
رسمتُ عليها سراط الصواب
فضَلّ عليه ضليل سبيلٍ
وسار عليه خصيب الجَناب
و إني لرهط الكرام نسيبٌ
و للحب فيهم حسَبت حسابي
لخمسين عاماً ونَيِّف عمرٍ
حمَيت حماها بعذب العَذاب

حملتُ إدارتها مع رفاقٍ
مدى ربع قرنٍ مضى بالثواب
و قد علّمتْني كما علّمَتْهُم
ومن علمها كم كتبت كتابي
طَويتُ بأمسي ثمانين حولاً
كما قد طوت من عقود شبابي
و جاءت تُكرّمُني في رفاقٍ
و جئت أُكرّمها في جوابي
لجمعيّتي ألفُ شكرٍ وألفٌ
لقادتها الغرِّ جندِ الغلاب



وفي معرض تكريمه، شكر السيد جاك عسل الجمعية والذين ساهموا في الإعداد لاحتفالها بثمانين التأسيس لجمعية أمضى في عضويتها خمسين عامًا.



أمّا الفنان سامي برهان، فقد ألقى كلمةً جاء فيها:

"قضيتُ ٤١ عامًا في إيطاليا وأنا أدرس، بحثًا عن الجذور، فوجدتُ - للأسف- أننا ندرس حضارة الآخرين قبل دراسة حضارتنا، وخاصةً في الفنون الجميلة، نحن نقلّد الغرب ونستورد فنونه مع أننا أغنياء، تعلّم العالم منّا".

ثم دعا الفنّانين للعودة إلى الجذور والتعاون مع جمعية العاديات التي تهتم بالجذور وبالتراث.



بعد ذلك قدّم رئيس الجمعية شعارها المذهّب إلى السيد وزير الثقافة وأمين فرع حزب البعث بحلب ومحافظ حلب ومفتي الديار الحلبية.



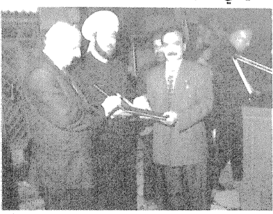
بعد ذلك تم توزيع جوائز مسابقة الشيخ كامل الغزي لعام ٢٠٠٤، والتي نظمتها جمعية العاديات بالتعاون مع سماحة مفتي حلب، وقد فاز بها كل من **الأستاذ عامر رشيد مبيض** عن بحثه: (حلب ذاكرة الأيام - تاريخ في صور) والأستاذ **فايز قوصرة** عن بحثه: (التاريخ الأثري للأوابد الإسلامية في إدلب) والأستاذ **صبحي صقار** عن بحثه: (الساعات الشمسية في حلب)

وقد كانت لجنة التحكيم مؤلفة من الأساتذة والدكاترة: صخر علبي "عميد كلية العمارة بجامعة حلب" وعبد الرحمن البيطار "رئيس قسمي التاريخ والآثار بجامعة حلب" والمهندس تميم قاسمو "باحث في التراث والحضارة" وقد ترأس اللجنة الباحث محمد قجة (رئيس جمعية العاديات) الذي درس الأبحاث المقدمة إلى المسابقة وجمع تقارير لجنة التحكيم ونسق بينها.

وقد بين الفائزون انطباعاتهم عن هذه المناسبة من خلال الحوار الذي أجرته معهم المجلة:

□ سألنا الفائز الأستاذ عامر رشيد مبيض ما هو شعورك لدى تسلمك الجائزة:

❖ إنَّ أياً من مظاهر التكريم والتقدير التي يحظى بها المرء يبعث في النفس شعوراً بالسعادة.. وإحساساً بالرضى، لكنه ليس الرضا المطلق عن النفس. ومن هنا فإن هذه المشاعر لا تلبث أن تتحول إلى قوة دفع جديدة، وطاقة من الحماسة الشديدة لمتابعة البحث وفعل المزيد، والعمل المتواصل سعياً إلى الأفضل دائماً وبما يخدم مدينتي حلب المنصورة.



□ بماذا تميز بحثك الذي تقدمت به إلى الجائزة؟

❖ أعتقد أن التميز في العمل الذي قدمته، يكمن في محاولة التأريخ لمدينة حلب العريقة بحضارتها ليس من خلال الكلمات والأخبار والروايات وما إلى ذلك، وإنما من خلال وسيلة من مبتكرات العصر وهي الصورة، الصور الوثائقية النادرة عن مدينة حلب التي كانت ستغادر حلب مع سائح ألماني رأيته قد اشترى مجموعة هامة من الصور عن حلب، ليبيعها في إحدى العواصم الغربية ونخسر أهم وثائقنا الوطنية، ومنذ زمن استهوتني الصور الوثائقية. إن كثيراً من مراكز الأبحاث العلمية في العالم تعتبر الصورة الوثائقية كنزاً وطنياً. ففي اعتقادي إن هذه الوسيلة -التي يرى البعض أنها مكملة للرواية والخبر- تتجاوز المألوف والمعهود، وتكشف الحالات واللحظات الحضارية على نحوٍ لا تستطيع الأخبار

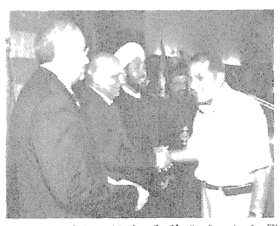
والروايات أن تقدمه. ناهيك عن مصداقية الصورة في الوقت الذي يعتري الخبر أو الرواية الكثير من الشك أو الوهم والظن.

□ كتابك "مئة أوائل من حلب" الذي صدر مؤخراً، أرجو أن تعطي القارئ لمحة عنه:

❖ كتابي الذي حمل عنوان "مئة أوائل من حلب" أعده وثيقة وطنية هامة، بل بنك معلومات عن تاريخ حلب المعاصر، فقد أعددت له إعداداً جيداً بالكلمة والصورة. كما إنني استطعت أن أقدم مدينة حلب للعالم بأجمل صورة وأبهاها، وهذه المرة من خلال الصورة الوثائقية أيضاً. تضمن الكتاب ثلاثة آلاف صفحة يحتوي على ثلاثة آلاف صورة عن حلب "آثارها - الأحياء القديمة والحديثة" أما أعلامها الذين تحدثت عنهم مع نشر صورهم لتكتمل الحقيقة، فقد صنفتهم إلى قسمين "أوائل وأعلام" وفقاً لمنهج البحث التفصيلي الذي وضعته في مقدمة الكتاب. وفضلا عن ذلك ترجمت لأكثر من ٧٧٥ ترجمة من أعلام حلب في مجالات مختلفة.

وأيضاً في الكتاب تناولت بالدراسة والصورة آثار حلب بشكل مفصل ووضعت فصولاً مستقلة "لأبواب حلب وأسوارها وأسواقها وخاناتها وحماماتها وقساطلها" فضلاً عن بحوث معمقة تنشر لأول مرة. كما نشرت مئات الصور الوثائقية النادرة عن حلب.

وفي الإطار نفسه التقينا الباحث محمد صبحي صقار وسألناه:



□ كيف ولدت فكرة هذا البحث؟

❖ الواقع أنني شعرت بالحماس والغيرة على الساعات الشمسية التي توجد في بعض مساجد حلب القديمة بعد أن قرأت مقالة عن الساعات الشمسية في فرنسا حيث ورد ذكر عدد كبير من المزاول التي تزين القصور والكنائس القديمة والحديثة في فرنسا..

وتمنى كاتب المقال في مقالته وجود جمعية خاصة تعنى بتلك المزاول كتراث وطني.. ولقد قرأت في مجلة تاريخ العلوم العربية التي تصدرها الجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب ومعهد التراث العلمي العربي، مقالة للباحث ديفيد كينج ورفيقه عن الساعات الشمسية في الأندلس بنيت على استقراء بقايا من تلك المزاول التي تكسرت وكادت تندثر، بينما لا تزال في حلب ساعات شمسية بحالة جيدة تتمتع بجمال رائع، فاندفعت إلى عمل هذا البحث لأنبه إلى أهمية هذه الساعات وأسجل مواقعها وأوصافها.

□ **كيف اطلعت على ما يوجد في حلب من ساعات شمسية؟**

❖ مـن خـلال عملـي في مديريـة الأوقـاف زرت عـددا مـن المسـاجد وأدهشني عـدد مـن الساعات الشمسية التي ما زالت بحالة جيدة فيها وهالني أن معظم الناس حتى من رواد تلك المساجد يجهلون ما هي، وما هي أهميتها فضلا عن تاريخها..

فحصلت على إذن خاص من مدير الأوقاف وتتبعت مواقع تلك الساعات وصورتها وجمعت ما أتيح لي من بيانات ومعلومات حولها ومن ثم أصبح بالإمكان إعداد هذه الدراسة الموجزة.

□ هل كنت متوقعا فوزك بجائزة الغزي؟

❖ لقد قدمت دراستي لجمعية العاديات لما عرف عنها من الغيرة على تراث البلد وتاريخه وأوابده وأنا متأمل أن تجد فيها ما وجدته من أهمية، وأن تقدر بحثي حق قدره، ولقد فعلت، فلها الشكر..

❖❖ أيضاً التقينا الباحث فايز قوصرة وسألناه:



□ ما هو شعورك عند فوزك بالجائزة؟

❖ من المتعارف عليه أن الجوائز الأدبية وخاصة في الشعر هي السائدة، بينما جوائز التراث إن لم نبالغ فهي معدومة، وسرنا أن يكون هناك جائزة للتراث ذاكرة الوطن ومن يحفظ ذاكرته فقد حماه من التعدي على هويته الحضارية. وحين أعلنت جمعية العاديات عنها لم أنم ليلتها مفكراً كيف ستكون مشاركتي؟ وبذلت جهدي الدائب حتى أنهيت بحثي.

وليلة الإعلان عنها شعرت أنني لم أفز كفرد بل انتصر التراث لأنه موجود في أفئدة وعقول كل منا، وخير هدية كتاب يبحث في تراث هذا الوطن، وجائزة العاديات في التراث هي خير وسيلة تقدم لمن أحب التراث. نتقدم بالشكر لها ولدائرة الإفتاء بحلب على إعداد هذه الجائزة.

□ ما هو محتوى بحثكم وما أهدافه؟

❖ كنت قد شاركت في ندوة التاريخ والآثار بجامعة حلب حول علاقة التاريخ بالآثار، فتأثرت بالأطروحات والمواضيع المقدمة، وفكرت بإعداد بحث يكون مادة بيد من يؤرخ لهذه المنطقة بالاعتماد على النصب الأثري فكان اسم بحثي (التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب). بدأته بمقدمة توضيحية، بأنني لم أعتمد على الوثائق المكتوبة كثيراً، بل على الأوابد من مساجد ومآذن وزوايا وكتابات عربية ونقوش وشواهد القبور، لمعرفة تاريخ المنطقة من خلالها وبذلت جهدي في إجراء عملية الربط بين المواقع للوصول إلى النتائج الميدانية،

وليس على الرأي الخاص فقط وإن كان هناك رأي فهو موضوعي، وكما فعل سوفاجيه وهرزفلد في دراسة النقوش العربية الإسلامية في حلب وغيرها، بحيث تحول البحث إلى كتاب مزود بمئة وأربعين وثيقة بين صور ونقش كتابي. قدمته مادة حية واقعية لتاريخ هذه المنطقة من الشمال السوري.



أمسية فنية

في ختام اليوم الأوّل من احتفالات جمعية العاديّات بعامها الثمانين أقيمت أمسية فنية من الطرب التراثي (فرقة أورنينا) أنشد فيها المطرب عمر سرميني والمطربة شهد برمدا، أغنيات من التراث الأصيل وقدمت فقرات الحفل المذيعة (كندا نسلي) عضو جمعية العاديات.

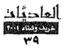


اليوم الثاني - الخميس ٢٠٠٤/٩/٢٣

فعاليات الجمعية في دار الكتب الوطنية

بدأت فعاليات اليوم الثاني الساعة السادسة مساء بندوة شارك فيها أمين سر الجمعية د. جمال طحان، ورئيس لجنة حماية المدينة القديمة في الجمعية د. صخر علبي تحت عنوان: (**نشأة جمعية العاديات وحماية التراث**)، في البداية رحب د. جمال طحان بالحضور وبخاصة القادمين من فروع الجمعية من مختلف المحافظات السورية، ثم تحدث عن الجمعية منذ نشأتها عام١٩٢٤. تحت اسم "جمعية أصدقاء القلعة والمتحف". وعن أول مجلس إدارة لها برئاسة الشيخ المؤرخ كامل الغزي. وعملها منذ تأسيسها على حماية آثار حلب، ومساهمتها في تأسيس متحف حلب الوطني.

وشرح د. جمال معنى كلمة "العاديات" التي تعني الأشياء الموغلة في القدم فكأنها من أيام "عاد".





ثم تحدث عن مجلة العاديات السورية التي صدرت منذ عام ١٩٣١، وهي من أقدم المجلات الآثارية في الوطن العربي، واستمر صدورها حتى الحرب العالمية الثانية. ونوه بحصول الجمعية عام ٢٠٠٣ على ترخيص بإصدار مجلة باسم "مجلة العاديات"، وقد صدر العدد صفر منها في ربيع عام ٢٠٠٤ بحلة جديدة متطورة. وبين أن الجمعية تصدر كتابا سنويا تحت عنوان "عاديات حلب" يصدر بالتعاون مع جامعة حلب بالعربية والإنكليزية والفرنسية.

وتحدث عن مشاركة الجمعية في لجنة "منبر المسجد الأقصى" ومشاركة أعضائها في العديد من الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية ومؤتمرات المدن العربية.

بعد ذلك وجه د. طحان سؤالين إلى د. صخر علبي: ما أهمية التراث والآثار للإنسانية، وما المساهمات التي تقدمها الجمعية في الحفاظ على التراث بشقيه المادي وغير الماديّ؟

أجاب د. صخر عن السؤالين بالقول: التراث مسألة على غاية من الأهمية وهو مهم لأن الاهتمام به يمنحنا طاقة على العمل من خلال رصد منجزات أجدادنا حتى لا نعاود الانطلاق من نقطة الصفر، لكننا إذا أردنا أن نكف عن التطرف الذي يبعث على التخلف، ينبغي لنا أن نتعامل مع التراث بشكلٍ موضوعي يراعي زمانيته، بعيداً عن الرؤيا الذاتية فنتمكن من استيعابه بحنوٍّ فاعل.

ثم تحدث د. علبي عن دور جمعية العاديات في الحفاظ على التراث وقال:

إن للجمعية عددا من الفروع في المحافظات السورية ونشاطها يغطي أراضي الجمهورية العربية السورية. وأن الجمعية تشارك في عدد من اللجان ذات الصلة بمدينة حلب القديمة والتراث والعمارة والتاريخ. وبين أن أهم غايات الجمعية الاهتمام بالتراث بمفهومه العام المادي وغير المادي. وأنها تتعاون مع مختلف الجهات للقيام بمهامها على أكمل وجه.

وهي جمعية تضم النخبة المثقفة في ربوع المدن والمحافظات السورية في شتى الميادين الثقافية والاجتماعية. يجمع بين هذه الشرائح الرغبة في الحفاظ على تراث الأمة وتوثيقه والإفادة منه في رسم صورة المستقبل المستند إلى أرضية الماضي العريق.

أمسية فنية غنائية لفروع الجمعية



بعد انتهاء الندوة قدمت فروع الجمعية أمسية فنية غنائية تراثية إذ شارك فرع الرقة بفرقة ضمت الفنان محمود شحادة والفنان فيصل الأحمد ومجموعته وقدّموا وصلة من الشعر النبطي مصحوبة بالعزف على الربابة ثم موالاً من تراث الرقة.



كما قدمت فرقة إيبلا للفنون الشعبية من فرع إدلب: فقرة فنية مميزة من الرقص الشعبي شارك فيها مجموعة من الشبان بمصاحبة الطبل والمزمار ومن فرع حماه قدم العازف أحمد زبدية والمطرب غياث عور فقرة موسيقية غنائية أدخلت البهجة إلى نفوس الحضور.



ومن فرع السويداء قدم الشاعر بشار أبو حمدان وصلة من الغناء الشعبي رافقتها معزوفات فنية على آلة الربابة.

ومن فرع السلمية قدم الفنانون غسان قدور وسمير صليبي، ومحمد صليبي وصلة غنائية زجلية.





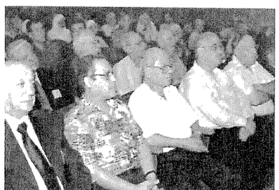
وقد أمتعت الحضور فرقة الجمعية الخيرية الشركسية فرع حلب التي اختتمت احتفال اليوم الثاني برقصاتها الشعبية التي عبرت عن الفلكلور الشعبي الشركسي والعادات الشركسية

الجميلة بينما قام بتصميم الرقصات الفنان المدرب سعيد قيان علي.

وقد اختتم الحفل بمفاجأة لطيفة، حيث ظهر على المسرح المخرج المسرحي إيليا قجميني وهو عضو في جمعية العاديات وطلب من الحضور البقاء في الصالة ضيوفاً لمشاهدة مسرحيته (العنب الحامض) التي تلت حفل الجمعية مساهمة منه في مهرجان ثمانين العاديات.







اليوم الثالث - الجمعة ٢٠٠٤/٩/٢٤

فعاليات الجمعية في خان الشونة

دارت نشاطات اليوم الثالث من المهرجان في خان الشونة وبدأت بندوة حول الشعر الشعبي تحدث فيها: المهندس تميم قاسمو والشاعران هاشم ضاي ومحمد أديب خرسة.

القدود الحلبية تراث انساني

وقد بدأ المهندس تميم قاسمو الندوة بقوله: "حافظت جمعية العاديات على التراث الأثري عندما ما كان مهدداً، وما زالت تدعو للمحافظة عليه، وهي اليوم تضيف إلى اهتمامها بالتراث الأثري تراثاً لا يقل عنه أهمية، إنه التراث غير المادي الذي بات يتعرض لتأثيرات شديدة من كل جانب".



ورأى أن: "جمعية العاديات نشأت دفاعاً عن التراث المادي لكنها لم تقصر في الاهتمام بالتراث غير المادي، وكان إنجازها الأكبر هو موسوعة حلب المقارنة التي كتبها المرحوم خير الدين الأسدي وسجّل فيها جميع مظاهر التراث غير المادي في حلب فحفظها من الضياع والاندثار.

وقد عرّف المهندس قاسمو الحاضرين بالمفهوم الواسع للتراث غير المادي، فأجاب عن سؤال: ماذا يحوي هذا التراث؟ بقوله: إنه يحتوي على كل مظاهر النشاط الإنساني الثقافي: من شفوي، ومهني، وتقاليد وطقوس، حتى إن الطبخ والتطريز يدخل فيه أيضاً. وقد نوه بتوقيع سورية مؤخراً على اتفاقية حماية التراث غير المادي هذا العام /٢٠٠٤/ ودعا في ختام كلمته إلى أن تسجل سورية القدود الحلبية ضمن قائمة التراث الإنساني لدى منظمة اليونسكو، ووضح أن تحقيق هذه الغاية يحتاج إلى تضافر الجهود على المستويين الرسمي والأهلي.

الزجل والطرب الأصيل

ثم قدّم مشاركين في الندوة وكانت البداية مع الأستاذ محمد أديب خرسة الذي خاطب جمعية العاديات بقوله:

جمعية ممنونين أفضالك
نشكر نبارك أعمالك
قدوة بين الجمعيات
في القطر ما في مثالك

ثم تلاه الأستاذ هاشم ضاي بمقاطع شعرية متنوعة حكمية وانتقادية ومما قاله عن حلب:

حبك يا حلب في القلب انكتب
احجارك من لولو وترابك دهب
صورتك بعيوني وغطيتك بجفوني
يا بلدي الحنوني بكنوز الأدب

ثم أنشد موالاً عن الشهباء:

شهبا عرين الأسد والرب حاميها
والعاديات الغوالي مجدنا فيها
اسمع لقول النصح اش قال راويها
وانظر بعين الرضى جنة روابيها

وبعد انتهاء الندوة، بدأت الفقرات الفنية برقصات متنوعة للفرقة الشركسية لجمعية العاديّات شارك فيها مجموعة من الشابات والشبان والأطفال الذين أبدعوا في الأداء والتعبير الفني.





وقد اكتمل عقد المحتفلين بحضور وفد كبير من أعضاء جمعية أصدقاء دمشق للمشاركة والتهنئة فرحبت بهم مقدمة الحفل أجمل ترحيب وقد ألقى رئيس جمعية أصدقاء دمشق الأستاذ هشام الساطي كلمة تضمنت حبه الكبير لمدينة حلب فوصفها بأنها العاصمة الاقتصادية لسورية وبأنها مدينة الفن والأدب والذوق العمراني والشعر والأغاني والموسيقا، وأكّد على التعاون الوثيق بين جمعيتي أصدقاء دمشق والعاديات، اللتين يجمعهما همّ واحد وهدف واحد هو الحفاظ على الآثار والتراث والمدينة القديمة.

ثم قام الأستاذ محمد قجة رئيس جمعية العاديات مرحباً بأعضاء جمعية أصدقاء دمشق الذين تجشّموا عناء السفر لمشاركة جمعية العاديات احتفالاتها بعامها الثمانين وألقى بأبيات رقيقة من الشعر تغنى فيها بدمشق وياسمينها وفلها وجمالها الأخاذ وأشار إلى الدور التاريخي الكبير الذي لعبته مدينة دمشق كعاصمة للدولة الأموية، وأهمية الدور الذي تمارسه جمعية أصدقاء دمشق والعاديات في هذا المجال. وأشار كذلك إلى أهمية التراث في حفظ شخصية الأمة وذاكرتها وهويتها الوطنية.



ثم تابع الحفل فقراته المتنوعة حيث دعت مقدمة الحفل **المذيعة "هديل غزال"** د. جمال طحان إلى قراءة من ديوانه (عشرة زمن يا آه)، الذي أهدي بالحفل، وهو باللهجة العامية فقرأ قصيدة بعنوان "طفرانة" جاء فيها:

((سألها أن تذهب معه إلى أمسية شعرية ليغنّي لها فقالت له:

طفرانه تركني بحالي
لا بدّي منّك مشوار
ولا تقعد جنبي بالدار
ولا تحكيلي عن أسرار

❖ ❖ ❖

طفرانه تركني بحالي
لا بدّي أسمع موّال
ولا تسألني كيف الحال
ولا تدبّلي بعيونك

❖ ❖ ❖

ثم ارتجل نصّاً رحب فيه بالحضور والضيوف من جمعية أصدقاء دمشق، قائلاً:

قال لها:
ولك يا عمري
قومي اطفي التلفزيون...



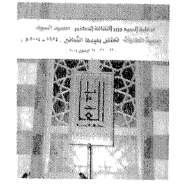


شو عمنعمل نحنه هون
ظافر جسري
بدو يغني بخان الشونة
فيه حفلة للعاديات
وفيها رفقات من الشام
هنّن توءم جمعيتنا
وبحرة وسما.. وعز ونسب
و زنود عمتنقط تعب
وكمشة طرب
قالت له:
خود ايدي، وايدك هات
وناخد معنا هالبنات
والله يحيّي العاديّات
وهيك نوّر خان الشونة
بالمحافظ وأهل الشام
والصبايا والستّات

بعد ذلك قدمت فرقة "هواة الطرب والأدب" بقيادة ظافر جسري وصلة من الغناء أرجعت الحاضرين إلى أجواء الطرب الأصيل. وقد غنى الأستاذ ظافر جسري مقطوعة من وحي المناسبة نظمها الأستاذ محمد قجة جاء فيها:

إن سألتم عن أنجم زاهرات
قلت هذي جمعية العاديات
نلتقي اليوم أصدقاء دمشق
وهم الشهب رافعي الجبهات
يغزلون التاريخ راية مجدٍ
ويصونونه من العثرات
نحن سفر التراث نبع الحضارات
سياج الحمى بماضٍ وآت
مرحباً يا دمشق في حلب الشهباء
والحب دافئ النبضات
سوف نبقى يداً وعيناً وقلباً
رغم هول الحصار والنكبات

كما قدّمت الفرقة باقة من الأغنيات التراثية بصوت الفنان المهندس ظافر جسري حيث غنى فأطرب وأدى فأبدع مما جعل الحضور يتمايلون طرباً ونشوة لدى سماعهم (الفل والياسمين والورد، حبيبي لعبته، يا جارة الوادي، ابعتلي جواب وطمني) وغيرها من الأغنيات التراثية الجميلة التي جعلتنا نذهب بعيداً مع الكلمات الرقيقة والألحان الشجيّة.■











على هامش المهرجان

في اليوم الأول: كانت قاعة العرش والبهو الخارجي يغليان بالإعلاميين، وبالتعارف بين أبناء حلب والقادمين من مختلف المحافظات السورية، وكان تيار الهواء يسرق الكلام من (مايك التلفزيون).

في اليوم الثاني: استغرقت الندوة التي شاركت فيها (العاديات وحفظ التراث) ربع ساعة مما أذهل البعثة التلفزيونية التي كانت تجري بعض الحوارات في رواق دار الكتب الوطنية وعندما دخلت الكاميرا لم يتسنّ لها سوى الحصول على لقطة واحدة من الندوة. هذه الندوة المقتضبة دعتني إلى أن أطالب من منبر دار الكتب الوطنية بدخول موسوعة غينيس لأقصر ندوة في العالم.

في اليوم الثالث: تحت أقدام فرقة الرقص الشركسية تفككّت المنصة الخشبية في الرقصة الثانية، ولكنّ الحاضرين لم يلحظوا ذلك، لأنّ الراقصين تابعوا تقديم فقراتهم في حين كانت كل مجموعة تنهي فقرتها تتسللّ إلى تحت المنصّة ليسند أفرادها المنصة بظهورهم.

نشاط فرع جبلة

برعاية السيد وزير الثقافة الدكتور محمود السيد وبحضور الشاعر أدونيس وعدد من الباحثين والأدباء والفنانين والصحفيين أقيم مهرجان جبلة الثقافي الأول من ٢٥ - ٣٠ آب ٢٠٠٤.

فعاليات المهرجان

❖ أمسيات شعرية:

شارك فيها الشعراء: قاسم حداد (البحرين) - محمد مظلوم (العراق) - عباس بيضون واسكندر حبش (لبنان) - وشارك من سورية الشعراء: فايز خضور - عيسى عزيز اسماعيل - ياسر اسكيف - أيمن معروف - نزيه أبو عفش - عادل محمود - صقر عليشي - هالة محمد - منذر مصري.

❖ أمسيات موسيقية:

فواز العلي (كمان) - عيسى شباط (غيتار)

❖ أمسيات غنائية:

مي نصر (لبنان) - سميح شقير وفرقته الموسيقية.

البيت العربي للموسيقى والرسم بإشراف مروان دريباتي.

❖ عرض سينمائي:

فيلم ما يطلبه المستمعون للمخرج عبد اللطيف عبد الحميد

❖ ندوة حوار حول الفيلم:

مع المخرج عبد اللطيف عبد الحميد والممثل فايز قزق - أدارت الندوة الكاتبة ديانا جبور.



❖ عرض مسرحي بعنوان (أوبو ملكا): لفرقة العاديّات بجبلة- إخراج محمد بدر زكريا.

❖ معرض فن تشكيلي:

أكثم عبد الحميد - بهجت اسكندر - رامي صابور - باول صابور - زهير خير بك.

❖ محاضرة تراثية بعنوان: (جبلة عبر التاريخ) لـ: ملاتيوس جعنون وعمار تبريزي.

أصداء المهرجان

اهتمت الصحافة بتغطية فعاليات مهرجان جبلة الثقافي الأول.

وتحت عنوان "تحية إلى جمعية عاديّات جبلة" كتبت هيفاء بيطار حول المهرجان في جريدة الثورة ٢٠٠٤/٩/٧:

"الأسبوع الثقافي الذي نظمته جمعية عاديّات جبلة من ٢٥-٣٠ آب في المركز الثقافي في جبلة يشبه من يصنع حجر الأساس في بناء صرح ثقافي متين.

وأن نجد في هذا الذي يغزونا بأشكال عديدة من التفاهة والقبح وانعدام أي ثقافة حقيقية. أشخاصا يملكون الإرادة والحلم معا، للسير في الطريق الشائك والصعب: ترسخ قيم ثقافية حقيقية تكون أشبه بالمارة يتطلع إليها جيل الشباب فيميزون بين الأضواء الحقيقية والزائفة.

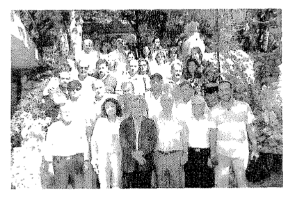
منذ اليوم الأول كانت بداية المهرجان مميزة، إذ أن خطب الافتتاح كانت قصيرة وبليغة، لا تتجاوز العشر دقائق، وكان لحضور الشاعر الكبير أدونيس -ابن جبلة- الذي استقبله الجمهور بحفاوة وحرارة تفوق حرارة آب دعما معنوياً كبيراً وقدم بنفسه الجوائز للأدباء الشباب الفائزين بجائزة القصة. تلا ذلك حفل موسيقي لعازفين مبدعين هما:

فواز العلي على آلة الكمان وعيسى شباط عازف الجيتار فكرت وروحي تحلق في سماء الموسيقا الشفافة كم نحتاج إلى



موسيقا راقية تشفي الروح المتعبة من ضغوط الحياة. وجدتني أقارنها بتلك الضجة (التي نسميها تجاوزاً موسيقا) والتي هي أقرب للصراخ المسعور، والتي كلما سمعتها أشعر بميل للشجار والغضب.

بعد حفل الافتتاح غص مقهى الزوزو الذي يملك أجمل إطلالة بحرية بالمثقفين من المشاركين في المهرجان، وأصدقائهم وأعضاء جمعية عاديات جبلة وعلى خلفية موسيقية شاعرية لأمواج البحر دارت أحاديث غنية ومتنوعة.



استمتعت بكثير من الدهشة وعدم التصديق لتجربة جمعية عاديات جبلة، هؤلاء النخبة من المثقفين المتحمسين بالفعل وليس بالكلام لإنعاش مشروع

ثقافي حقيقي لإيمانهم أن للثقافة دوراً أساسياً في بناء إنسان صحيح العقل والنفس وبأنها ضرورية كالخبز اليومي.

كلفة المهرجان فاقت المليون ليرة سورية وكلها دفعت من قبل أعضاء جمعية العاديات!

المسرحية الرائعة (أويوملكا) من إخراج بدر زكريا كلفت الكثير من المال والجهد الدؤوب والتدريبات القاسية وستعرض لمدة عشرة أيام في جبلة ثم في مدن أخرى وسعر البطاقة (١) دولار فقط.

بدولار واحد يستمتع -جيل الشباب خاصة- بعرض مسرحي راق ومدهش بدر زكريا يحلم أن يستيقظ المسرح الجاد الحقيقي من كبوته وأن يضع حجر الأساس في مشروع إنشاء مسرح جاد، يعيد للذهن المختنق بالفن الهابط ألق المسرح.

في الأيام التالية من لقائي بنخبة المثقفين النشيطين في جمعية العاديات كنت أتحدث في كل مكان أقصده عن التجربة الفريدة والمميزة لهذه الجمعية وكيف أنها مستعدة أن تتبرع بالمال دون أن تنتظر أي مقابل سوى إنعاش مشروع ثقافي. لتصير جبلة منارة ثقافية في سورية ولتدخل مدن أخرى في منافسة ثقافية معها...

ليت هناك منافسة في مجال الثقافة كما توجد منافسة في أشكال البذخ والاستهلاك كالمنافسة بين المطاعم وفي حفلات الأعراس!

أحد الحاضرين -وهو تاجر ألبسة- علق على كلامي، بأن تلك النخبة ما هي إلا شلة من المجانين!

أردت أن أستوضح وجهة نظره فسألته: مجانين! لماذا؟

قال بسخرية: لأنهم يدفعون مالا من أجل شيء خاسر سلفاً من يهتم للثقافة هذه الأيام أين جمهور المهرجانات الشعرية من جمهور هيفاء وهبة مثلاً؟

تاجر أمي مثله لا يفهم إلا بلغة المال يرى أنه من المنطقي أن يدفع مليون ليرة لراقصة تهز بطنها، أما أن يتبرع بمبلغ من أجل إنعاش الثقافة فهذا جنون!

التجربة الرائدة لجمعية عاديات جبلة تنبه إلى حقيقة غاية في الأهمية وهي ضرورة بناء جيل من الشباب تحديداً على قيم ثقافية حقيقية على ضرورة تنمية أحاسيسهم بالفنون الراقية: الأدب، الموسيقا، والمسرح.

يجب أن نحترم ونقدر طاقات الشباب الهائلة والتي إن لم توجه بالمسار الصحيح تضيع في التفاهة.

ولا أذكر من قال تلك العبارة البليغة (الفن الحقيقي ينمي الوجدان) تحية تقدير وإعجاب لجمعية العاديات جبلة.. والتي يدفعها حب الوطن لخدمته بشكل إيجابي وحقيقي وكم أتمنى من الجهات الرسمية أن تقدم لها كل الدعم المعنوي والمالي، كي نحصن الشباب بالثقافة التي وحدها تحميهم من سموم العولمة".

شذرات الشهباء

جمال الغيطاني*

يمهد لنا الاسم أحيانا لتقبل شخص نراه أول مرة، أو مكان، أو حدث في الزمان، مع توالي الأوقات تتأكد عندي قوة الاسم وتعدد دلالاته، هذا ما تعلمته من سيرة المصريين القدماء الذين عرفوا قوة الاسم حتى أنهم اعتبروا استمرار ذكره معادلا لديمومة الحياة ذاتها.
حلب، يتداعى وصفها المرتبط باسمها، الشهباء، أي البياض المائل إلى الشقرة.
حلب، محطة إذاعة يمكن التقاطها في الستينات بعد العاشرة ليلا، يرتبط اسمها بمحاولة انقلاب عسكري لا أذكر تفاصيلها الآن، عبرها كنت أستمع خلال شهر رمضان إلى حفلات غنائية موسيقية تبث مباشرة، أصوات جميلة تغني الطرب الشرقي الأصيل، أصحابها غير مشهورين، الحفلات تبث من الأحياء القديمة لحلب، من الأزقة والحارات، أهالي حلب يتوارثون الادوار القديمة، مصرية أو شامية أو عراقية، لديهم لون خاص يعرف بالقدود الحلبية، تشبه إلى حد ما ما يعرف في الموسيقى المصرية بالطقطوقة، وفي الغناء التركي، البستة.

حلب، منها عرفت صباح فخري، استمعت إليه لأول مرة سنة تسعة وستين وتسعمائة وألف، كان ذلك في معهد الموسيقى العربية، منذ ذلك الوقت تعلقت به، رحت أجمع تسجيلاته، كل ما تيسر منها، أحرص على حضور حفلاته عند مجيئه إلى القاهرة، من التسجيلات عرفت صوتا آخر، محمد خيري رحمه الله في برلين عام تسعين من القرن الماضي صحبت الصديق الروائي عبد الرحمن منيف في زيارة قبل انهيار السور الشهير، تحدثنا عن الطرب وعن الغناء العربي، قدم إليّ شريطا مسجلا، قال إنه لمطرب حلبي بدأ يغني بعد بلوغه الستين، اسمه صبري مدلل، ومرة أخرى

* روائي مصري.

أرتبط بصوت عريق من حلب، أحرص على الاستماع إليه مباشرة خلال المرتين اللتين زار فيهما القاهرة.

لحلب حضور عتيق منذ الأزل، أتوقف عند سيف الدولة الحمداني، نزول المتنبي بها، إقامته، أبو فراس الحمداني، ابن العديم مؤرخها الذي قرأت له "زبدة الحلب في تاريخ حلب" تحقيق سامي الدهان، و"الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب" حلب التي اجتاحها هولاكو، ثم تيمورلنك، حلب، شمالها سهل اسمه "مرج دابق" تقرر فيه مصير السلطنة المملوكية وخاصة الديار المصرية عام ألف وخمسمائة وستة عشر ميلادية، تسعمائة واثنين وعشرين هجرية، عندما خرج الجيش المملوكي المصري بقيادة السلطان قانصوه الغوري ليلاقي جيش سليم الأول العثماني الذي اتجه إلى حدود السلطنة للغزو، وليأخذ الشام ومصر ليضمهما إلى الدولة العثمانية، في عام ثلاثة وسبعين من القرن الماضي سافرت لأول مرة خارج الديار، كنت مكلفا بمهمة صحفية، تغطية أخبار المعارك التي دارت في الجولان وعلى امتداد الجبهة السورية، سافرت إلى اللاذقية، توقفت بمدينة حمص، قرأت الفاتحة أمام ضريح الصحابي، القائد خالد بن الوليد، كان الوقت فجرا والبرد قارسا، ما بين حمص واللاذقية رأيت الثلج لأول مرة في حياتي، كانت عاصفة عاتية، شرعت عند وصولي اللاذقية للاتجاه إلى حلب، كنت أريد زيارة مرج دابق في الأساس، قراءة الفاتحة على روح السلطان الشهير قنصوه الغوري، تأمل المكان الذي تقررت فيه مصائر ومراحل، مكان وصفته في روايتي "الزيني بركات" التي تدور أحداثها في تلك الحقبة التاريخية الموازية لحقبة أخرى "قدر لي أن أعيشها وأكتوي بنيرانها، أعني هزيمة يونيو عام سبعة وستين من القرن الماضي".

عبر ثلاثين عاما تالية زرت سوريا أربع مرات، ولم يتم مشروعي لزيارة حلب، عام ألفين اتصل بي الأستاذ محمد قجة رئيس جمعية العاديات، الكاتب والشخصية الثقافية الاجتماعية المرموقة، دعاني لحضور ندوة عن الشيخ الأكبر مولانا محيي الدين بن عربي، للأسف، لم تسمح ظروفي وقتئذ بالمشاركة، هكذا غبت عن حلب. عندما اتصل بي الأديب الأستاذ الجامعي عبد الله أبو هيف في منتصف يوليو عام ثلاثة وألفين طلب مني المشاركة في ندوة "الرواية والتاريخ" بمهرجان المحبة في اللاذقية، وافقت على الفور، فوجئت بالأستاذ محمد قجة يتصل بي قبل مغادرتي القاهرة بيومين، يدعوني إلى حلب وحضور لقاء خاص بأدباء ومثقفي حلب في المكتبة الوطنية.

حلب أخيرا، مكان تقت إلى زيارته، التعرف عليه، كيف سيبدو لي عند بلوغي

مشارفه؟ عناصر عديدة توالت علي، بدءا من لون الحليب الذي يستدعيه الاسم، إلى القلعة الشهيرة، إلى المتنبي، خولة شقيقة سيف الدولة، هل تبادلا المشاعر؟ هل هام بها المتبني كما تؤكد الشواهد؟ هل شعرت قبل موتها؟ حلب الطرب، المدينة الواقعة عند مفترق الطرق، المحطة الهامة على طريق الحرير.

ظهر الاثنين، الرابع من أغسطس عام ثلاثة وألفين، لاحت المدينة بعد أن قطعنا الطريق المؤدي إليها من اللاذقية، لافتات زرقاء تشير إلى الاتجاهات المختلفة، لافتات أخرى تشير إلى صناعات وأنشطة تتخذ من المدينة مقرا لها، المدخل عبر الطريق السريع يتشابه مع مداخل مدن عديدة، ليس في الوطن العربي فقط، لكن في أوروبا أيضا، لكن مع التغلغل في المدينة، إلى شوارعها بدأت شيئا فشيئا أضع يدي على بعض من خصوصية، مصدرها لون أحجار المباني المتقارب، رمادي تحت الأبيض المائل إلى صفرة خفيفة، بعض الواجهات العتيقة من القرن التاسع عشر، طراز تركي، طراز متأثر بالروكوكو، لافتات الأطباء والمتاجر تعلن عن تنوع بشري وعرقي يعيش جنبا إلى جنب، أسماء أرمنية، أسماء عربية، أسماء ذات رنين غربي، عندما ترجلت من السيارة أمام مديرية الثقافة كانت درجة الحرارة باهظة، هكذا مناخ حلب صيفا، شديد الحرارة نهارا، يلطف ويرق ليلا.

اتصل الأستاذ محمد قجة بمديرية الثقافة، قال إنه في الطريق، عندما ولج المكتب المفروش بأثاث عربي، مطعم بالصدف، تقدم بقامته المديدة وحضوره الوقور ليصافحني، أيقنت أنني أعرفه من قبل، أننا التقينا يوما، لكن أين؟ لا أعرف.. قبل مغادرتي اللاذقية إلى حلب، عبر الهاتف طلبت من الأستاذ محمد قجة أن أقيم في أحد فنادق المدينة القديمة، قال إنه تم الحجز بالفعل في فندق زمريا، أحد البيوت الحلبية العتيقة التي تحولت إلى فنادق، كنت حريصا على النزول في المدينة القديمة لمعايشتها أطول وقت ممكن، وفي الوقت نفسه كان في ذهني الفنادق الصغيرة المتواضعة، عندما وصلنا إلى منطقة "الجديدة" وجدت نفسي في المدينة العتيقة، الشوارع أضيق، مبلطة بالحجارة، الحجارة نفسها الموحدة للدور والمباني، غير أنني فوجئت بجمال البناية التي يعود عمرها إلى أربعة قرون، لقد تم تحويلها إلى نزل مريح، رفيع الذوق، أما السطح فمطعم ومقهى، معظم المقاهي المستقرة فوق مثل هذه البنايات التي تحولت إلى فنادق، تولي وجهها شطر القلعة، لحلب مركز قوي تنتظم حوله، إنه القلعة المشيدة فوق تل صخري طبيعي شاهق، وعبر عصور متوالية أضاف إليها الإنسان من الحصون والموانع ما جعلها منيعة، من الصعب جدا اقتحامها عبر عصور التاريخ لم تستسلم إلا صلحا بعد انهيار الظروف

السياسية والاجتماعية، القلعة هي المركز، جوانبها مائلة مكسوة بالحجر، يحيط بموقعها الدائري خندق عميق، عريض، كان يملأ بالماء، يقوم فوقه عدد من الجسور، يتم رفعها عند بدء الحصار، توجد الآن قنطرة رئيسية تؤدي إلى الباب الرئيسي الشاهق، القلعة مركز الدفاع عن المدينة التي تنتظم بيوتها حولها، البيوت والدور والمنشآت تتطلع إليها، تتجه إليها، والقلعة مهيمنة، من شقوق نوافذها التي أملى تصميمها ضرورات أمنية يمكن رؤية امتدادات المدينة وانتظامها، وتقارب أقسامها، لم يضيع الصديق محمد قجة وقتا، بمجرد تدوين اسمي وتسلمي مفتاح الغرفة، خرجنا إلى المدينة القديمة، من خلاله بدأت ألم بالأسماء، والتاريخ المتواري خلف الحجر، في الوقت نفسه كنت أحاول الاستيعاب وإدراك الخصوصية. تبدو الدور في الأزقة والحارات منحوتة وليست مبنية، ربما بتأثير الحجر، أقوي عناصر وحدة المدينة بالنسبة لنوعه ولونه، معظم الحارات أو الأزقة الأصغر مساحة مغلقة، سد، تطل على فراغ كل منها مجموعة من الدور، يمكن الانتقال عبر أسطحها بسهولة.

في المساء، في أوقات الشدة يغلق على الزقاق أو الحارة، لا تمتد المساحات في خطوط مستقيمة، إنما تتعرج، وفوق فراغ الزقاق أو الحارة يمتد ممر مغطي أحيانا تتخلله نافذة، تذكرني تلك الجسور المعلقة بعنصر معماري فريد في القاهرة القديمة يوجد بمسجد أبي حريبة "بناه قجماس الإسحاقي" من العصر المملوكي، اسمه الساباط ويصل بين الميضأة ومبني المسجد، يمر من تحته الطريق، هذا العنصر يصل بين المباني التي يسكنها أقارب أو تتصل ببعضها لسبب معين بدون إعاقة الحركة في الطريق، وهذا حق كفله فقه البنيان الإسلامي، فليس من حق أي صاحب نفوذ أو مقتدر أن يبني ما يؤدي إلى إعاقة حركة الناس أو يصعب عليهم أمورهم، فإذا بني ما يعترض طريقا لابد أن يوفر ممراً يكفل لهم الحركة، هذا يفسر في القاهرة القديمة وجود الأقبية، وأشهرها قبو قرمز تحت مسجد الأمير مثقال في الجمالية، والقبو الممتد تحت قصر الأمير بشتاك والذي يصل شارع المعز بحارة بيت القاضي.

في حلب توجد الأقبية، والكهوف أيضاً، تحت بعض المنازل تمتد نزولا إلى عمق الأرض، بلغت قاع أحدها، في ذروة الحر تبدو القاعة الصخرية بفراغها البدائي ودرجة الحرارة المنخفضة كثلاجة، يبدو أن هذه الكهوف كان بعضها موجودا أصلا بفعل الطبيعة، والآخر تم حفره لأغراض دفاعية، مثل تخزين المواد الغذائية عند الحصار، أو الاختفاء بعض الوقت، حدثني محمد قجة عن أنفاق تحت الأرض مؤدية إلى القلعة لتزويدها بالمؤن وقت الخطر.

الحواري والأزقة المتداخلة تبدو منظومة زخرفية من الحجر، يوحي بعضها ببعض، يبدو زقاق مغلق كأنه لن يؤدي إلى فراغ آخر، لكن عند بلوغ النقطة التي لا يتجاوزها البصر، ينفتح طريق ويبدو درب، أو زقاق، تتقارب الدور الحلبية، تتجاور، مخطط المدينة يستجيب للمناخ، ولأغراض دفاعية شأن المدن القديمة كلها.

غير أن الوضع في حلب أدق، المدينة عند ملتقى الطرق المؤدية إلى الشرق والغرب، إنها إحدى أهم المحطات على طريق الحرير والتوابل الواصل بين أقصى الشرق وأقصى الغرب، كما أنها نقطة متوسطة، متماسة مع أماكن تسكنها جنسيات شتى، عندما مررت بشوارع المدينة الحديثة، قرأت التنوع والتعايش من خلال أسماء الأطباء وأصحاب المتاجر، ولنتأمل هذه الأسماء التي وقع عليها بصري في الطريق أو من جداول رسمية:

محمد دياب، جهاد طبشو، ادولف بوخه، عبد العزيز عليكاج، سامر آغا، محمد بظت، صونا صوصاني، جورج كوستنيان، عمر فنصة، هند مشلح، جورج ادلبي، يمكن رصد أهم سمة في المدينة، التعايش والتسامح، ربما يرجع هذا إلى وجود أعراق مختلفة منذ أزمنة عتيقة، وإلى أن حلب محطة عبور، وإلى صلاتها بالشرق والغرب، هذا الموقع نفسه الذي أفسر به هذه السمة وتلك القدرة على التعايش عرضها لغزوات مدمرة عبر التاريخ، اجتاحها هولاكو وأحدث بها تخريبا هائلا، كذلك تيمورلنك.

أثناء جلوسنا فوق سطح دار الياسمين التي تحولت إلى فندق، أشرت إلى القلعة المضاءة بذكاء وتنسيق دقيق، سألت الصديق محمد قجة: "كم سنة تطل علينا من فوق أسوار هذه القلعة؟" قال إنه طبقا لقراءة الآثار وما تراكم منها يمكن القول أننا في مواجهة تسعة آلاف سنة. تذكر المراجع العلمية أن الإنسان استقر في هذه المنطقة منذ حوالي سبعة آلاف سنة، عاصرت حلب مدنا قديمة اندثرت مثل بابل ونينوى واوغاريت وإيبلا وأور وأفامية وكركميش، تغيرت مواقع تلك المدن وتحول بعضها إلى أطلال، وبقيت حلب في موقعها، لم تتوقف دماء الحياة عن التدفق في شرايينها، تماما مثل منف المصرية القديمة التي أصبح اسمها حصن بابليون، الفسطاط، العسكر، القطائع ثم القاهرة التي احتوت هذا كله، أما النسيج العمراني لحلب الذي نراه الآن فيعود إلى ألفين وأربعمائة سنة على الأقل. من هنا يستقر في فضاء المدينة ذلك العنصر الذي لا يمكن تعيينه أو رصده، إنما يدركه الإحساس، إنه ما يمنح الشعور تلك العتاقة، لديّ يقين أن الأماكن التي يتوافد عليها البشر، يقيمون ثم يرحلون، تكتسب آثارا منهم، خاصة إذا أودعوها بعض نتاجهم، من عمارة

وفنون مختلفة، في حلب تبدو آثار الجهد الإنساني في فروع شتى، منها العمارة والنسيج والطعام والنقش على الحجر والمعادن، تـوارث الموسيقى، وفنون الطرب، يتم هذا عبر منظومة اجتماعية، بعضها تلقائي، ومنها المنظم ولعل جمعية العاديات من أهم منظمات العمل الأهلي التطوعي في العالم العربي والتي تقوم بجهد خاص في الحفاظ على تراث حلب والاستمرار به حيا فاعلا في شتي المجالات.

لكل مدينة من يحمل أسرارها، من يقدر على فض مغاليقها، من يجتهد ليصون تفاصيلها اليومية التي يطويها النسيان، عاداتها وأسرارها التي تتغير مع توالي الأزمنة، ولحسن حظي أنني تعرفت إلى بعض هؤلاء، الذين سعوا في زمن مغاير، بعيد عن زمني، وأولئك الذين أسعدني الحظ بلقائهم. من القاهرة المقريزي في العصر المملوكي، ومن دمشق ابن عساكر، ومن بغداد الخطيب، ومن غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، أما حلب فمن الذين صانوا بعضا من أسرارها في الماضي كمال الدين بن العديم، وفي القرن العشرين عرفت شخصين، أحدهما مضى عام واحد وسبعين بعد أن أودعنا موسوعة نفيسة، نادرة، أعني "موسوعة حلب المقارنة" لخير الدين الأسدي، أما الآخر فأطال الله عمره، صحبني في رحلتي الحلبية، ورأيت فيه سلافة من كل الذين ذكرتهم، أعني الصديق محمد قجة رئيس جمعية العاديات، منذ عودتي إلى القاهرة لم أكف عن مطالعة موسوعة حلب للأسدي، ولا أظن أنني اطلعت على مثيل لها في النشر العربي، إنها ليست موسوعة للمكان، لكنها في اللغة، اللغة كما ينطقها الناس وليست كما وردت في المعاجم، أي لا يورد المصدر الثلاثي للفظ، إنما يورده كما ينطقه الناس في حلب.

وقد ترك الموسوعة ذاتها مخطوطة، ولم تطبع إلا بعد وفاته، أي أنه أنفق هذا الجهد الهائل بدون انتظار عائد، ولم يرها مطبوعة، وعندما دفعت أسرته بالموسوعة إلى جامعة حلب لطبعها أخذت المخطوط إلى الجامعة مع التنازل عن جميع الحقوق، هكذا خرجت في سبعة أجزاء مطبوعة بشكل جيد ومدققة.

وإذا كان الأسدي قد قام بهذا الجهد الهائل الذي أنفق فيه عمرا لتوثيق تفاصيل الحياة في حلب من خلال اللغة، فهناك أنشطة ومنظمات أهلية تأسست للحفاظ على تراث المدينة، لعل أشهرها وأهمها جمعية العاديات، والتي تمارس دورا نشطا مستقلا منذ العشرينات.■

في الأعداد القادمة

مواويل من حلب

ثمانون العاديات

وليد إخلاصي*

تعيدنا جمعية العاديات إلى الزمن الماضي وهو يطرّز حاضرنا أبداً بعبق الذكريات التي حفظتها لنا الأرض الوفية للتراث.. ولقد درجت الجمعية منذ لحظة إنشائها على احتضان الذاكرة ورعاية صمودها في وجه التآكل والنسيان، وأيقظت حس الانتماء إلى التاريخ الذي سمح للحضارات أن تتراكم على الأرض السورية فكأنما تجسدت في بنية العاديات الرغبة المستمرة في الكشف عن قيمة الأزمان السابقة في تكوين الحاضر القائم كي تصبح إضاءة الميراث خطوة أوسع في الكشف عن الذات.

والتكوين الأهلي للجمعية ساهم في تدعيم الطموح الهادف إلى تأصيل المجتمع المدني كما أن النشاط المتراكم لها على مرّ عقود ثمانية أذكى في نفوس الكثيرين الرغبة في الارتباط بالعراقة التي كونتها الحضارات السابقة ولتجمع الواقع الحاضر إلى سلسلة الثقافات المتجمعة على الأرض والمساهمة في تكوين الأشكال الاجتماعية المتعاقبة.

وكل ما نبت في الأرض السورية من علائم وإشارات جسدتها الآثار المرئية والمخفية بالإضافة إلى ما أنتجته تضاريس المدينة من ثقافة تمثلت في التماع أفراد مميزين في إبداعهم، كان جميعه ممثلاً لأهداف الجمعية في الكشف عنه وتقديم الاحترام له، وذلك كان هو (الحلية) التي تسعى جمعية العاديات إلى إضافتها إلى العقد الثمين الذي يزين صدر حلب المدينة والعضو البارز في الجسد السوري الذي يزداد شباباً مع تقدم الزمن.

هل نقدم التحية والمحبة لتاريخ الجمعية، أم نسعى إلى المشاركة في تحقيق أهدافها التي تتواكب باستمرار مع الكشوف المستمرة عن ثروة التراث الحضاري التي تختزنه هذه الأرض التي تتسع عادة مع استمرار التزايد لتلك الثروة الفائتة؟■

* قاصّ وروائي ومسرحي، رئيس فرع اتحاد الكتّاب العرب بحلب سابقاً.

ثمانون شمعة والقامة مديدة..!!

الطاهر الهمّامي*

(١)

لحلب في وجداني مكانة خاصّة. ولعلّ ذلك راجع إلى كونها المدينة التي احتضنت "آخر السيوف" و"آخر الشعراء" والحاضرة التي تنفّس هواءها ومشى على أديمها قبل أحد عشر قرنًا صاحب:

أتيتُ بمنطق العربِ الأصيلِ
وكان بقدر ما عاينْتُ قيلي

وصاحب:

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يد الهوى
وأذللْتُ دمعًا من خلائقه الكِبْرُ

(٢)

كان الطريقُ إليها سالكًا يومها، بفضل الدكتور وحيد كبابة الذي ما إنْ لاحظ شوقي وحِرْصي حتّى يسّر الأمر مذْ رآني في حمص الشعر، وحين نزلت أشار عليّ برئيس العاديّات الأستاذ محمد قجّة وتسنّى ذلك دون إبطاء، رغم حَرّ الهاجرة، وكنت لا أتصرّف في أكثر من ٢٤ ساعة. وشاء الحظّ أن ألتقي الرجل الشهم والماسك بزمام الصغيرة والكبيرة من تاريخ المحروسة ومعالمها الأثرية وكنوزها الحضاريّة، والمحدّث عن ماضي "أقدم مدينة ما تزال مأهولة" وحاضرها حديث المتيّم.

التقيتُه وسابَقَ بي، على بساط سيارته، سويعات مقامي القصير وأدركنا الليل وهو يبذل قصارى الجهد لإرواء غلّتي وتزويدي بما يسعد معادي.

(٣)

انعقدت صلتي بجمعية العاديّات وحوليّة "عاديّات حلب" وحمدتُ لجامعة حلب وللجمعية هذا الإنجاز العلمي والثقافي الرفيع، وأمكنني أن أقف على مكانة الجمعية العريقة وعلى نشاطها الزاخر وثمرات أقلام نُخَبِها، ومن خلال كلّ ذلك على ذات التاريخ الحافل، مدينة القلعة. ولعلّي أدركتُ شيئًا من سرّ تعلّق أهلها بها.

* أستاذ في كلية الآداب - جامعة تونس.

(٤)

في السنة ٢٠٠٤ أطفأت "العاديّات" ثمانين شمعة. أجلْ! جمعية ثقافية عربيّة عَمّرت هذا العُمر وما تزال القامة مديدة!

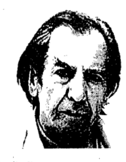
قرأتُ أن ميلادها كان في ١٩٢٤/٨/٢، وبالاطّلاع على "البرنامج السنوي ودليل الأعضاء العاملين" الصادر سنة ٢٠٠١ وجدتُ أنها تضمّ -وهي الجمعية الثقافية- ما لَم يتسَنَّ لأحزاب سياسيّة أن تضمّ من أعداد الأساتذة والآثاريين والمؤرّخين والمهندسين والأطبّاء والقضاة والمحامين والأدباء والاقتصاديين والفنيّين سواء في المقرّ الأم بحلب أو في الفروع المنتشرة بالمدن السورية. وأذهلني نشاط الجمعية الدؤوب على مدار العام من محاضرات وندوات وإصدارات وزيارات أثرية ورحلات علمية وجهد اجتماعي وفنّي وأعمال صيانة وتعهّد للمعالم وقلت: لعلّ بعض هذا الزخم يعود إلى كون الجمعية مدنيّة أهلية وإلى جمعها في أنشطتها بين الإمتاع والإفادة، الجميل والنافع، وإلى تقاليد راسخة في التسيير والمعاملة والتنشيط والبرمجة بل لعلّ كل ذلك ما كان ليثمر لولا الأهداف الوطنية والقومية والإنسانية النبيلة.

فهنيئًا لجمعية عاديات حلب بمرور ٨٠ عامًا على تأسيسها، وطوبى لرجالها ونسائها بهذا الإنجاز وإلى مزيد من الصمود وطول البقاء في وجه الرياح العولمية العاتية ومشروع المحو الذي "تبشّر" به!■

من أعلام الجمعيّة

فاتح المدرّس

١٩٢٢ - ١٩٩٩



- ولد في حلب ١٩٢٢ وتوفي في دمشق عام ١٩٩٩.
- تابع تحصيله العلمي في حلب وبيروت وروما /١٩٥٤ - ١٩٦٠/.
- أقام أول معرض فني له في حلب عام ١٩٥٥ ونالت لوحته "كفر جنة" الجائزة الأولى في معرض متحف دمشق الوطني عام ١٩٥٢.
- درس مادة التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق بدءا من عام ١٩٦١ حيث تأثرت به أجيال متعاقبة من الفنانين التشكيليين.
- نالت أعماله الفنية جوائز عالمية عديدة من إيطاليا ومصر والكويت والأردن والولايات المتحدة.
- أصدر ديوانين شعريين ومجموعة قصصية بعنوان "عود النعناع".
- شغل منصب رئيس نقابة الفنون الجميلة في سورية من ١٩٧٧ - ١٩٨٨.
- لخص نظرته إلى الفن بقوله: "أنا شاهد على جمال الأرض والإنسان، كما أنا شاهد على أحزان عصري".
- كتب في طلب انتسابه إلى جمعية العاديات "سأكون أكثر إنتاجا في هذا الحقل الفني التاريخي إذا قبلتموني عضوا في جماعتكم وسأتشرف بهذه العضوية".

نحو مئة عام قادمة من الإنجازات

سليم الحسني*

كانت لحظات لا تنسى من ذاكرتي تلك التي حملني بها القطار عبر مدينة حلب في العام ١٩٦١ خلال رحلة عودتي من لندن إلى بغداد، ليمر بعدها أربعون عاماً لم تغب فيها مشاهد تلك المدينة الجميلة من خيالي لأعود إليها مجدداً، إذ سنحت لي الفرصة بالإقامة فيها مدة من الوقت سلبت خلالها حلب الشهباء لبّي واستحوذت على فؤادي بجمالها وتاريخها العريق، وآثارها المعتقة بالأصالة والشموخ، والأهم من ذلك أخلاق أهلها وكرمهم وجمال لهجتهم.

وكان من بين أهل هذه المدينة المضيافة الذين تعرفت عليهم كوكبة من العلماء والأدباء والمهندسين، وأصحاب الأعمال، منهم من كان قد رجع إليها بعد مكوث طويل في جامعة مانشستر حيث أعمل بها أستاذاً منذ عشرات السنين.

وقد كان الأستاذ الكبير محمد قجة من أبرز من التقيتهم في تلك الزيارة إذ حباني بحسن استقباله وسماحة مرافقته، وأدهشني ما اطلعت عليه من نشاط من خلال جمعية العاديات التي يرأسها، وتلمست القيمة الكبيرة التي تمثلها هذه الجمعية الثقافية الرائدة.

ولئن كانت كلمة العاديات تعني المندثرات أو الآثار، أو الآركيولوجي بالمصطلح الانجليزي، إلا أنني فوجئت بأن نشاط هذه الجمعية قد تعدى مفهوم التنقيب عن الأحجار ودراسة المباني المزخرفة والمندثرة، ليمتد إلى عرض ودراسة ما اندثر من علوم وفنون وصناعات، والأكثر من ذلك فقد أعجبت بالسرعة الكبيرة لاتساع مجالات هذه الجمعية خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث أنها تحولت من جمعية محلية في حلب إلى جمعية قطرية على نطاق سورية جمعاء.

بل وبلغت سمعتها إلى أقصى الآفاق لتصل إلى أوروبا حيث شاركت الجمعية

---

* البروفسور أستاذ الهندسة الميكانيكية في جامعة مانشستر ورئيس مؤسسة العلوم والحضارة والتكنولوجيا.

في مؤتمرات متعددة مع مركز ثرفانتس الإسباني حول دور علماء الأندلس في الحضارة إضافة إلى العديد من الكلمات والندوات الرائعة التي يساهم بها الأستاذ محمد قجة محلياً وعالمياً.

إن النشاطات الثقافية والفكرية من شأنها إثراء الوعي لدى المواطنين من خلال التعريف بإنجازات أسلافهم، وتحثهم على الاقتداء بالعلماء الذين شيدوا صروح الحضارة الإنسانية إضافة إلى توفير موارد مادية من خلال استقطاب السائحين من كافة أنحاء العالم ليتعرفوا على معالم تاريخنا وموروثنا الفكري.

إنني أفتخر بعضويتي في هذه الجمعية والتعاون معها بصفتي الشخصية وكرئيس لمؤسسة العلوم والحضارة والتكنولوجيا بإنكلترا، وأحمد الله على أن هذا التعاون قد تبلور بالفعل من خلال الإعداد لإصدار خاص من مجلة الجمعية الفصلية بالاشتراك مع مؤسستنا ليمثل باكورة لسلسلة من الأعمال التي تهدف إلى تبيان أثر العلوم الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية.

وإذ أسجل هذا الفخر والتقدير يسرني أن أهنئ الرئيس والأعضاء بمرور ثمانين عاماً على تأسيس جمعية العاديات، وأتمنى لها نجاحاً مضطرداً في مئة سنة قادمة تخدم فيها العلم والحضارة.■

من أعلام الجمعيّة

عبد القادر عيّاش

١٩١١ - ١٩٧٤



- ولد في مدينة دير الزور سنة ١٩١١ وتوفي فيها ١٩٧٤.
- تلقى تعليمه في دير الزور وبيروت وحمص ودمشق وحصل على إجازة الحقوق من جامعة دمشق عام ١٩٣٥.
- عين قاضياً في حلب ومديراً لمنطقة الباب ونقل منها إلى سلمية حيث استقال واستقر في دير الزور لممارسة المحاماة.
- أسس نادي البيت الثقافي في دير الزور سنة ١٩٤٤، أصدر مجلة صوت الفرات عام ١٩٤٥ واستمرت بالصدور اثنين وعشرين عاماً. أنشأ داراً للنشر في دير الزور. كان مولعاً بجمع الآثار وأنشأ في بيته متحفاً رائداً للعاديات والتقاليد الشعبية. وقد تبرعت أسرته بمحتويات المتحف إلى متحف دير الزور الجديد
- ألف الموسوعة الفراتية من مئة وعشرة أجزاء نُشر منها ٨٢ اثنان وثمانون جزءاً وبقي /٢٨/ جزءاً مخطوطاً.
- أسس فرعاً لجمعية العاديات في دير الزور عام ١٩٥٧.
- كان عضواً في اتحاد الكتاب العرب والجمعية الجغرافية بدمشق.
- من أقواله "تمنيت لو ملكت ثروة فأتبرع لإنشاء كرسي في جامعة دمشق أو جامعة حلب لتدريس تاريخ وادي الفرات منذ أقدم عصوره إلى اليوم لأنه جدير بذلك، لكم شغفت بهذا التاريخ ولشدّ ما أحب الفرات ومعالمه وأهله وأسعى لخيرهم".

العاديات والدفاع عن الآثار

مهمة مستمرّة

سعاد جروس*

يـذكر الـسوريون بحـسرة كـثيرًا مـن آثارهـم، خاصـةً مـا دُمـر منهـا في الحـروب كـالكنوز الـسورية الـتي احترقـت في متحـف بـرلين أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة. ومـن المحـزن جـداً رؤيـة آثـار سـورية في متـاحـف الغـرب حيـث نُقلَـت إليـه في ظـل غيـاب الـوعي بالقيمـة التاريخيـة والعلميـة لهـذه الثروة الوطنية.

نشأت جمعية العاديات في حلب عـام ١٩٢٤ كواحـدة مـن الجمعيـات الرائـدة في نـشر الثقافـة الآثاريـة وحمايـة الأوابـد التاريخيـة، ولا تـزال حـتى اليـوم أقـدم جمعيـة أهليـة تقـوم بالمهمـة الـتي أخـذت على عاتقها القيـام بهـا، ليس على صـعيد الحـد مـن تهريـب القطـع إلى الخـارج، بـل حمايـة الآثـار الثابتـة مـن المـشاريع التوسـعية الـتي طـرأت علـى مدينـة حلـب. فعلـى سـبيل المثـال، عملـت علـى إيقـاف استكمال هدم أجزاء من المدينـة القديمـة في مشروع باب الفرج وهو المشروع الـذي اتخـذ بنـاء علـى قـرار كـان خاطئـاً منـذ البدايـة، وأدى إلى هـدم مبـان أثريـة وجـزء مـن سـور حلـب الأيـوبي. ولـولا تـدخل الجمعيـة لمـضى المـشروع في فـتح شـوارع عريـضة في قلـب المدينـة القديمـة باتجـاه الشرق فهدم حـي البياضة وباتجاه الشمال فهدم حـي الجديدة. ولو حصل ذلك لحلت كارثـة بتـاريخ بمدينـة حلـب وتراثهـا العمرانيّ المميّز.

كمـا كـان للجمعيـة أيـاد بيـضاء في إيقـاف عـشرات المحـاولات للاعتـداء علـى الـدور والخانـات والأسـواق الأثريـة، مـن خلال السعي لدى المسئولين لحمايتها.

ويشير رئيس الجمعية إلى دورهـا في مشروع إعادة صنع منبر المسجد الأقصى في القدس، وهو منبر حلبي صنع أيام نور

* باحثة تكتب في الصحافة العربية.

الـدين الزنكـي، وحملـه صـلاح الـدين الأيوبي من حلب إلى القدس بعد تحريرها وبقـي هنـاك حتى أحرقه مجرم صهيوني عـام ١٩٦٩، فقـد دعـت جمعيـة العاديـات إثـر ذلـك إلى تـشكيل لجنـة لإعـادة بنـاء المنـبر في حلـب ونقلـه إلى القـدس، فتشكلت اللجنة من أعضاء مجلس إدارة الجمعيـة بالإضـافة إلى الـشيخ محمـد الحكـيم والمطـران كبـوجي والمطـران ادلبي. وكـان تـشكيلها بقـرار مـن رئـيس الجمهورية.

يؤكـد علمـاء الآثـار أن مهمـة الأثـري كمهمـة المـؤرخ، هـي بالأسـاس، البحـث عـن الإنـسان مـن خـلال عمليـات سـبر معقدة، الإنسان بالمعنى الواسع: البشر، الـشعوب والمجتمعـات، الإنـسان كفـرد، وكتـل الجمـاهير، والـصراع مـن أجـل الارتقـاء والبقـاء والتفاعـل الخـلاق مـع البيئـة الطبيعيـة. ولعـل هـذا مـا يجعـل الاهتمام بالآثار والحفاظ عليها مسؤولية وطنيـة عليـا، تقـف جمعيـة العاديـات في مقدمة مَن يحملها في سورية .

إن ممارسـات الاحتلال (في الماضـي والحاضـر) الـتي جعلـت النيـل مـن تـراث الأمة في مقدمة ممارساته العدوانية تضع على كاهل جمعية العاديات أعباء إضافية في معركتها الدائمة لحماية الآثار والتراث يأمل الجميع في أن تكون أهلاً لها.■

من أعلام الجمعيّة

جبرائيل سعادة

١٩٢٢ - ١٩٩٧



- ولـد في اللاذقيـة عـام ١٩٢٢ وتـوفي فيهـا ١٩٩٧
- تلقـى دراسـته الابتدائيـة والمتوسـطة في اللاذقية وتابع الثانوية في بيروت حيث نال إجـازة في الحقـوق مـن جامعـة القـديس يوسف عام ١٩٤٤.
- قام ببناء الثانوية الارثوذكسية في اللاذقية عـام ١٩٤٨ وأسـس رابطـة أصـدقاء أوغاريـت عام ١٩٥٠.
- ترأس فرع اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٨١.
- شارك في الندوة الدولية لعصر النور (١٩٨٦) ونـدوة ٨٠٠ سـنة علـى معركـة حطـين (١٩٨٧).
- أصبح قنصل اليونان الفخري باللاذقية (١٩٨٦).
- كـان مـن مؤسسي فـرع جمعيـة العاديـات ورئيساً لمجلس إدارته حتى وفاته.
- ألـف عـدداً مـن الكتـب والنـشرات في الآثـار والتراث منها:
  - ابحاث تاريخية وأثرية.
  - المختصر في تاريخ اللاذقية.
  - رأس شمرا وآثار أوغاريت.



شعار العاديات بين القديم والجديد

غسان قصير*



لم تُشِر وثائق الجمعية إلى وجود رمز خاص بها عند تأسيسها عام ١٩٢٤ تحت اسم "جمعية أصدقاء القلعة والمتحف". كما لم يظهر في وثائق الجمعية بعد أن اتخذت اسمها الحالي "جمعية العاديات" أي شعار.

ومنذ عام ١٩٧٣ أخذ يظهر على مطبوعات الجمعية شعار اقتبس حرفياً عن رنك مملوكي وجد محفوراً على العديد من واجهات الأبنية والقساطل التي شيدت في العصر المملوكي بمدينة حلب: كقسطل الرمضانية ١٤٨٤-١٤٩٢ قسطل الحرامي وجامعه. مكتب الصاحبية (جامع الفستق) في محلة السويقة.

والجدير بالذكر أن اختيار هذا الرنك كشعار للعاديات، لم يكن له صلة بمدلولاته المملوكية، بل اختير لاقترانه بأجمل الأبنية المملوكية في مدينة حلب المحروسة.

ولقد فكر مجلس إدارة الجمعية منذ حين في استبدال شعار "الرنك" بشعار جديد يمتاز بالاستقلال عن أي حقبة تاريخية بعينها، أو موقع أثري بذاته.

فالجمعية تهتم بتاريخ المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، والمواقع الأثرية في سورية أكثر من أن تعد وهي تتنافس فيما بينها دلالة، وبهاء، وجمالاً.

ولئن اتصفت الجمعية عند نشأتها بصفة المحلية الحلبية، فإنها عبّرت منذ البداية عن اتجاه يتجاوز هذا النطاق الذي حددته دواعٍ إدارية محضة، إلى المحيط الأوسع الذي يشمل القطر السوري بأكمله.

* هندسة: في العمارة الداخلية، وتجميل المدينة. محاضر سابق في الاتصالات البصرية بجامعة أنجة - فرنسا.

ويستدل على ذلك من مقالة للشيخ كامل الغزي في العدد الثاني من مجلة العاديات الصادر في حزيران عام ١٩٣١ حين كتب:

"إن أعمال الجمعية لا تنحصر في تخوم ولاية حلب فحسب بل ستتعدى إلى المناطق في شمال سورية وجميع أنحائها، غير مبالية بما سيعرض لها من المشقات، واثقة تمام الوثوق بأن فن العاديات وغيره من الفنون العلمية التاريخية سيكون له في هذه البلاد شأن عظيم".

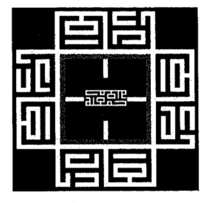
ولقد تحقق حلم الغزي، فالجمعية اليوم لها خمسة عشر فرعاً في كل أنحاء القطر.

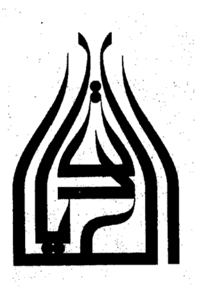
وكانت احتفالات الذكرى الثمانين لتأسيس الجمعية، اللحظة المناسبة لتكون مولدا للشعار الجديد.

شعار يراعي في تصميمه ما سبق ذكره، من عدم ارتباطه شكلاً برموز محلية أو دلالته على حقبة تاريخية معينة. ليصبح للجمعية هوية بصرية مستقلة عن غيرها وموحدة بين فروعها. مع مراعاة أمور تقنية كارتباط اسم الجمعية بالشعار بشكل مباشر وقابليته للتكبير أو التصغير دون أن يفقد ماهيته.. إضافة إلى أمور فنية أخرى: كسهولة قراءته، وقوة تعبيره، وأخيراً أن يكون الشعار أصيلاً في جوهره، وإبداعه الفني، وأن يتمتع بحضور بصري.

وقد تبرع عديد من أعضاء الجمعية وأصدقائها المعنيين في مضمار التصميم بتقديم دراسات وتصاميم غرافيكية للشعار الجديد وهم: الخطاط أمين السم- الخطاط عماد محوك - الفنان ضياء حموي - والمهندس غسان قصير







تصاميم الخطّاط عماد محّوك

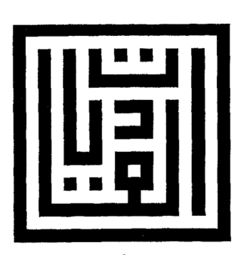
السياق العام للشعار المعتمد:

يعتبر الشعار الغرافيكي أحد الدعائم الهامة في رسم معالم الهوية البصرية لمؤسسة أو هيئة ما. ويمكن اعتباره مجازاً نواة الهوية البصرية. إذ بواسطته نتمكن من تحويل المفهوم النظري إلى شارة فنية بصرية، وإعلان مكثف فهو قبل كل شيء أداة تعريف بصرية للربط بين ما هو معلن ومرئي وبين الجهة التي تمثله.

ولا بد للشعار أن يعتمد على فكرة وفلسفة خاصة ودراسة وتمحيص لتاريخ المؤسسة أو الجمعية وطبيعة نشاطها والذهنية التي تعمل بها، والصورة التي تريد أن تظهر فيها أو تعكسها - إذ أن العلاقة وثيقة بين أي مؤسسة وصورتها البصرية المعكوسة في وثائقها وشعارها (من الناحية الغرافيكية).

وقد كان مفهوم القلاع والحصون كصروح منيعة ورموز للقوة والثبات، الأرضية الذهنية والعمود الفقري لفكرة شعار العاديات الجديد إذ لا يوجد محافظة في سورية إلا وفيها قلعة أو حصن قديم.

فالعلاقة "الضمنية" بين بنية الشعار وبرج القلعة هي علاقة رمز وجوهر، أكثر منها علاقة شكل ومظهر.



تصميم الخطّاط أمين السم



الشعار المُعتمَد

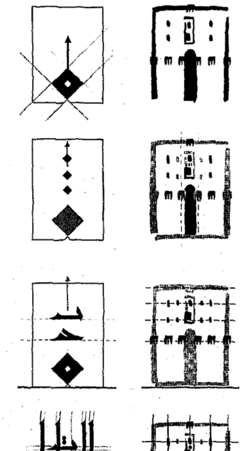
تصميم المهندس غسّان قصير



وجمعية العاديات، بدورها الرائد في الدفاع عن التراث والحفاظ عليه، هي قلعة راسخة، وفروعها الخمسة عشر، حصون وأبراج متقدمة، تقف بالمرصاد لكل مَن يترصّد شرًا لهذه الديار.

وأمّا اعتماد"الخط الكوفي المشرقي القديم" في كتابة الشعار، فقد تقرَّرَ لِما لهذا الخط من أصالة وعراقة وجماليات فنية، ولمقدرته في نفس الوقت على التأقلُم مع الحسّ المعاصر.

دراسة تحليلية للشعار الجديد



عين العاديات هي المدخل وحجر الأساس في عملية البناء. وقد أخذت شكلاً معينًا لزيادة قدرتها على التنبيه البصري، في صرح المستطيل السكوني الثابت.

بُنيَت الأحرف فوق بعضها وارتَصَّت كلبنات بنفس النظام الهندسي العامودي المعتمد في توزُّع الفتحات في البرج، وهذا يمنح الشكل تماسُكًا، وعنصرًا بنائيًا في حركة متصاعدة وإيقاع.. وما يمكن أن ترمز إليه آلية قراءتها "من الأسفل إلى الأعلى" من نهوض، وشموخ، وعزة.

ووجود عدة أنساق من الخطوط الأفقية تترك في النفس شعورًا بالاستقرار، وثباتًا في البنيان، وبالنهاية تتآلف كلّ من الكتل (الأفقية مع العمودية) في تكوين فنّي، ثم تستقر "النقاط عل الحروف" بلونٍ مميّز وتحتلّ المركز.

القلعة بما ترمز إليه، وما لها من "الحسن والحصانة" وثبات الارتفاع: مهيبة الطلّة، قوية البنية، جليلة المقام، عالية أسوارها.. سميكة جدرانها.. عريقة أحجارها.. وهكذا كان شعار العاديّات الجديد محاولة لاحتواء هذه القيم والإشارة إليها بشكلٍ ضمنيّ.

ولا بدّ لي في الختام من شكر الأستاذ الخطاط أمين السم على مساهمته، والتعبير عن الامتنان للصديق الخطّاط عماد محوك الذي ساهم بشكلٍ جاد في إغناء العمل.■

البُعد الثالث في الحضارتين العربية والغربية

(قراءة جديدة في فلسفة شبنغلر)

عصام قصبجي*

كتب شبنغلر:

"إن حشداً لا حد له من الكائنات البشرية يجري في جدول لا ضفاف له، ويطالعنا في مشرعة الجدول ماض مظلم يفقد فيه إحساسنا بالزمان كل قوى التعريف فيه، ويتوسَّل خيالنا القلق، أو المتبرم، بالمراحل الجيولوجية كي يخفي عن الأنظار أحجية غير قابلة للحل أبد الدهر. ويمثل أمامنا في إدبارة الجدول مستقبل لا يقل عن الماضي ظلاماً وانعداماً زمانياً على هذه الشاكلة منشأ الصورة الفاوستية للتاريخ البشري ومصدرها.

وعلى امتداد الماء تمر بنا سلسة أمواج من الأجيال غير المتناهية. وتتسع هنا وهناك سهام من نور متألق، وتتراقص في كل مكان فوق الجدول ومضات تشوش المرآة النقية الواضحة وتعكرها، ومضات تتبدل وتتلألأ وتختفي، وهي ما ندعوه بالأفخاذ والقبائل والشعوب والأجناس التي توحد بين سلاسل من الأجيال داخل هذه أو تلك المنطقة المحدودة من مناطق السطح التاريخي.

واتساع التفاوت في قواها الإبداعية يفرض تفاوتاً في ديمومتها وتغضنها، وعندما تموت القوة الإبداعية تختفي أيضاً إشارات التعريف السيمائية واللغوية والروحية، وتخمد الظاهرة وتذوب ثانية في غضون الأجيال.

ولكن، فوق هذا السطح أيضاً تنجز الحضارات العظمى دورة أمواجها الفخمة الجليلة، وهذه الأمواج تظهر فجأة وتنتفخ متورمة في خطوط جميلة رائعة، ثم تهبط لتستوي وسطح الأرض وتختفي، فيبدو إثر ذلك سطح الماء، مرة ثانية، قفراً يغط في سبات عميق".

"وتولد الحضارة في اللحظة التي توقظ فيها نفس عظيمة الروحانية الأولية للإنسانية الأبدية الطفولة، وتعزل نفسها لتصبح شكلاً مما لا شكل له، وشيئاً محدوداً فانياً مما هو خالد وغير محدود، فتزدهر في تربة رقعة من الأرض خاصة بها، حيث تبقى ملتصقةً بهذه الرقعة شأنها في ذلك شأن النبات، ثم تموت عندما تحقق كل إمكاناتها في أشكال شعوب، ولغات، ومذاهب،

---

* أستاذ النقد الأدبي- جامعة حلب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً رئيس تحرير مجلة بحوث جامعة حلب

وفنــون ودول وعلــوم، وتعــود إلى نفــسها الأولية"[1].

على هـذا النحـو الشعري السوداوي يـصور (شـبنغلر) ظهـور الحـضارات الإنسانية وزوالها، ومن الجلي أنه لا يؤمن بحضارة إنسانية واحدة، أو تاريخ إنساني واحـد، وكأنـه يـردد مـع (غوتـه) أنـه كـان هنالـك دائمـاً إنـسان ولم يكـن هنالـك إنـسانية أو كأنـه يؤكـد أصـداء وجوديـة (كيركغـارد) و (هيـدجر) ذات يـوم: "أنـا وأنـت! أيـة هـوة تفـصل بـين هـذين الوجودين"، وإذا كـان الأمـر كـذلك -ولعله كذلك حقاً- فإن الذات الحضارية كالذات الإنسانية ذات فرديـة مـستقلة لهـا عالمهـا الـذي يتـأبى علـى الـذوبان في الـروح المطلـق، ومـن ثم كـان لا بـد مـن التسليم بأن الحضارات قـوى روحيـة عظمـى تنشد كل واحـدة منـها تحققهـا واكتمالهـا صـوراً من الإبداع تنقش في نسيج الزمـان مناهـجَ علـم، وأنمـاطَ فكـر، وألـوانَ فـن وطـرُزَ عمران، حتى إذا مـا تحققت واكتملت ألم بهـا الـوهن وأدركتـها يـد الفنـاء، وآلـت مدنيـة خاويـة جـرداء تـصفر فيهـا الريـاح كمـا تـصفر في شـجرة يابـسة جفـت عـصارتها وتـساقطت أوراقهـا، مدنيـة متحجـرة تترقـب المـوت وقـد أضـناها السأم، وعصف بها زمهرير الشتاء.

فلنقـل إذن: إن الحـضارات دوائـر روحية منفصلة تجاهد لكي تحقق مظاهر إبداعها في العلوم والفنون والآداب، وهـي في اقترانهـا بـالفراغ اقترانـاً يكـاد يكـون صوفياً إنمـا تختـار لنفسها رمـزاً خاصـاً كأنها تعتصم فيـه بـالخلود، ويغـدو هـذا الرمـز بعد ذلـك لغة مجردة تفسر الأبعاد الروحيـة الكاملـة لهـذه الحـضارة تفـسيراً حدسـياً باطنـاً يقـرأ الـصيرورة ويتنبـأ بالمصير الـذي لا يقهـر ولا يـرد. وآنـذاك فـلا منـاص لنـا مـن أن نبحـث عـن "النـاس" لا عن "الإنسانية" فالإنسانية كلمة مجردة مغرقـة في التجريـد، ومـا ثمـة إلا أنـاس يبحثون عن السكينة بعيداً عن الخوف أو القلـق الـذي لازمهـم منـذ فجـر الوجـود، وهـم يبحثـون عـن هـذه الـسكينة بوسـائل شتى من العلوم والفنون واللغات والآداب، تبعاً للروح الحضاري الـذي ينتمون إليـه، حتى ليغـدو بحثهم هـذا غايـة بعـد أن كـان وسيلة، وبينما كان ينبغي أن يلوذ الإنسان بأخيه الإنسان في بحثه عـن هـذه الـسكينة آثر أن يلجأ إلى الصراع، ويبني أمره على القهر، وبدلاً من أن يفهم الآخر أو يـأنس بـه أراد أن يخضعه، ثم إنـه لم يبحـث عـن ذاتـه أو سـكينته في ثقافـة الآخـر أو فنـه، وإنمـا أراد أن يفـرض ذاتـه علـى ثقافـة الآخر أو فنه صراعاً نابعاً من فقر العقل وخواء الروح.

فلنـسلم إذن، ولـو إلى حـين، بـأن الحـضارات دوائـر مقفلـة لكـل دائـرة منـها رمزهـا الـذي يعـبر عـن شـعورها بـالوجود فـلا يماثـل رمـزاً آخـر أبـداً، ولـنمض مـع شـبنغلر وهـو يحـدد الحـضارات الكـبرى: الفرعونيـــة، واليونانيـــة، والعربيـــة، والغربيـة، ورموزهـا: الـدرب، والحجـم، والكهف، والفراغ، وإنمـا كـان الـدرب رمـز الحـضارة الفرعونيـة لأن المـصري القـديم كـان يـرى الحيـاة الـدنيا معـبراً إلى المـوت، ولـذا بـرع في كـل علـم أو فـن يمـت بـصلة إلى الخلـود، وكـان الهـرم العظـيم محـض قـبر ينتظـر فيـه المـرء أوان الرحيـل إلى عـالم

١- اسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية ٢١٦/١، ترجمة أحمد الشيباني - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٤.

الخلود، وكذا كان التحنيط جهد عالم يتشبث ببقاء الجسم انتظاراً لعودة الروح، وإذن فما نحن في هذه الحياة الدنيا إلا عابرو سبيل، وما هذه الحياة الدنيا إلا درب العبور، وما العلوم والفنون والعمران، إلا وسائل تعين على العبور.

وأما الحضارة اليونانية أو "الأبولونية" فرمزها الحجم، لأن اليوناني كان ينطلق في تصوره للوجود من المشخص المحسوس، وتجلى ذلك في فكره عندما جعل الروح جسماً مكوناً من أجزاء بينها انسجام جميل، وعندما فهم الدولة "مدينة" حدودها ما يدركه الطرف، كما تجلى في فنه عندما فُتن بالجسد الإنساني ينحته تمثالاً بارزاً للعيان، وعندما غلا فشخص الآلهة تشخيصاً إنسانياً بائساً. وواضح هنا أن الحضارتين الفرعونية واليونانية، تفصحان عن الظاهر فحسب من خلال بعدين هما الطول والعرض، وإن كانتا تختلفان في مغزى هذا الظاهر، وواضح أيضاً أن المرئي الحسي الذي تسطع عليه الشمس فلا تبقي فيه شيئاً خفياً هو ما مَثَل فيها للعين من صيرورة زمانية حية تحولت إلى رمز مكاني ميت، وهكذا كان لا بد من ميلاد روح حضاري جديد يجاوز المحدود إلى اللامحدود، وكان لا بد من بعد ثالث هو العمق يضيف إلى ضوء البصر نور البصيرة، وهكذا ولد الروح الحضاري العربي الذي اتخذ الكهف سكناً ورمزاً.

والكهف -أو القبة- إنما هو لواذٌ بالذات، أو غوصٌ فيها، أو استبطان لها يعين على فهمها، ويفسر أسرارها، ومن ثم يعين على فهم الوجود، ويفسِّر أسراره، فيوحّد بين الذات والوجود توحيداً يحررها من القلق، ويعصمها من الخوف، وهكذا لم يعد ثمة بعدان مرئيان لظاهر الوجود، وإنما صار هنالك بعد ثالث لباطن الوجود، هو العمق الذي يتحرر من كل إسار، وينفر من كل سطوة، ويتجاوز المحدود إلى اللانهائي، ويقفز من الأزل إلى الأبد، وبدلاً من أن ينطلق العربي في "الدرب" أو يتوقف عند "الحجم" فلا يدري إلى أين المصير، ولج إلى كهف الذات يستنبئها عن أسرارها، ويستلهمها ألوانها، لينظر من بعد ذلك إلى الوجود وقد انجلى له وجوداً ينتظر دائماً من يميط اللثام عن وجهه الجميل، ومن ثم لم يعد العقل وحده يجوب آفاق الوجود، فقد صار للقلب معه شأن، ولم تعد الفلسفة وحدها تحاول فهم العلة والمعلول، إذ غدا التصوف يبدِّد بجوى القلب العلة والمعلول معاً ليستوي موحداً على جوديٍّ العرفان.

فلندع، إذن، نقاب الغموض مسدلاً على وجه الكون، كما هو مسدل على وجه الجمال، فالعروس واحدة والنُّقُبُ متعددة كما قال الفيلسوف "الحضرمي"، ولنمض مع العارفين في باطن الكهف يرددون قوله عليه الصلاة والسلام:"إن الله جميل يحب الجمال"، وإن كل ما في الكون من جمال إنما هو بعض جماله، وإنه -سبحانه- كان كنزاً مخفياً أراد أن يعرف، فخلق الخلق ليُعرف، فإذا الوجودُ كله مرآةٌ إلهية، وإذا النقطة هي الدائرة، وإذا التصوف غايةِ الفلسفة، وإذا أرسطو قد عاد أفلاطون، ومع أفلاطون فضلٌ من الإشراق والفيض. وبذلك غاص العربي في أعماق الكهف حتى أدرك اللانهائي أو كاد، ثم راح يفصح عنه في

مجالي إبداعه ممتزجاً بصبوة القلب، وصولة الوجدان.

ففي العمران، كان البيت العربي ينطوي على صورة الكهف، إذ يُعرض عن عظمة الظاهر إلى جمال الباطن، فإذا الظاهر جدران صمّاء لا زخرفَ فيها، ولا رونق لها، ولا تكاد تفصح عن شيء، حتى إذا جاور المرء فتحة الباب إلى ممر يطول أو يقصر، كان ثمة صحن يرنو إلى السماء مع أنغام المياه وحفيف الأشجار، تحيط به غرف حفلت بأنماط الزخارف، وأفانين الحسن، ونفائس الرياش، ولألاء الأضواء، في حركة دائرية كحركة الطواف، وتحت بريق النجوم، وسحر القمر: "فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً" وهكذا لم يعد الكهف قرينَ الظلمة وإنما غدا مثوى الرحمة وموئل القلب.

وفي الدولة، لم يعُدْ مرمى الطرف حداً للوطن، وإنما خفقة القلب، وصارت الأرض كلها بعداً واحداً لا حدودَ له، فكنت ترى العربي ينتقل من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق لا يرى في ذلك غربة أو يحس بغرابة. حتى لكأن طريقه كان حريراً خالصاً لا شوك ومن أين يأتي الشوك وقد أنس الروح الحضاري العربي بالإنسان غاية سامية بذاته، لا يُتَوسّل إليها بتراب، أو يُوصل إليها بلون، أو يَحْجُبها حدٌّ، فالوطن هو حيث يخفق القلب متطلعاً إلى صفاء السماء.

وفي العلم انطلق الروح من قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات٢١) فنقّب الخوارزمي عن أسرار الجبر، وكشفَ المجهول الغامض من قوانينه بدلا من أن يولعَ بالمسح الهندسي المتصل بالمحدد المرئي في بعدي الطول والعرض، وبرع ابن حيان في الكيمياء يستنطقها قواها السحرية القادرة على تحويل العناصر، وظهر "الاسطرلاب" يرنو إلى حل لغز الفلك اللانهائي وأبدع الغزالي في تحليل النفس البشرية وأسرارها في "الإحياء" و"المنقذ" وبدا أن كل شيء لا بد له من ردة إلى الذات تحدد قيمته، وتجلو رؤاه، حتى لقد هَدَلَتْ مطوَّقَةُ ابنِ حزم في الأندلس تبوح بأسرار الهوى، وتداوي النفوس.

أما الفن فقد آثر موسيقا الزخرفة -فضلاً عن الموسيقا المجردة- "دائرة سحرية ذهبية لألاءة تحمل الناس بعيداً عن الواقعة الدنيوية إلى الرؤى" فنأى بجانبه عن تصوير المادة في النحت، أو تصوير المشخَّص في المسرح، وغاص في أعماق كهفه حتى شارف المطلق أنغاماً هامسة، ونقوشاً عذاباً تحكي هواجس النفس، وومضات الروح، فتبدأ بالنقطة ثم لا تنتهي بالدائرة حتى تجعل المادة بريقاً سحرياً يخطف الأبصار، ويبعث على الاعتقاد بأن الحامل المادي عدمٌ محض، وألا وجود للأنغام الملونة تتراقص أمام البصائر لا أمام الأبصار، وألا جدران للكهف تعوق الذات عن الفضاء اللانهائي.

ويعضد الموسيقا المزخرفة في ذلك كله لونان: الذهبي الذي يتشح بسحر الغموض خارج الطبيعة، والأزرق الذي يتسامى مع الروح داخل الطبيعة، ويتناغم اللونان فوق القباب اللازوردية، والمآذن السامقة، ويتبدد ثقل المادة أمام همس

النغم، فترهِفُ أنغام الموسيقا، وترهفُ حتى تحيلَ ضريحا أنشأه الهوى، كتاج محل، إلى سيمفونية مرمرية تسبح في الفراغ، فلا تكاد تُسمع حتى تُرى، كأنها الرؤيا يبصرها القلب وتصغي إليها الروح.

والآن! ها قد آتت الحضارة العربية أكُلها رطباً جنياً، وها هي صفرة الغروب تعلو أوراقها المتساقطة، فتنطوي على ذاتها مترقبة الشعاع الأخير. وهناك على ضفة المتوسط الأخرى انبجست مع عصر النهضة حضارة وليدة هي الحضارة الغربية (الفاوستية) التي اختارت الفراغ رمزاً لها، وآثرت القوة والمعرفة والإرادة على الروح، كما فعل فاوست في مسرحيتي "مارلو" و"غوته"، فاوست الذي ارتضى الجحيم الأبدي ثمناً لتوكيد الإرادة، وسلطان الطموح، ولو زمناً يسيراً. وهكذا كان للحضارة الغربية البعد الثالث الذي كان للحضارة العربية من قبلُ، وهو العمق، بيد أنها لم تنطو عليه في كهف الذات، وإنما حلقت به في الفراغ، فاجتاحت الأبعاد، وقهرت المسافات، وطافت في أقطار السماء كما غاصت في غياهب الأرض، وتسلقت الجبال كما جازت المحيطات، واخترعت من الآلات ما سخر الأبعاد كلها لإرادة الحضارة الغربية في قهر العالم وترويضه، وبدا كما لو أن الغربي الفاوستي انفصل عن ذاته وهو يجوب أرجاء الكون ظافراً تعلوه بشائر النصر، فها هو ذا الكون قد أصبح صاغراً طيعاً في يده، وهاهو ذا ميفستو فيليس قد بر بوعده فأعطاه صولجان العظمة، وتوجه بعنفوان القوة، وإن كان قد سلبه روحه.

ولنتلبث ملياً ونحن نتأمل مظاهر الإبداع الغربي، ففي الفكر ظهرت الفلسفات الكبرى كلها تؤكد سطوة الإنسان على هذا الكوكب، وشرع الفلاسفة يميطون اللثام عن ألوهية الإنسان، فما المثالية الكانطية، أو الجدلية الهيغلية، أو المادية الماركسية، أو الذرائعية النفعية، أو الوجودية الكيركغاردية، إلا صور للروح الفاوستي في نزوعه إلى جبروت القوة، وما "نيتشه" إلا الرمز الأكبر لهذا النزوع: **أيها السادة! لقد غدا الإنسان إلهاً وصارت القوة ديناً. والآن! لم يعد ثمة ما هو محظور أو محرَّم، ونزع الحجاب عن كل شيء**، وتوغل "فرويد" في مسارب النفس لا يردعه عن هتك أسرارها أمام الملأ رادع، وبالجملة، نودي فاوست: أن افعل ما تشاء فلا تثريب عليك.

ففي العمران بدأت الكنائس تصافح الغيوم، وعبر النوافذ الملونة كانت العين المفعمة بالضوء تستشرف الأفق البعيد، وظهرت الشرفة، فضلاً عن النافذة، تؤكد الاندفاع في الفراغ بدلاً من الانطواء على الذات، وبدت العمارة الغربية كأنها صرخةٌ جبارة للإرادة تحلّق عالياً في السماء، ولم يعدِ الزقاق الملتوي الضيق الأليف الذي تتهامس فيه النوافذ قادراً على الصمود أمام الشارع العملاق المستقيم الذي لا تكاد تبصر له نهاية.

وفي الدولة ظهر النزوع إلى بسط الإرادة واضحاً جلياً فلم تعد أسوار المدينة حدوداً للوطن وإنما صار الوطن حيث الإرادة الغازية القاهرة حتى لو بلغت أقصى المعمورة أو جاوزتها إلى أقاصي الفضاء.

وفي العلم ظهرت النظرية النسبية تجتاح الأبعاد كلها، وتجعل الزمان جزءاً من معضلة الوجود، ثم توالت النظريات التي تريد تفسير كل شيء من أسرار الإنسان والمادة والطاقة والفراغ، وإخضاعه لإرادة الإنسان الإله لئلا يُفلت أي شيء في هذا الكون العظيم من قبضة الإرادة الإنسانية القاهرة.

أما الفن فقد كان لا بد للروح الحضاري الغربي من فن تتردد في نغماته أصداء الفراغ اللانهائي، ولم يكن التمثال اليوناني المشخّص قادراً على ذلك، كما لم يكن في التصوير الزيتي متّسعٌ لهذه الروح الهلوع، وهكذا علا شأن الموسيقا التي تفصح عن اللانهائي في عظمة شامخة، وكبرياء سامقة، وبدأ التصوير نفسه يتحول إلى نغم، وكانت ابتسامة "موناليزا" "دافنشي" بداية التحول من المحدود إلى المطلق، ومن الواضح إلى الغامض، ومن التصوير إلى التعبير، ومن ثم كانت لغزاً حضارياً تعالت بعده أصداء الأنغام في الفن الانطباعي، والسريالي، والتجريدي، واقتربت شيئاً فشيئاً من النغم الزخرفي العربي.

بيد أن الموسيقا الخالصة ظلت الفن الذي تجاهد الروح الفاوستية لتوكيده، حتى إن "شوبنهور" جعلها غاية الفلسفة، كما جعلها "كانط" غاية الفن، ومع ذلك ظل التشخيص كامناً في الموسيقا الغربية (التصويرية) كما ظل بارزاً في النحت، ولم يقدر للحضارة الغربية أن تتحرر منه كما تحررت الحضارة العربية في الزخرفة، وإذا كانت التماثيل لا تزال تعمُرُ ميادين الغرب، ومعابده، وفنونه، خلافاً لما حَلَمَ به شبنغلر، فلأن الروح اليوناني الذي كان شبنغلر يمقته مقتاً شديداً لم ينطفئ تماماً، وظل يومض حيناً بعد حين، ولم يقدر للغربي أن يعرض عنه أو ينكره أبداً، بينما يأنس العربيّ بالموسيقا الخالصة التي لا تسمعها إلا عين القلب.

وهكذا اندفعت الحضارة الغربية في الفراغ لا تكاد تبصر مواطئ أقدامها، ولا تكاد تستشرف مواقع أبصارها، مثلما انطوت الحضارة العربية على الباطن، وكأنها تخاف من الفراغ، فلا تكاد تطل من كوى الكهف حتى ترتد قانعة مستسلمة إلى سكينة حالمة. وبينما أكدت الحضارة الغربية الإنسان حتى شارفت به مقام الألوهة، نفى النغم الصوفي في القرون المتأخرة من الحضارة العربية الإنسان حتى جعله ظلاً وشبحاً، وبدلاً من أن يردِّد مع الحلاج: أنا الحق توكيداً للذات الإنسانية في الله -كما قال إقبال- راح يردد عن فناء الذات أنغاماً بوذية شاحبة تناهت إليه من الشرق البعيد.

يلوح، إذن، أن الحضارة العربية أسرفت في الغوص على الذات حتى نفتها، كما أن الحضارة الغربية أسرفت في البعد عن الذات حتى نسيتها، أفما من سبيل إلى اللقاء؟ وهل نردد مع شبنغلر أن الحضارات دوائر روحية منفصلة، وأن الحضارة العربية أفلت بينما توشك الغربية أن تأفل فهما قطبان قضي عليهما بالفراق؟ لقد آن لنا أن نحدد بعض الصُّوى في تاريخ الحضارات،

فقد تساقطت أوراق الحضارتين منذ زمن، وآلت الحضارة الغربية إلى مدنية آيلة للسقوط ما فتئت ترتعد من برد الشتاء منذ قرن من السنين، وإذا كان لنا أن نأخذ بظاهر قول "شبنغلر" فلا سبيل إلى إحياء ما اندثر أبداً، بيد أننا نستطيع أن نتأمل في قوله ملياً لنلاحظ أن البعد الثالث، وهو العمق الذي جمع بين حضارتين متعاقبتين أزهرتا على ضفاف المتوسط، يمكن أن يستدير على نفسه كما يستدير الفلك، ليبدع حضارة باطنها الكهف وظاهرها الفراغ، تنطلق من أعماق الذات الإنسانية في كهفها الوادع الزاخر بالألوان والأطياب لتطل على الفضاء السحيق في فراغه الحافل بالعظمة والجلال، وكأنها النقطة والدائرة.

وها هنا تبدو رمزية المتوسط بالغة الدلالة على ما يمكن أن تبدعه يد الزمان، فالحضارتان العربية والغربية تتصافحان عبر مياهه الوادعة، فيبدو وكأنه كهف الأسرار في انغلاقه وتوسطه، ما خلا بعض الكوى في طرفيه تطلان على فراغ المحيطات، أو كأنه العمق الذي تلتقي فيه الحضارتان استعداداً لتوثب جديد عظيم. وإلى أن نسمع موسيقا هذه الحضارة المتوسطة، -أم أقول المتوسطية؟- ربما جاز لنا أن نحلم بعالم ينأى فيه "فاوست" بنفسه عن "ميفستوفيليس" ويبحث عن المعرفة في ذاته الباطنة قبل أن يبحث عنها في المادة الظاهرة، عالم تتحرر فيه الموسيقا من الصور، ويستدير الكهف فيه إلى الضوء ليؤكد نزوعه إلى الفضاء اللانهائي كما أكد سكونه إلى الروح اللانهائي، وما هما إلا حقيقة واحدة.

لقد مضى شبنغلر مثقلاً بتشاؤم مرير وهو يرى آخر الحضارات التي أحبها يتهاوى دون بريق أمل في انبعاث جديد، فالكهف العربي أخلد إلى صمت عميق، والفراغ الغربي استنفد قواه في غروب وشيك، بيد أنه قد آن لنا أن نبصر عبر هدهدات أمواج المتوسط وومضات نجومه بشيراً بحضارة تفهم العمق دائرة وجد تحوم حول الأفلاك في الفضاء اللانهائي، وتدرك كما أدرك جلال الدين الرومي ذات يوم أن الذرة والمجرة تنطويان على الوجود نفسه وهما تدوران حول قطب الوجود الواحد، لأن الذي يفجر طاقة الروح هو كمن يفجر طاقة المادة، ومن ذا الذي يستطيع أن ينفي عن المادة أنها روح متجمدة، وعن بداية الذات أنها نهاية الفراغ؟!

ولا ريب أن ما يبدو من خلاف بين الحضارتين اللتين تحتضنان المتوسط يمكن أن يغدو وفاقاً، فشمس المتوسط الساطعة تستطيع أن تصهر جليد التباعد، وأن تبدد ظلمات التنافر، حتى يستبين أن اللواذ بالكهف هو بداية التسامي إلى السماء. ■

في الأعداد القادمة

عمارة الكنائس في سوريا

هل يصبح العيد الوطني السوري "عيد الإخاء الديني الأمثل في العالم"؟

جورج جبور*

جملة قصيرة في كتاب أيقظت في الذاكرة مروية عائلية سمعتها أيام الطفولة، هي في أصل حديثي اليوم. فأما الجملة القصيرة فقد وردت - على حد ما أذكر- في كتاب للدكتور نجيب الأرمنازي نشره معهد الدراسات العربية العليا أوائل إحداثه عام ١٩٥٣، وليس الكتاب ولا الجملة فيه، بين يديّ. مؤلّف الكتاب، نجيب الأرمنازي، كان سفيرا لسورية في لندن وكان أيضا أمينا عاما للقصر الجمهوري السوري. وكتابه محاضرات عن سورية، من الانتداب إلى الجلاء، ألقاها في رحاب معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة الذي أنشأه ساطع الحصري خريف عام ١٩٥٣، مرتبطاً بجامعة الدول العربية، لكي يعمل على تأصيل القومية العربية، على أسس علمية.

وقد جرى في منتصف السبعينات تغيير اسم المعهد فاصبح يعرف باسم "معهد البحوث والدراسات العربية"، وتمّ ربطه بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ومن حسن حظي أنني كنت على صلة بالمركز منذ عام ١٩٧٣، فقد حاضرت أمام طلابه بدءاً من ذلك العام، كما ترأست قسم السياسة فيه بين عامي ١٩٧٧ و١٩٧٩. ورئيسه الحالي هو الصديق الدكتور أحمد يوسف أحمد الأكاديمي المصري المتميّز المؤمن بالقومية العربية.

في الجملة القصيرة، التي وردت في كتاب الأرمنازي، إشارة إلى تغيير الحكومة السورية موعد العيد الوطني السوري قبل أيام قليلة من حلول ذلك الموعد. أبدى الدكتور الأرمنازي

* أستاذ محاضر في الدراسات العليا في كلية الحقوق - جامعة حلب.
عضو مجلس الشعب السوري، رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة.

استغرابه الخطوة التي أقدمت عليها الحكومة إذ قامت بذلك التغيير، فجعلت الموعد يوم/١٧/ نيسان بعد أن كان يوم /١٨/ نيسان. أيقظت الجملة القصيرة في الذاكرة مروية عائلية سمعتها أيام الطفولة فأعطتها صدقية وألقاً كما سيرد في موقع لاحق من هذا الحديث.

تبقى الجملة كما تبقى المروية العائلية بحاجة إلى تدقيق أكثر صرامة علمية من التدقيق الذي قمت به حتى الآن.

إلا أن علينا البدء من البداية.ولعل البداية تعود إلى الأيام الأخيرة من آذار ١٩٤٦ أو إلى الأيام الأولى من نيسان ١٩٤٦.

في تلك الأيام، كما أقدّر، أبلغت الحكومتان البريطانية والفرنسية الحكومة الوطنية السورية بان إكمال جلاء القوات البريطانية والفرنسية المعسكرة في سورية سيكون في الخامس عشر من نيسان ١٩٤٦، وبالتحديد في الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين ١٩٤٦/٤/١٥. ففي تلك الساعة سيغادر الفيلق الهندي (التابع للقوات البريطانية) دمشق، وبذلك تكتمل عملية جلاء القوات الأجنبية عن سورية بكاملها.

رأت الحكومة السورية أن العيد الوطني السوري ينبغي أن يكون يوم الخميس ١٩٤٦/٤/١٨، أي بعد ثلاثة أيام من استكمال خروج القوات الأجنبية، لكي يتمّ باطمئنان اتخاذ الترتيبات الضروريّة للعيد. ثمّ أن هذا العيد الوطني، بأهميته القصوى، ينبغي أن يتبعه يوم احتفالي ثان هو الجمعة ١٩٤٦/٤/١٩، وهو يوم العطلة الأسبوعية السورية كما هو معلوم. وفي الجرائد السورية الصادرة صباح يوم الخميس ١٩٤٦/٤/١١ نشر برنامج احتفال اليومين:

يومي /١٨/ و/١٩/ نيسان ١٩٤٦. ومن المرجح جداً أن قرار الحكومة السورية هذا بالاحتفال يومي /١٨/ و/١٩/ نيسان إنما اتخذ يوم الأربعاء ١٩٤٦/٤/١٠ حين نشر قرار الحكومة السورية هذا ثارت موجة احتجاج لدى مسيحيّي سورية كافة.

لماذا؟ العيد الأول لدى المسيحيّين في كلّ أرجاء العالم هو عيد الفصح المجيد. إنّه عيد ثبوت رسالة المسيح بقيامته من القبر وصعوده إلى السماء وجلوسه إلى يمين الآب. يقع هذا العيد دائماً في يوم أحد، وفي الأرجح أنّه يوم أحد في نيسان، مع احتمالات وقوعه في آذار أو في أيّار. حساب عيد الفصح له تقاليد مرتبطة بالقمر. وتختلف تقاليد الحسابات الفلكيّة في تحديد الموعد بحسب الفئتين الكبيرتين في المسيحية. فالطوائف المسيحيّة التي تتبع التقويم الغربي لها حساباتها وكذلك للطوائف المسيحيّة التي تتبع التقويم الشرقي حساباتها. وفي العادة يكون موعد الفصح حسب التقويم الغربي سابقاً لموعد الفصح حسب التقويم الشرقي. إلا انّهما يتفقان في بعض السنوات فيكون موعد الفصح موحداً. وفي العادة أيضاً حين يتفق الموعدان يكون اتفاقهما موضع

سعادة مضاعفة للمسيحيّين في الدول التي تضم مسيحيّين من الفئتين الشرقية والغربية، وهذا شأن سورية ولبنان وبلاد الشام عامّةً. ولا بأس أن أذكر هنا أن توحيد موعد الفصح شغل شاغل للمسيحيّين في سورية، وأن الطوائف المسيحيّة التي تتبع التقويم الغربي تتجه بإصرار نحو الموعد الذي تتبنّاه الطوائف المسيحيّة التي تتبع التقويم الشرقي. ومن المأمول أن يتمّ توحيد الموعد -نهائياً- في السنوات القليلة القادمة، بعد إزالة بعض العقبات التي يعتبرها أنصار التوحيد ثانوية. ولا بأس أن أذكر هنا أيضاً أن من تقاليد الدولة السورية اعتبار الموعدين كليهما عطلة رسمية سورية، وأن سورية في هذا إنما هي واحدة من دولتين اثنتين فقط في العالم تعتبر أن موعدي الفصح عطلة رسمية. الدولة الثانية هي لبنان. وفي التعطيل رسميّاً في موعدي الفصح دلالة إضافية على احترام الدولة السورية لمشاعر مواطنيها المسيحيّين كافةً.

قلت أن موعد عيد الفصح هو يوم أحد، قولاً واحداً. ويسبق هذا العيد يوم هام جدّاً يحضّر للفصح هو يوم الجمعة العظيمة الذي كان يدعى يومَ الجمعة الحزينة على ما أذكر من أيّام الطفولة. لماذا تمّ تغيير صفة الجمعة من الحزينة إلى العظيمة؟ لا أدري.

وبحسب المعتقدات المسيحيّة تمّ في يوم الجمعة العظيمة صلب السيد المسيح وتمّت وفاته على الصليب ممّا أصاب المؤمنين به بحزن عظيم. يوم الجمعة العظيمة إذن يوم حزن عظيم لدى المسيحيّين في كل أرجاء العالم.

حين نشر قرار الحكومة السورية بالاحتفال بالجلاء يومي الخميس والجمعة في /١٨/ و/١٩/ نيسان ثارت موجة احتجاج لدى مسيحيّي سورية كافة، ولا سيّما لدى مسيحيّي دمشق، هذه المدينة الخالدة التي كانت تحتضن آنذاك بطريركيّتين هامّتين هما بطريركيّة الروم الأرثوذكس وبطريركيّة الروم الكاثوليك. ولهما جهادهما المعروف ضد الانتداب الفرنسي.

ثارت موجة الاحتجاج التي شملت المسيحيّين السوريّين كافة لأنّ الحكومة قرّرت الابتهاج وطنيّاً يوم الجمعة ١٩٤٦/٤/١٩، وكان يوم الفصح واحداً ذلك العام بين مسيحيّي التقويم الغربي ومسيحيّي التقويم الشرقي. قال المسيحيّون: كيف نستطيع الابتهاج بالجلاء يوم الجمعة /١٩/ نيسان وهو عندنا يوم حزن عظيم؟

نشر قرار الاحتفال يومي ١٨-٤/١٩/ ١٩٤٦، نشر في الصحف الصادرة صباح ١٩٤٦/٤/١١. فما أن أتى صباح ١٩٤٦/٤/١٢ حتى ظهرت الصحف، وفيها أن العيد الوطني السوري إنما هو يوم الأربعاء في /١٧/ نيسان، وأن اليوم الاحتفالي الثاني سيكون الخميس في /١٨/نيسان. أما يوم الجمعة ٤/١٩/ ١٩٤٦فقد غاب عنه الابتهاج الرسمي بالجلاء. لماذا؟ لكي يستطيع المسيحيّون ممارسة شعائرهم في التعبير عن الحزن بسبب ذكرى آلام السيد المسيح على

الصليب. هذا في تقديري، أما الصحف فكانت صامتة عن هذا الموضوع.

ماذا جرى بالضبط يوم الخميس ١٩٤٦/٤/١١ حتى غيّرت الحكومة السورية قرارها، وسبقت موعد العيد الوطني السوري؟ تلك صفحة مجهولة في تاريخنا السوري المعاصر، صفحة تملؤها في ذاكرتي مروية عائلية سمعتها أيام الطفولة، وأيقظتها جملة قصيرة في كتاب الأرمنازي.

المروية العائلية، سمعتها في منزل السيد الوالد (رحمه الله)، من المحامي الأستاذ جميل الكوسا، اللبناني من قضاء عكار، وهو عم السيدة الوالدة (رحمهما الله)، وكان من شخصيات الكتلة الوطنية السورية في لبنان. وعمل عام ١٩٣٦ كما عملت شخصيات عديدة من لبنان الشمالي في محاولة إلحاق لبنان الشمالي بدولة الوحدة السورية الوليدة آنذاك. وثمة ذكر متكرّر له في كتاب المراحل للدكتور عبد الرحمن الكيّالي (رحمه الله) الذي يؤرخ بدقة لتلك الفترة.جميل الكوسا كان صديقاً للبطريرك الأرثوذكسي في دمشق، بارزاً في طائفة الروم الأرثوذكس، كما كان صديقاً لسماحة المفتي عبد الحميد كرامي بحكم انتمائهما معاً إلى الكتلة الوطنية. تقول المروية أن البطريرك الأرثوذكسي طلب من صديقه جميل الكوسا أن يشرح الوضع لسماحة المفتي كرامي، لكي يقنع سماحته فخامة الرئيس القوتلي بتسبيق موعد العيد الوطني السوري، وأن فخامة الرئيس القوتلي استجاب لوساطة سماحة المفتي، فكان القرار بالتسبيق.

هل المروية العائلية دقيقة؟ ذات يوم أحببت التدقيق في صحة المروية، فعدت إلى الجرائد السورية الصادرة في تلك الفترة التي تضمها مكتبة الأسد. لم أجد أي ذكر للسبب الذي حدا بالحكومة، يوم ١٩٤٦/٤/١١، إلى تغيير رأيها بشأن موعد العيد الوطني. لكنني تيقنت أن التغيير قد حصل. للمروية العائلية إذن نصيب من الصحة، نصيب ما، قد يكون ضعيفاً وقد يكون قوياً، والبحث مطلوب في كلّ حال.

لماذا لم تذكر الصحافة السورية سبب التغيير؟ ذلك سؤال هام يبنى جوابه على أساس جواب عن سؤال آخر يسبقه: هل بحثت في كل الجرائد المتوافرة عن سبب التغيير؟ الجواب:كلا. إذن قد تكون جريدة ما قد توقفت عند سبب التغيير. لا أدري.

إلا أن أمراً آخر يشغل البال: لماذا لم تذكر التغيير الأدبيات السورية الكثيرة المؤرخة للجلاء؟ في ما عدا تلك الجملة القصيرة التي وردت في كتاب الأرمنازي لم أجد في أي من الكتب - المراجع عن تلك الفترة أية إشارة إلى حادثة لا ريب أنها هامة جداً بدلالاتها

إذا كانت الكتب - المراجع أغفلت ذكر تلك الحادثة، فهل للحادثة مكان في ذاكرة معاصري تلك الفترة من رجالنا الأكفاء الجادّين؟

قبل سنوات سألت العلامة الدكتور عبد اللطيف اليونس عن الموضوع. وكان يكتب مذكراته الغنية. فأعرب عن عدم معرفته لكنه، بكياسته الشهيرة، أشار في مذكراته إليّ وإلى حادثة تغيير الموعد ولم يعلّق. وعلمت قبل نحو من عام أن الأستاذ عبد الله الخاني، الوزير والسفير والقاضي الدولي يدون مذكراته، أو بالأحرى يهيئها للنشر. كان لي معه حديث هاتفي بشأن تغيير الموعد فأفادني بأنه لا يعلم شيئاً عن الموضوع. لكنه عاد وهاتفني بعد أيام وقال أن الحادثة صحيحة، وفهمت منه أنه سيوثقها. ثم كانت ظروف صحية منعته من التوثيق، كما أظن، ومنعتني أدباً من المتابعة معه بهذا الشأن. أدعو الله أن يحفظ علينا صحته الغالية.

ومنذ أن تبيّن لي أن في مكتبة الأسد ما يثبت أن التغيير قد تم، أخذت أذيع هذه الحقيقة بين الناس، وفي محاضراتي، مستحثاً شيوخنا على إيقاظ ذاكراتهم بهذا الشأن، فلا أتلقى وجبةً تغني من جوع. بل ومن الطريف جداً، أو من المخيف جداً، أنّني سئلت عن التغيير في برنامج تلفزيوني سوري، بث على الهواء مباشرة من القاعة التذكارية في مجلس الشعب، وكان ذلك صبيحة يوم ٢٠٠٤/٤/١٧، فذكرت الحادثة بتفاصيلها. ومع ذلك لم أتلق أي اتصال بشأن ما ذكرت، ولم أبلغ بتلقي التلفزيون أي اتصال. كأنّ ليس عندنا جمعية تاريخية سورية. كأنّ ليس عندنا أقسام للتاريخ في جامعاتنا. كأنّ تاريخ سورية المعاصر لا يعني أحداً. أو كأنّ أحداً لا يتابع التلفزيون السوري، والله أعلم.

متابعة للبحث في هذه النقطة الغامضة من تاريخنا الحديث أحب أن أقترح جدول أعمال كالتالي:

١ - لنتأكد من الحادثة التاريخية التي أشير إليها، ولنتابع كل دقائق ما جرى يوم الخميس ١٩٤٦/٤/١١.

٢- فإذا صحّ ما أثبته المرويات الشفهية فلنحاول الاستفادة من حادثة تاريخية، يقل مثيلها في العالم، بل ومن المرجح أنه ليس لها مثيل في العالم. ولنفتح الباب للاجتهاد في هذا المجال.

٣- ثمّ إنني أجتهد كما يلي: في أيامنا هذه حيث يراد لصراع الأديان والحضارات أن يكون الأقوى في العلاقات الدولية، لماذا لا نحاول أن نقوم بجهد لكي يعتبر اليوم الوطني السوري يوماً للإخاء الديني الأمثل في العالم؟ ولتكن بداية الجهد في هذا الشأن عن طريق هيئاتنا الدينية السورية والعربية، إسلامية ومسيحية، وليكن هدفنا الثاني أن تتبنّى الأمم المتحدة اقتراحاً بهذا الشأن يساعد في تخفيف التوترات بين المسيحية والإسلام، تلك التوترات التي يؤججها البعض. ولا ريب أن نجاح هذا الجهد سيكون، في المقام الأول، لمصلحة سورية دولة الإخاء الديني الأمثل في العالم.■

عبد المسيح أنطاكي

"نديم الكواكبي" المجهول

سعد زغلول الكواكبي*

بعد وفاة عبد الرحمن الكواكبي فجر ٦ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ ١٣ حزيران ١٩٠٢ م، و في شهر نيسان من العام التالي ١٩٠٣ صدر العدد الأول من جريدة القاهرة نصف الشهرية في "القاهرة" تتضمن الإشارة من صاحبها "بشير اليوسف" على أنه سينشر من أقوال الكواكبي في الأعداد التالية ما لم يكن معروفاً منه في ميدان النشر.

وبالفعل فلقد نشرت"القاهرة" ترجمة حياته وبعض أقواله في محاكمته المشهورة ببيروت. كما نشرت مقالات بقلم كاتب اتخذ لنفسه لقب"نديم الكواكبي" دون توضيح حقيقة الاسم، ولكن "بشير اليوسف" أشار إلى أنه الصديق الحميم للفقيد الكواكبي وملازمه في سورية ومصر.

و لما كان أخي المرحوم عبد الرحمن الكواكبي في نيويورك اكتشف في مكتبتها مؤلفاً لـ "عبد المسيح الأنطاكي" إسمه "دليل مصر والسودان" أورد فيه أنه لديه مجموعة مقالات منقحة من "طبائع الاستبداد" بخط الكواكبي. وبما أن الأنطاكي كان قد نشر في جريدة العمران (التي استبدلت اسمها من "الشهباء") مقالات للكواكبي حينما كان حيا، فقد دل كل ذلك على أن من كتب في "القاهرة" باسم "نديم الكواكبي" ما هو إلا "عبد المسيح الأنطاكي" الذي اشتهر بذلك اللقب.

فمن هو "عبد المسيح الأنطاكي"؟

كنا نعرف أنه حلبي من مواليد حلب وأبوه" فتح الله الأنطاكي"من مواليد حلب أيضاً ولكنه من أصول يونانية انتقل أهله من اليونان إلى حلب كما يقول" قسطاكي الحمصي" في تاريخه "أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر"، ولكننا لم نتعرف على أسرته. وقد حاولت عبثاً معرفتها بالاستعانة بقيود كنيسة الروم الأرثوذوكس التي يتبعها كل المهاجرين من أنطاكية أو اليونان، وبسائر الأسر الحلبية التي يلقب أهلها بلقب "الأنطاكي" فلم يسعفني أحد بمعرفة أسرة "عبد المسيح" التي ليست بينها وبينهم قرابة.

* رئيس سابق لجمعية العاديات، قاض سابق، محام وكاتب

و مرت الأيام حتى ربيع هذا العام ٢٠٠٤ إذ كنت في بيروت حيث أُنبئتُ بأن محامياً صديقاً لي من أيام الشباب يدعى بطرس الأنطاكي الذي هجر حلب في أواخر الخمسينات من القرن المنصرم موجود في بيروت وقد انقطعت عني أخباره وجهلت مهجره ومقره. فبحثت عنه حتى لقيته بعد غياب طويل وسعدنا بالتلاقي بعد طول فراق وانتهزت الفرصة لأسأله عما إذا كان يعرف أسرة "عبد المسيح الأنطاكي" الحلبي فإذا به يفاجئني بأن المسئول عنه هو عمه أخو أبيه "نجيب الأنطاكي" وابن جده "فتح الله الأنطاكي" صديق جدي" عبد الرحمن الكواكبي" وأسرته مسجلة في القيود المدنية بحلب بمحلة العزيزية في الحقل ١٩٢/٤ بالسجل ٥٤، وهو (صديقي بطرس) وإخوته القاطنين في لبنان منذ منتصف الخمسينات أولاد نجيب الأنطاكي أخي "عبد المسيح" بن فتح الله الأنطاكي

و بالتحقيق منه ومما جاء بأقوال "قسطاكي حمصي" في تاريخه المذكور ومن "الملحمة العلوية" التي نشرها السيد حسين الأعلمي متضمنة قصيدة الأنطاكي في مدح "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه في خمسة آلاف وخمسماية وتسعة وخمسين بيتاً مع مقدمة بقلم الأنطاكي، تمكنت من إثبات المعلومات التالية عنه:

- في كتاب بطرك الروم الأرثوذوكس لأنطاكية وسائر المشرق الذي كان مطراناً في حلب: "أقدم عائلات مدينة حلب" ثبت لهذه الأسرة إذ يقول إنهم اسرة "السكاكيني"من قرية "دير القمر" في لبنان، هاجرت أسرتهم إلى قرية "السويدية" على الساحل السوري عند مصب نهر العاصي في سفح جبل الأقرع، من أعمال مدينة "أنطاكية"، سنة ١٠٥٤م استمروا فيها معروفين بأسرة "السكاكيني" حتى سنة ١٤٥٠ م إذ هاجروا إلى حلب، وفي حلب اشتهروا بلقب "الأنطاكي" نسبة إلى البلد الذي قدموا منه باعتبار "السويدية" من أعمال "أنطاكية". شأن كل مهاجر من أنطاكية صار يعرف بـ "الأنطاكي"، وهم كُثُرٌ في حلب وليست بينهم قرابة.

- وفي مدينة حلب، وحوالي سنة ١٨٨٥ م شكّل عبد الرحمن الكواكبي مكتب محاماة وعين في لجنة فحص وانتخاب المحامين وكان من تلامذته المحامي الأرمني "زيرون جقمقجيان" الذي اضطهده الوالي جميل باشا واتهمه بمحاولة قتله بتحريض من الكواكبي واعتقله وغيّبه في السجون خارج حلب حتى مات أو قتل، كما كان في مكتبه صديقه "فتح الله الأنطاكي". ولا أزال أحتفظ بعقد كفالة تعهد بها الكواكبي والأنطاكي جهة أخرى بكفالة تجارية. ومما لا شك فيه أن فتح الله هذا قد سار على منوال الكواكبي في التصدي للوالي الظالم، فلقد خاصمه في قضية أمام القضاء فحنق عليه وحاول اعتقاله فهرب إلى استنبول ولم يعد إلا بعد انتقال جميل باشا. وفي هذه الأثناء كان"عبد المسيح" الذي بلغ من العمر أحد عشر عاماً -إذ كانت ولادته في سنة ١٨٧٤- قد ثابر على دراسته وإتقانه اللغة العربية وسائر العلوم الإنسانية على يد أستاذه الكواكبي. ولا استبعد أن دراسته كانت على مقاعد "المدرسة الكواكبية" التي كان الكواكبي يدرّس فيها. وهو لا بد أن يكون قد اطلع على صحيفتي "الشهباء" و"اعتدال" اللتين أصدرهما الكواكبي خلال عامي ١٨٧٧ و١٨٧٩ وصمم على تقليد أستاذه، حتى إذا بلغ من العمر ثلاثة

وعشرين عاماً أصدر سنة ١٨٩٧ مجلة "الشذور" (كما جاء في مقدمة حسين الأعلمي) التي لم أعثر على نسخة منها. كما أن دراسة الأنطاكي على يد الكواكبي وملازمته إياه تلميذاً مخلصاً قد جعلته مطلعاً على نسب أسرته واتصالها بالصفويين وإدراكه العداوة التي كانت بين الشاه اسماعيل الصفوي (حفيد أخي محمد أبي يحيى الكواكبي دفين ضريحه بحلب وأول مهاجر إليها من أسرة الكواكبي) وبين الأتراك، مما كرّس بغضه للأتراك ومشاركة الكواكبي بالمناداة بخلافة العرب ومسايرته في النضال ضد الاستبداد العثماني بالعرب، حتى إذا فر الكواكبي إلى مصر عام ١٩٠٠ لم يلبث "عبد المسيح" أن التحق به عام ١٩٠١.

ولئن كان "قسطاكي حمصي" قد أشار إلى ما قبل عن ميل عبد المسيح إلى المذهب الشيعي فإنني أرد ذلك إلى ما عرفه الأنطاكي من صلة نسب بين الأسرة الكواكبية والأسرة الصفوية مما أضافه إلى دراسته الخاصة التي انتهى منها إلى الإعجاب بعلي بن أبي طالب وبآل البيت ومنهم الأسرة الكواكبية التي حملت لواء نقابة الأشراف بحلب نظراً إلى اتصال نسبها بالإمام علي. وقد أشار السيد حسين الأعلمي في كتابه "الملحمة العلوية" إلى ميل الأنطاكي إلى المذهب الشيعي مما جعل المرحوم العلامة "حسن محسن الأمين" إلى الجزم بأن كون عبد الرحمن الكواكبي شيعياً وكون عبد المسيح الأنطاكي تلميذه الملازم جعل من الأنطاكي ميالاً إلى المذهب الشيعي أسوة بأستاذه وبدليل قصيدته الملحمة ومديحه آل البيت. أما أنا وأفراد أسرتي لا نعرف عن جدنا إلا كونه لم يفرق بين المذاهب الإسلامية مطلقا.

نعود إلى عبد المسيح فنجد أنه قد غادر حلب سنة ١٩٠١ لا حقاً بأستاذه الكوكبي إلى القاهرة التي سبقه إليها عام ١٩٠٠ في رحلته الأولى التي قطعها في زيارة إلى حلب سراً ليبيع دار زوجته وليحمل معه المال إلى المهجر المقصود، ومن هذا التاريخ في القاهرة بدأت عودة الأنطاكي إلى ملازمة أستاذه الكواكبي حتى وفاة هذا في ١٣ حزيران ١٩٠٢، فلقد رثاه الأدباء والشعراء والكتاب ومنهم تلميذه "عبد المسيح" الذي يظهر من خلال كلماته في الرثاء أنه بات يخشى بطش السلطة القاهرية به هو أيضاً تشبهاً ببطش سلطان الآستانة، فراح يجوب البلاد العربية داعية عروبياً محضاً، مما أثار حفيظة الأتراك ضده حتى أن "ناظم باشا" والي بغداد وهو من أفراد جمعية الاتحاد والترقي اللذين أشهروا تعصبهم للطورانية قد طرده من بغداد إذ علم بما يكتبه الأنطاكي من مدائح وقصائد يمدح بها المشايخ والأمراء العرب وبالأخص الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح وسواهم ممن التجأ إليهم وراح يبث الدعوة لهم ويشجعهم على النداء بالقومية العربية.

وهكذا نكون قد اطلعنا على نشاط الأنطاكي الذي تابع به نشاط أستاذه الكواكبي.

هذا ما تمكنت من أن أحيط به "عبد المسيح الأنطاكي" الحلبي من كشف عن سيرته الرائعة، مبدياً أسفي الشديد لعدم اهتمام المسؤولين والأدباء في سورية ولبنان بتاريخ هذا الإنسان العربي الرائد وعدم تسمية شارع على الأقل باسمه في مدينته حلب ■

توظيف قلعة حلب سياحياً

شانط كيراغوصيان*

الشعور القديم بالقلق إزاء التغير المستمر في الحضارات والعصور جعل الإنسان يجد في العمارة وسيلة التحرر من هذا المتغير الذي غدا مصدر قلقه وخوفه حيث ارتبطت به فكرة الموت ما جعله يتجه إلى العمارة الحربية والقلاع الدفاعية بحثاً عن الحياة الخالدة، ومن بين الأساليب التي اختارها للحفاظ على حياته، كان إنشاء القلاع والاهتمام بها.

فكرة المشروع:

- توظيف القلعة أو أي بناء أثري سياحياً يعني توفير كل الخدمات التي يحتاجها السائح خلال زيارته لهذه القلعة أو البناء الأثري من (مطاعم، كفتيريا، شرُفات، أسواق تقاليد شعبية، متاحف، صالات عرض، مكاتب أدلاء سياحيين، مكاتب سياحية، مكاتب للإعلام و بيع بطاقات لأهم المهرجانات والنشاطات الثقافية التي تقام خلال القلعة أو المدينة، صالات لعرض أفلام وثائقية عن القلعة، قاعات اجتماعات، قاعات مؤتمرات، قاعات إنترنت... إلخ).

- كل هذا مع الحفاظ على طراز وروح البناء دون تغيير أي معلم من معالمه الأثرية.

دراسة المشروع:

لكل مشروع في هندسة العمارة الداخلية مشكلة وعندما يستطيع المعماري أن يصل إليها يكون قد تغلّب على معظم العوائق التي سيواجهها في إتمام عمله بجو يؤمن الارتباط الوثيق لجميع القاعات مع بعضها البعض.

نتيجة لإحصائيات قمت بها خلال مراحل دراستي للمشروع (من عام ١٩٩٥ و حتى عام ٢٠٠٠) تبين لدي أن ١٢٥ قلعة في العالم مرممة وموظفة سياحياً منها قلاع في: إيطاليا، وإنكلترا، وفرنسا، وإسبانيا، وألمانيا، وبولونيا... إلخ. وكلها داخلة ضمن التصنيف العالمي مع أن بعض القلاع الموظّفة لا تزيد مساحتها عن مساحة قاعة واحدة من

---

* مهندس ديكور.

قاعات قلعة حلب.

مثال: قلعة (San Valentinoro) في إيطاليا حيث مساحة القلعة كاملة ١٨٥ متر٢ (بدون السور الخارجي) موظفة لتكون معرض مجوهرات عصر النهضة التابعة لشركة (Orafa) العالمية.

اختيار قلعة حلب من بين القلاع الدفاعية السورية:

- تعتبر قلعة حلب أكبر قلعة في سورية بل أكبر قلعة في العالم تقع وسط مدينة.
- يعتبر تل حلب (قلعتها حالياً) من أقدم قلاع العالم يعود إلى الألف الخامس ق. م.
- موقعها الاستراتيجي في قلب المدينة القديمة لذلك توظيفها سياحياً يروج السياحة ليس في القلعة فحسب بل في المدينة القديمة بأكملها.
- ارتفاعها المتميز حيث تقع على أكروبول مدينة حلب بارتفاع ٥٨م عن مستوى الأرض وهذا يتيح الفرصة للاستفادة من أبراجها كشُرفات تطل على المدينة بكاملها.
- تحوي على عدد كبير من القاعات المرممة والمسقوفة على غرار بعض القلاع السورية.
- جمال قاعاتها من حيث كبر مساحتها وارتفاعها.
- مرت على هذه القلعة عصور عديدة لذلك فإن السائح -مهما كانت جنسيته- سيشعر أن القلعة جزء من حضارته.
- تتميز قاعات القلعة بأن كل قاعة بنيت في عصر معين و هذا يمكّننا من استغلال تلك الميزة في تصميم العمارة الداخلية فتُصَمَّم كل قاعة ضمن طراز العصر الذي بنيت فيه تخليداً لذكراه.
- كونها قلعة دفاعية تتميز بكل مميزات طراز العمارة الدفاعية التي تفتقر كثير من القلاع السورية بل بعض القلاع العالمية أيضاً إليها.
- وفرة الخدمات الحديثة للسياح في مدينة حلب.

الدراسة التحليلية لأهم أقسام القلعة كما تم توظيفها سياحيًا في الدراسة:

البرج المتقدم الأمامي:

يضم قاعتين:

- **القاعة الأولى**: من اجل استقبال السياح والإعلام عن آخر النشاطات الفنية والثقافية والمهرجانات المقامة ضمن القلعة أو المدينة.
- **القاعة الثانية**: من اجل قطع التذاكر وتسجيل أسماء السياح للدخول إلى القلعة.

الممر الرئيسي لبرج القلعة:

سيتم توزيع قواعد على طرفي الممر لعرض بعض اللوحات الإعلانية عن آخر النشاطات الفنية والثقافية المقامة داخل القلعة.

قاعة الأحصنة (الأسطبل):

يمكن أن تصبح مكاتب لشركات



سياحية تؤمن للسياح حجوزات للسفر براً وجواً ضمن مناطق المدينة وخارجها.

قاعة مستودعات الذخيرة:

موظفة ضمن الأقسام التالية:

- قسم مخصص لمكتب المدير والإدارة.
- قسم مخصص لشركات الترميم وفنيي الصيانة داخل القلعة يضم ستة مكاتب مزودة بأجهزة الحاسوب (لكل شركة مكتب).

الممر الرئيسي لشارع سوق القلعة:

ستوزع على طرفي الشارع حوانيت لبيع الأعمال اليدوية التقليدية والهدايا التذكارية لنسترجع ذكريات سوق القلعة القديم بروح العصر الحديث.

القاعة البيزنطية:

موظفة لتصبح قاعة معارض تسع لأكثر من ٣٥ ركناً فنياً مع ركن للاستعلام.

قاعة مستودعات حبس الدم:

- وظفت هذه القاعة لتكون قاعة معارض دائمة لأهم الفنانين السوريين.
- هذا بعد أن تمت دراسة الإنارة والتكييف المركزي والشراقات وطريقة عرض اللوحات والمنحوتات.
- تتسع القاعة لأكثر من ٨٥ عملاً فنياً فنياً.

قاعة التنفيذ لحبس الدم السفلى:

موظفة لتكون قاعة منحوتات معاصرة لأهم الفنانين السوريين تتسع لأكثر من ٥٥ عملاً فنياً مرفقة بلوحات تروي قصة هذه القاعة المهيبة.

القاعات الدفاعية الأربعة للجامع الكبير:

موظفة لتكون متحفاً لتوضيح أهم كتابات جدران القلعة مع مخططات لنسخ أصليه لها يستطيع أن يقتنيها السائح المهتم.

ثكنة إبراهيم باشا:

موظفة لتكون مطعم القلعة وقاعة أفراح لنسترجع أيام كانت تقف فيها الجوقة الموسيقية صباح كل يوم أمام هذا المبنى وتعزف الأناشيد الحماسية.

تتسع القاعة لأكثر من ٣٥٠ شخصاً وتزوّد بمطبخ للتخديم على مساحة ١٤٥م^{2}.

سطح البرج السفلي لثكنة إبراهيم باشا:

وُظِّفَ ليصبح شُرفة للقلعة مسقوفًا بعريشة، وتُقَدَّم المأكولات والمشروبات الشعبية المتوارثة في مدينة حلب والأراكيل التقليدية.

قاعة المستودعات الشرقية (مستودعات القصر الملكي):

وظفت هذه القاعة كمتحف لتمجيد أهم الشخصيات التاريخية التي مرت على القلعة من الآلهة والكهنة والأمراء والملوك والسلاطين من الألف الخامس ق.م. حتى العصر الحديث تخليداً لذكرى هؤلاء الذين تركوا لنا هذا الإرث الحضاري الثمين.

القصر الملكي:

توظف باحة القصر الملكي مع الإيوان والقاعات المجاورة لتكون متحفاً لأهم ما عثر عليه في القلعة من معالم أثرية تسع لأكثر من ١٢٥ قطعة أثرية فريدة.

حمام القصر الملكي:

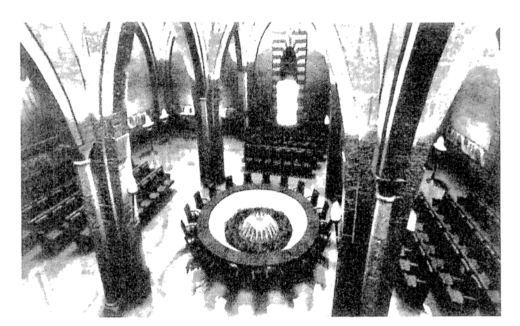
موظفة لتكون متحف شمع وهي عبارة عن شخصيات مصنوعة من المادة الشمعية موزعة في أقسام قاعات الحمام الثلاثة (البراني، والوسطاني، والجواني) وكل مجموعة تقوم بأداء دورها حسب القسم التي هي فيه.

قاعة العرش:

- مساحتها (٥٩٨م^{٢}) وارتفاعها (٨,٥٠ م).
- في عام ١٤١٧م: أمر الأمير جكم ببناء برجين على أنقاض الأبراج الأيوبية عند مدخل القلعة وبعدها بنى قاعة واسعة للاستقبال على هذين البرجين المعروفة بقاعة العرش.
- كما قال راغب الطباخ في وصف قاعة العرش "هذا المكان مقعد الملوك والأمراء" فلماذا لا نسترجع الماضي ونجعل هذا المكان مجلساً لأهم ملوك ورؤساء بلادنا والعالم.
- وفي عام ١٥٠٧: أمر السلطان قانصوه الغوري بإعادة تسقيف قاعة العرش على شكل قباب تسع بعد أن كان مهدماً إثر الزلازل.
- وفي عام ١٩٧٤: تبنت مديرية الآثار ترميم هذه القاعة فقامت بتسقيفها بالإسمنت المسلح وتم إكساء قاعة العرش بزخارف من طراز العجمي وطراز البطانة المعروفة في الدور الدمشقية القديمة وطراز بعض الأسقف الحلبية، ونوافذها محلاة بزخارف من الزجاج الملون القريب للطراز البيزنطي أما الثريات فطرازها فاطمي وفرشت الأرض بالرخام وكلها بجهود فريق عمل كامل قدم من دمشق مختص بتصميم القاعات الدمشقية الجميلة.



صورة افتراضية لقاعة العرش



- حين انتهى العمل بدت القاعة كصرح حضاري فريد بكبرها وروعة زخارفها ولكنها بدت قاعة ممزوجة بروح القصور الدمشقية ولا تمت بطراز القاعة المملوكية الأصل بأي صلة والقاعة ذات التيجان المقرنصة التي تحمل القبب التسع الفريدة من نوعها التي كانت تعتبر من مفاخر الطراز المملوكي في القرن الخامس عشر.
- لذلك عمدت في مشروعي أن أدرس القاعة على الطراز المملوكي ومن أهم الدوافع التي شجعتني على ذلك هو دراسات (Herzefeld) حول مساقط ومقاطع القاعة المملوكية إضافة إلى الصور الفوتوغرافية المُلتَقَطَة من قِبَل (Sauvaget) والتي تُظهِر طراز القاعة المملوكية بوضوح رغم أن معظم قببها وبعض عواميدها مندثرة في أرجاء القاعة.
- وبعد أن حصلت على المخططات الأصلية (2D) والصور الفوتوغرافية (3D) للقاعة الأصلية فإن بناءها على الحاسوب لن يكون وهماً وخيالاً بل واقعياً فيه الكثير من الدقة والتفصيل وبذلك نكون قد حافظنا على الطابع المملوكي الفريد ورجعنا بالقاعة إلى القرن الذي بنيت فيه.
- يمكن توظيف هذه القاعة لتكون قصراً للمؤتمرات الدولية مؤلفاً من:

١- طاولة الشرف للرئيس الخاطب.

٢- طاولة الشرف للرؤساء مؤلفة من ١٢ مقعداً.

٣- للنواب والمسؤولين ٧٥ مقعداً.

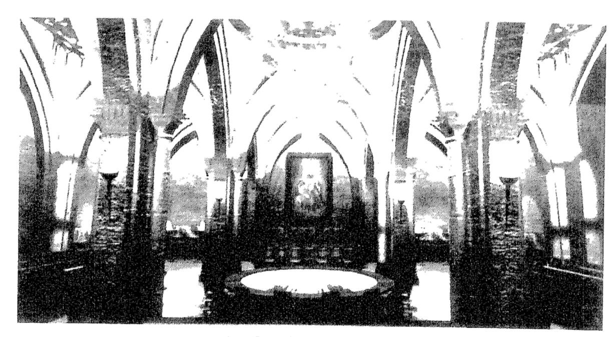
٤- ٣٥٠ مقعداً للمدعوين.

٥- شاشة كمبيوتر مزود بـ (Speaker) مع شبكة للترجمة أمام كل مقعد.

٦- أجهزة هندسة الصوت والإنذار موزعة بأطراف القاعة.

٧- أركان للصحفيين وإذاعات البث (6 Studios) على الأقل.

٨- أركان للمصورين ورجال الأمن.



صورة افتراضية شاملة لقاعة العرش

٩- شاشات موزّعة في أنحاء القاعة.

- علماً أن هذه القاعة بتجهيزاتها المستجدّة تصلح لإحياء الحفلات الموسيقية الراقية أيضاً.

بهو قاعة العرش:

- سيوظف ليكون بهوًا لقصر المؤتمرات مع طاولة للتخديم وركن استقبال للاستعلامات.
- وهو بمثابة ركن لاستراحة المسؤولين والمدعوين أثناء الاجتماع.
- كما يمكن استخدام تسهيلات البهو لزوار القلعة الاعتياديين.

القاعتان على جانبي قاعة العرش:

- مساحة الواحدة منهما (٥٢) متر٢ وارتفاعها (٨,٥٠ م).

وستوظفان كما يلي:

- القاعة الأولى لاستقبال الصحفيين وقنوات البث الإذاعي فهي بمثابة (Studio) لبث أخبار المؤتمر.
- القاعة الثانية لوضع أمتعة الصحفيين وأجهزة الصوت وكاميرات البث الإذاعي.

القاعة الدفاعية الكبرى:

وهي بمثابة ركن لاستراحة الرؤساء أثناء الاجتماع وإجراء بعض اللقاءات الصحفية.

خاتمة:

لهذا المشروع أهمية ضرورية لتحويل القناعات النظرية إلى شيء ملموس في حياة القلعة اليومية والانتقال بها من قلعة دفاعية إلى قلعة سياحية متكاملة الوظائف ومركز جذب للسياح مع الحفاظ على إطار القلعة الدفاعية.

ولا يتم تنفيذ مثل هذا المشروع بشكل عشوائي بل يجب أن يترافق بدراسة علمية تعتمد على معرفة تاريخ القلعة ومراحل بنائها والعصور التي مرت بها.■

نقود أنطاكية في العهد السلوقي

لمى دقماق*

مقدمة:

يقدم النقد معلومات عن التبادلات التجارية والاقتصاد في المراحل التاريخية وذلك بدلالة المعادن المستخدمة فيه، ومدى انتشار نوع منها أو آخر.

فتركيب النقد المعدني وتطوره شاهد على التطور الاقتصادي للبلد، فإذا كان النقد المستخدم مثلاً من الذهب أو الفضة كان دليلاً على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة النقد. ومن ثم شاهداً على ثرائها، بينما إذا كان من النحاس أو معادن أخرى غير ثمينة، كان دليلاً على ضعفها الاقتصادي فالنقود واسطة البيع والشراء والأخذ والعطاء والهبة والإهداء. وهي التي تجسد الطاقات وتدل على إمكانات وتسمح بالقيام بالنشاطات المختلفة.

نقود أنطاكية ترسم تاريخها:

تقع أنطاكية على الجانب الأيمن من نهر العاصي، وقد أنشأها سلوقس سنة (٣٠٠ ق. م) وأطلق عليها أسمها تخليدا لوالده "أنطيوخوس"، وليست أنطاكية إلا واحدة من ست عشرة مدينة حملت هذا الاسم، وكان يقرن باسم كل منها موقع قريب لتمييزها عن غيرها ممن تحمل نفس الاسم. وهذا ما تثبته النقود البرونزية المسكوكة في أنطاكية والتي حملت عبارة (أنطاكية قرب دفنة) التي كانت ضاحية فيها. هذه المدينة كانت تشكل حاضرة مميزة صاخبة محاطة بالأسوار، وكان سكانها يتمتعون بميزات خاصة، وعلى الأخص في سك النقود.

كان سلوقس (٣١٢ - ٢٨٠ق. م) يضع المنشآت التي يقيمها في رعاية زيوس وأبولو. حيث اتخذهما الملك حاميين والهين راعيين لشخصه وأسرته، والواقع أن التاريخ الرسمي لسيرة حياة سلوقس قد اعتبر أبولو والداً له. بالإضافة إلى أن سلوقس أقام تمثالاً هائلاً من البرونز للآلهة أثينا من الطراز المسمى (أثينا بروماخوس) وهي الآلهة التي حاربت من

* محاضرة في كلية الآداب قسم التاريخ والآثار.

أجل قومها، وتظهر صورة هذا التمثال على قطع العملة التي سكها سلوقس الأول في أنطاكية، وكذلك فإن بعض قطع العملة التي أصدرها سلوقس قد نقشت عليها صورتا أثينا وأبولو، رمزاً للاتحاد الذي تم بين أهل انتيجوينه الذين كانوا يعبدون أثينا، وبين رعايا سلوقس الذين كانوا تحت رعاية زيوس وأبولو.

هذا وقد صوّر **انطيوخوس الأول** (٢٨٠-٢٦١ق. م) رسم الإله أبولو العاري، وهو جالس على الاومفالوس. مكرماً بهذا تمثال الإله القائم وسط أنطاكية. وقد بقي هذا الرسم على امتداد مائة عام الرسم المحبب على النقود السلوقية. وقد وجدت قطعة نقود تعود لهذا الملك، في دورا أوريوس(الصالحية حالياً على نهر الفرات) تعود لدار السك في أنطاكية وهي تحمل على الوجه رأس انطيوخوس بشكل أيمن جانبي وعلى ظهر العملة الإله أبولو جالساً على الاومفالوس.

ولقد قام انطيوخوس الأول برفع سلوقس الفاتح إلى مرتبة الآلهة بعد وفاته. ففي وقت مبكر أنشأ السلوقيون لأسرتهم عبادة رسمية. ثم أعاد تنظيمها انطيوخوس الثاني أو انطيوخوس الثالث. وكان الغرض الأساسي من عبادة الملك فيما يبدو تأكيداً عن الولاء السياسي وليس التعبير عن إحساس ديني حقيقي.

وفي عهد **الملك سلوقس الثاني** (٢٤٦-٢٢٦ق. م) (صورة رقم١)، هناك تتردراخما عائدة لعهده تحمل على الوجه تصويراً لسلوقس الثاني، واضعاً عصابة على رأسه بشكل أيمن جانبي أيمن ويحيط به دائرة من النقاط، وعلى ظهر العملة عبارة بازيليوس على اليمين وسلوقس على اليسار أي (الملك سلوقس). وصورة الإله أبولو عارياً وهو بحالة الوقوف. حاملاً بيده اليمنى الرمح ويده اليسرى مستندة إلى حامل ثلاثي القوائم.



(١)

وكذلك حملت قطعة نقود برونزية أخرى على وجهها رأس أثينا من الجانب الأيمن تعتمر خوذة كورنثية.

وعلى الوجه الآخر الربة نيكا واقفة لجهة اليسار، واضعة الإكليل.

والملفت للانتباه في هذه التتردراخمات الصادرة في أنطاكية، هي التشابه مع نقود سكها سلوقس الثالث وانطيوخوس الثالث. والتي سنتناولها فيما بعد.

يبدو أن السائد في عملات الممالك الإغريقية أن إصدارات العاصمة أو دور السك الرئيسية في المملكة كانت تحمل رموزاً للحاكم أو الأحرف الأولى من اسمه لكنها لا تحمل أي علامة ترمز لمدينة محددة كانت قد سكت فيها.

أما في الإمبراطورية السلوقية فقد

كانت النقود تحمل رموزاً أو نقوشاً أو رمزاً خاصًا لتمييز سلسلة النقود الصادرة محلياً عن تلك المجموعة الملكية، ولكن سنجد في النقود السلوقية، أن مصانع أنطاكية لم تضع حتى وقت متأخر علامة مميزة أو رمزاً على إصداراتها، وهذا الأمر لا يظهر في إنتاج المصانع أو دور السك الصغرى المستقلة الموجودة في صور والمدن الفينيقية الأخرى. ولكن منذ عهد انطيوخوس الثالث ظهرت علامات خاصة على النقود المسكوكة في أنطاكية.

عهد سلوقس الثالث (٢٢٦-٢٢٣ ق.م) (صورة رقم ٢-٣): صدرت في عهده نقود تحمل اسمه وصورته وتعود لأنطاكية تحمل التتردراخما في عهده على الوجه صورة جانبية يمنى لسلوقس الثالث بزوالف. واضعاً عصابة على رأسه ومحاطاً بدائرة من النقاط، وعلى ظهر العملة عبارة (بازيليوس سلوقس) وأبولو عارياً يضع كساء على جانبه الأيمن وهو جالس وبيده اليمنى يحمل الرمح وبيده اليسرى يحمل القوس. وتتكرر هذه النماذج التي تنتمي لنفس دار السك مظهرة تشابهاً في الأسلوب والتكرار في ظهور الرموز.




(٢)

لقد كان عهد سلوقس الثالث قصيراً جداً، فلم يحمل تغييرات كثيرة في نقوده المسكوكة، وكان النموذج الأكثر شيوعاً يمثل رأس سلوقس بشكل أيمن جانبي مع ظهور بسيط للزوالف ومحاطاً بدائرة من النقاط.



(٣)

وبقي نمط الإله أبولو مسيطراً على نقود الملوك السلوقيين الأوائل، والمعدن المستخدم فضة بوزن التتردراخما، وهذا يدل على استقرار ديني واقتصادي وسياسي آنذاك.

عهد **أنطيوخوس الثالث** (٢٢٣-١٨٧ ق. م) (صورة رقم ٤): إن النقود التي سكت في أنطاكية باسم أنطيوخوس الثالث بعد وقت قصير من وفاة سلوقس الثالث تتشابه كثيراً من حيث الشكل الخارجي مع ما نشاهده في سلسلة التتردراخمات العائدة لسلوقس الثالث المتوفى من حيث النمط والرموز ويحتمل أنها سكت في نفس المصنع مع وجود فاصل زمني قصير.



(٤)

إن استمرار التزيينات المحيطة بعرش أبولو يدل على الاحترام العظيم الذي كانت تحظى به عبادة أبولو في

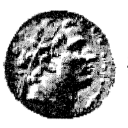
أنطاكيـة إلى جانـب وجـود معبـد وقـبر مقدس له خارج أسوار دفنه.

أما العملات البرونزية التي سُكّت في عهده فإنها تُقسَم إلى فئتين:

١- فئـة الحجـم الكـبير: تمثـل رأس انطيوخـوس الثالـث علـى الوجـه، وأبولـو جالساً على ظهر العملة.

٢- فئة الحجم الصغير: تمثل نفس الوجه السابق، وعلى الظهر أبولو واقفاً مـع بعـض الحـروف الـتي تـشكل تـواريخ ملكيـة أو إشـارات لعمـلات تحمـل أرقـام الإصدارات.

وهناك ستاتير (صورة رقم ٥) يحمل على الوجه رأس انطيوخوس الثالث بشكل أيمن، وعلى ظهر العملة يظهر رسم فيل رفع قدمه اليمنى الأمامية للأعلى، وفي أسـفل الرسـم. مـع كلمـة بـازيليوس وانطيوخوس (الملك انطيوخوس).



(٥)

يعتـبر الفيـل إشـارةً تعبّـر عـن نـصٍّ احتفل بـه أنطوخيوس الثالث، فهو دلالة على ممتلكاته في كلٍ من الهنـد وباكترية (في أفغانستان حالياً)، ومما لا شك فيه أن إنجازاته في الشرق كان لها احترامٌ عظيم لدى معاصريه الذين أطلقوا عليه لقب (الكبير).

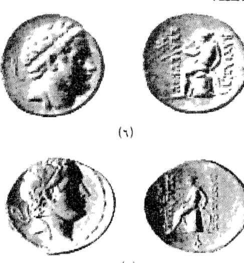
وممـا لا شـك فيـه أيـضاً أن ثمـة احتفـالات كـبيرة كانـت تقـام في أنطاكيـة لـدى سمـاع أخبـار عـن انتـصاراته،وهي تـسجيل لواقعـة بـأن الملـك البـاكتيري (الأفغاني) قد سلّم الجيش السلوقي عدداً ضخماً من الفيلة وبقيت هذه الفيلة تمثل كبرياء وقوة الجيش السلوقي إلى أن حلّت النوازل بالإمبراطورية.

إن ما يلفت انتباهنا من نقود هذه المجموعة هـو الأوكتادراخما الـذهبي، ذو الحجـم الكـبير الـذي يحمـل علـى الوجـه: رأس انطيوخـوس الثالـث، وعلـى الظهـر كلمـة بـازيليوس علـى الـيمين وكلمـة انطيوخـوس علـى اليسار، وأبولـو بـرداء علـى جانبـه الأيمـن متـدلياً مـستنداً علـى الأومفالوس، ممسكاً الـرمح بيمينـه، وقـد أراح اليـسرى علـى مقدمـة سـفينة، وعلـى يـسار النقـد زهـرة. هـذه العملـة الكـبيرة نـادرة في مجموعـة النقـود السلوقية، وقـد سـكت فقـط في عهـد انطيوخـوس الثالـث، ولها علاقـة بالحملـة الشرقية الكبرى الـتي خاضـها كمـا يمكـن أن نعزوهـا إلى الاستعدادات الكبيرة التي تمت لشن حرب ضد روما.

ويمكن أن نرى في هذه العملة تعبيراً عـن رغبتـه في الـسيطرة علـى المـدن الفينيقية، بعـد إزاحـة السيطرة المصرية البطلميـة عنـها، وقـد تكـون سُـكّت في مصنع صيدا أو صور.

وفي عهـد خلفـه **سـلوقس الرابـع** (١٨٧–١٧٥ ق. م) (صـورة رقـم ٦-٧): اتبـع سياسـة نقديـة تكـشف عـن التـدابير الـتي

رأى أنه لا غنى عن اتخاذها لإعادة الثقة بمركز الدولة المالي فالإصدارات التي سكت في عهده، هي الأكبر والأكثر تجانساً.



(٦)

(٧)

وفي عهد **انطيوخوس الرابع (ابيفان)** (١٧٦–١٦٤ق. م): نجد أن الأصناف الجديدة للعملة السلوقية متميزة، لأنها مرتبطة بشكل دقيق مع أحداث تلك الفترة من الزمن ومع أهدافه الشخصية السياسية وطموحاته. لأنه نشأ في روما وتشرب المعرفة والمثل اليونانية. ثم انتعش بإقامته القصيرة في أثينا العاصمة الفكرية لكل الإغريق الأصليين.

اعتبر انطيوخوس الرابع نفسه المدافع الأول عن الحضارة الهلينستية في الشرق وحاول أن يضفي على العقائد الشرقية صبغة من روحها، ليوحد الطوائف والفرق الدينية المحلية تحت راية واحدة، مركزاً عباداتهم حول بعض الآلهة الهلينستية التي تتوافق بشكل قريب مع الإله المعبود محلياً وقد وجد أن زيوس أولمبيوس هو الأقرب للآلهة بعلات وبعل أيلوم السائدة في المناطق المحلية، وبالتالي فقد أصبح زيوس الإله الرائد، ويمكن القول الإله الرسمي في الإمبراطورية.

وقد قرن انطيوخوس نفسه بزيوس فظهر على إصدارات النقد بلقب (ابيفانوس) الإله الظاهر، وكان زيوس أولمبيوس الذي أصبح القوة الإلهية العظمى في الإمبراطورية السلوقية يظهر على أكثر التتردراخمات. ولكي يدل انطيوخوس على طبيعته الإلهية وضع نجوماً فوق تاجه الملكي في الإصدارات الفضية، ووضع أشعة إلهية حول رأسه في القطع النقدية البرونزية، وعلى الوجه الآخر للدراخمات الجديدة جلس الإله في أبهة حاملاً في يده اليمنى نيكا آلهة النصر عند الإغريق. وتظهر إحدى الدراخمات (صورة رقم ٨) على وجهها رأس انطيوخوس الرابع مزيناً بالنجوم ويحيط به دائرة من النقاط على الحواف وعلى ظهر النقد عبارة (بازيليوس أنطيوخوس) من اليمين، ومن اليسار (ابيفانوس) وصورة نسر واقف على الصاعقة.



(٨)

إن النسر الواقف على الصاعقة الخاصة بزيوس يعبر عن رمز معروف تبناه البطالمة في مصر. ولكن ظهوره المفاجئ على عملات أنطيوخيوس الرابع

بدون شك يبارك الانتصارات على المملكة المصرية، ومن ناحية أخرى هو شكل قريب لأسلوب زيوس نقفوروس، وبالتالي يرمز إلى الآلهة الهيلينية العظيمة السائدة في المملكة السلوقية.

يمكن القول أن انطيوخيوس الرابع حاول أن يعوض انكماش رقعة الدولة السلوقية وضياع قوتها الحربية وتبعيتها لروما فشرع في بذل جهود كبيرة لتوحيد صفوف رعاياه عن طريق الروابط السياسية والدينية والثقافية، وتقوية مركز الديانة الهيلينية وتعزيز عبادة الحاكم، والقضاء على النزاعات الانفصالية. ولقد بذل كثيراً من الجهد والمال لكي ينشر في أرجاء مملكته عبادة كبير الآلهة زيوس رب الأرباب زيوس الأولمبي الذي تشبه به. وثمة وسيلة حاول بها الملك أن يزيد ولاء سكان عاصمته وهذه الوسيلة تتجلى في العملة التي سكت في أنطاكية أثناء حكمه، وهي تحمل لأول مرة كلاً من أسم المدينة والملك.

وفي عهد الملك **ديمتريوس الأول سوتير** (١٦٢-١٥٠ق. م): ظهرت أغلب التتردراخمات وعلى وجهها: رأس ديمتريوس شاباً، وعلى الوجه الآخر عبارة الملك على اليسار وعبارة ديمتريوس على اليمين وتصوير للآلهة توخي جالسة بوضعية الاسترخاء بشكل جانبي، تحمل الصولجان في يدها اليمنى، وقرن الرخاء بيدها اليسرى، مما يدل على الاعتقاد السائد بوجود قوة خارقة تتحكم في مصائر البشر، ثم تحولت الآلهة توخي وأصبحت الآلهة الحامية للمدينة، وكانت تعتبر حارسة الملك، وتصور "توخي" على أنها رمز للنجاح والخصب والرخاء، وقد صادف ذلك رواجاً عظيماً في مدن الشرق المصطبغ بالصبغة الهيلينية. وكثيراً ما نقشت صورة الآلهة على قطع العملة في أنطاكية.

خلاصة:

كانت الحكومة السلوقية عندما تركزت في أنطاكية تقوم على نظام شخصي للحكم يتولاه الملك، على غرار نظام الحكم لدى المقدونيين، وكان الملك يتولى بنفسه تصريف الأمور بمعاونة رئيس الوزراء، ونجد أن أنطاكية امتلكت وحدها في ذلك الوقت دار سك ملكية كبيرة، وكانت المدينة التجارية الوحيدة التي خضعت مباشرة للسيطرة السلوقية، والمدينة الوحيدة التي حكم فيها هؤلاء الملوك واحداً تلو الآخر.

وخلال الحكم الطويل للعائلة السلوقية(٣١٢-٦٤ق. م) سادت عبادة آلهة تمتعت بشعبية مهيمنة لفترة من الزمن، منها نموذج أبو لو جالساً على الأومفالوس كما في عهدي سلوقس الثاني والثالث. وكذلك نموذج زيوس أولمبيوس المقتبس من الاسكندر الأكبر، ولم تتحقق سيادة زيوس أولمبيوس على أقرانه قبل العهد الرابع لجيربيوس في أنطاكية، وبقي النموذج الثابت على التترادراخمات الأنطاكية حتى قدوم تيغران.

فإجلال الآلهة وتقديسها ساد لكنه تقلب بين إله وآخر، فقد حلّ زيوس أولمبيوس مكان أبو لو الذي يعد الإله الحامي للأسرة السلوقية، وحظي زيوس أولمبيوس نقفوروس في عهد الرجل الغريب الأطوار انطيوخوس الرابع (ابيفانوس) بشعبية من جديد وتنافس مع توخي وأبولو وأثينا وزيوس أوارنيوس Uranius لاختياره كنموذج على ظهر عملة التتردراخما.

كانت مواصفات النقود في أنطاكية بجمالها وإتقان وزنها تشبه إلى حد كبير، النمط الإغريقي في ذلك الحين. ولكنها أصبحت بالتدريج أكثر افتقاراً وأكثر تكراراً دون تبدّل من حيث النمط، وأخف وزناً، وأقل قيمة في معدنها، كالملوك، الذين سكّوا أسماءهم عليها وضعفت قدرتهم وثروتهم وأخلاقهم. لكن تيغران وضع نهاية لهذه العملة، وقدم عوضا عنها نوعا جديداً يحمل معاني ودلالات محلية جديرة بمدينة أنطاكية العظيمة، المقدر لها أن تبقى رازحة تحت السيطرة الرومانية الأعظم والأقوى في الشرق إلى أن سقطت أمام الفتح العربي الإسلامي.

قائمة المراجع:

1- Auge', C., Archeologie et Histoire de La Syrie II, Marie Dentzer et Orthmanm Winfriend, Saar Brucker Druckert und vergleg. 1989.

2- Babelon., E., Les Rois de Syrie, d'Armenie et de Commagene, Paris, 1980.

3- Bellinger, A.R., The Excavation at Dura Europose III, Yale-university and the French academy of inscriptons, 1932.

4- Bikerman, E., Institution des Seleucides, Paris, 1938.

5- Forniedi-Editore, A., The Seleueid Kings of Syria, A catalogue of the Greec coin in the B.M., Bologan, 1963.

6- Newell, E.T., The seleucid Mint of Antioch, The American of Numismatic Society, New York, 1918.

7- Sergé, A., Metrologia, 1928.

8- Worth, W., A Catalogue of Greek Coins in the B.M., 1964.

أوزان العملات السلوقية:

أ-الذهبية:

الأوكتادراخما = ٨ دراخما = (٣٤. ٢٠-٢٣. ٩٠غ)

الستاتير = ٨. ٦غ.

ب-الفضية:

الدراخما = ٤. ٣٠غ

التيترادراخما = ٤دراخما = ١٧غ

الهيمادراخما = نصف دراخما

الديواوبول = ٢ اوبول

الاوبول = كل ٦ اوبولات = ١ دراخما

المرجع المعتمد عليه في الصور:

E. T. Newell,Op. Cit., Plate, I , II, III, IV, V.

نقود أرمنية

بالأبجدية العربية والآيات القرآنية والتأريخ الهجري

ألكسندر كشيشيان*

بقيت أرمينيا التاريخية تحت الحكم العربي-الإسلامي مدة ٢٥٠ سنة تقريباً بين القرنين ٧-٩م وضربت في عاصمتها Dvin (يسميها العرب دبيل) دراهم فضية وفلوس نحاسية بعد تعريب الإدارة العربية بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وذلك في عام ٧٧هـ= ٦٩٦-٦٩٧م الذي وضع نظاماً جديداً للنقود العربية الصافية بأوزانها المعينة وإخراجها الجديد. وقد استخدمت هذه النقود الجديدة في الدولة العربية مدة ثلاثة قرون دون انقطاع.

علم النقود حديث العهد وهو من العوامل المتممة وأحياناً الوحيدة في الآثار والتاريخ لأننا نجد على قطعها المختلفة معلومات تاريخية وثقافية ودينية وميثولوجية وفنية حيوية وحقائق مهمة أخرى. ولا تدخل في مجال البحث طبعاً النقود الورقية التي ظهرت في القرن ١٨ فقط.

كان المجتمع البشري يؤمن احتياجاته قبل ظهور النقود عن طريق المقايضة فيقدم الشخص سلعته التي يعرف وزنها أو كميتها مسبقاً لقاء مادة أخرى لسد حاجته. وكانت الماشية الوسيلة الرئيسية بسبب منافعها العديدة فكان لحمها وحليبها وصوفها وعظامها من المواد الحياتية وكان غنى الإنسان يقدر بعدد الرؤوس (الرأس capita باللاتينية واشتُقت منها كلمة رأسمال capital) التي يملكها. ومع تطور المجتمعات القديمة وازدهار تجارتها أصبح التعامل التجاري بهذه الوسيلة غير كافٍ وأمين لأنه لا يمكن تجزئة الرأس عداً مخاطر المرض والسرقة. لذلك إتجه فكر الإنسان الخلاق إلى المعادن الكريمة كالذهب والفضة، المعروفين له منذ ٦ آلاف سنة أنهما لا يتأثران بالعوامل الطبيعية وخاصة النار والرطوبة، لذلك اعتُبر الذهب رمزاً للخلود.

* طبيب، عضو اتحاد الكتاب العرب.

جـرى الانتقـال مـن المقايـضة إلى التعامل بالنقود المعدنية عبر قرون طويلة لأن الماشية كانت قد تركت في ذهن وروح الإنسان عـادات ومعتقـدات عميقـة جـداً فتوصل عقلـه المـرن بعـد طـول تفكـير وممارسـة إلى خلـق معيـار جديـد وذلـك بمبادلـة رأس واحـد مـن الماشـية بـ ٥,٨ غـرام مـن الـذهب الخـالص. وبسبب عـدم توفر الـذهب آنـذاك بكميـات تـسد حاجـة السوق اتجه الإنسان إلى استخدام الفضة والنحـاس والحديـد في التجـارة. وكـان التـاجر ينقـل معـه النحـاس والحديـد علـى شكل عصي أما الذهب والفضة فقد كانا علـى شـكل عـصيات صـغيرة أو حلقـات دائريـة تـشبه الخـواتم. وعنـدما كـان يـتم الاتفـاق بـين التـاجر والمشتري يقـوم الزبـون "بضرب" العصي بطـول معـين يقـدمها ثمنـاً لبضاعة التاجر. أما العصيات فإن ستة منها كانـت تجمـع علـى شـكل حزمـة صـغيرة في الكـف ويقابـل ذلـك في اليونانيـة كلمـة الـ drachma (ومنها الدرهم بالعربية) الذي يساوي ٤,٥ غـرام مـن الفضة. وكانت النقود في الفتـرة الأولى وابتـداء مـن القـرن ٧ ق. م. غـير دقيقـة الـوزن وتحتـوي علـى شـوائب معدنيـة مختلفـة لـذلك قـام حكـام الـدويلات اليونانيـة وخاصـة في آسـيا الـصغرى وبحـر إيجـة بـضرب نقـود بـأوزان معروفـة وثابتـة في مـصانع الدولـة وعليهـا أختـام ومنـذئـذ بـدأت تأخـذ شـكلها الـدائري بأوزانهـا النظاميـة والتأمين الحكومي الرسمي.

في البدء كانت أختام النقود تضرب علـى الوجـه الواحـد فقـط وتحتـوي علـى صـور بعـض الحيوانـات الـتي كانـت علـى الأرجـح مـن بقايـا الطوطميـة ثم تطـورت واحتلت مشاهد الملاحم والـدين والرياضة والتـاريخ وغيرهـا هـذه المـساحات وظهـرت لاحقـاً صـور الأبـاطرة والملـوك والقـواد مـع أسمائهم باليونانية أو اللاتينية.

كـان اليونـانيون حـتى القـرن ٣ ق. م. يـصنعون النقـود عـن طريـق الـسبك أي كـانوا يجهـزون القالـب ثم يسيّلون المعـدن المصهور فيه. أما الطريقة الرومانيـة الـتي تلتها فقـد كانـت عبـارة عـن تحضير قطـع معدنيـة دائريـة الـشكل وبـأوزان محـددة وبعد وضـع الخـاتم عليهـا يقومـون بـضربها بالمطرقة. وكان لكل قطعة نقدية خاتمـان: خـاتم لكـل وجـه. وكـانوا يعرّضـون القطعـة إلى الحـرارة العاليـة المعينـة قبـل عمليـة الطـرق لتـسهيل عمليـة الـضرب. وقـد اسـتمرت هـذه الطريقـة دون تغـيير كـبير يـذكر حـتى القـرن ١٥ عنـدما بُـدئ باستخدام الطرق والآلات الأكثر تطوراً.

يعتقـد الآن أن النقـود اليونانيـة ظهـرت في القـرن ٧ ق. م. والرومانيـة في القـرن ٦ ق. م. بينمـا ظهـرت النقـود الأرمنيـة للملـك ديكـران الثـاني الملقـب بـالكبير بمناسـبة احتلالـه لمدينـة أنطاكيـا في عـام ٨٤-٨٣ ق. م. وقـد اسـتمرت هـذه العائلـة الملكيـة الأرمنيـة بـسك نقودهـا الخاصـة حـتى سـنة ٦ م واسـتخدمت أرمينيـا بعـد ذلـك النقـود الـساسانية واليونانية والرومانية والبيزنطية والعربية حـتى القـرن ٩م. وهنـاك نقـود بكتابـات أرمنيـة نجـد كميـات كـبيرة جـداً منهـا في المناطق الشمالية لسوريا تعود إلى مملكة كيليكيا الأرمنية التي استمرت على الحياة

مـــدة ثلاثـــة قـــرون (١٠٨٠ - ١٣٧٥م) وانهارت تحت ضربات مماليك مصر.




الدرهم الفضي للملك الأرمني ديكران الكبير ٥٦-٩٥ ق.م

كانـت بـلاد الـشام في الفتـرة الأولى للفتوحـات العربيـة تـستخدم النقـود الـساسانية وعليهـا صـورة الملـوك الـساسانيين كيازدكـارت الثالـث (٦٣٢-٦٥١م) وفـورميزت الرابـع (٥٧٩-٥٩٠م) وخسروف الثاني البارفيزي (٥٩٩-٦٢٨م) مـع الرموز الزرادشـتية والكتابـة البهلويـة إلى جانـب النقـود البيزنطيـة الـتي جـاء عليهـا صـورة الإمبراطـور جوسـتينوس الثـاني والملكـة صـوفيا (٥٦٥-٥٧٨م) والإمبراطـور هرقـل مع وليي عهده (٦١٥-٦٤١م).

بـسبب الفتوحـات المظفـرة للقـوات العربية المسلمة وانتشار الدين الإسلامي مـن الهنـد وحـتى شبه الجزيـرة الإيبيريـة وتوسـع النشاط التجـاري والـصناعي على امتـداد هـذه الإمبراطوريـة الـشاسعة الأطـراف وسـيطرة الخلافـة العربيـة المطلقة على المنطقة واستتباب الأمن في ربوعهـا، قـام الخليفـة عبـد الملـك بـن مـروان في عـام ٧٧هـ= ٦٩٦-٦٩٧م بالتعريـب التـدريجي للدولـة وخاصـة الـدواوين والنقـود وذلـك بخطـوات بطيئـة تـنمّ عـن حكمـة وحـسن تـدبير كـي لا تـضطرب الأحـوال الاقتـصادية والتجاريـة فيها. فقام مثلاً بالإبقاء على صور الملوك الـساسانيين مـع الرمـوز الزرادشـتية والكتابـات البهلويـة وأضـاف إليهـا تـاريخ ضـربها وتعـبير "باسـم الله" أو "الحمـد لله" باللغـة العربيـة. وهنـاك بعـض النقـود مـن هذه الحقبة المبكرة الانتقالية نجد عليها آيـة التوحيـد "لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله" وقطعـة أخـرى عليهـا صـورة الخليفـة العربي بكامل قامته عوضاً عن هيكل النـار الزرادشـتي وتعبير "أمير المؤمنين". وتعـرف هـذه القطـع في علـم النقـود Numismatic بـ "النقود العربية-الساسانية".




درهم الملك الساساني بهرام الأول (٢٧٣ - ٢٧٦)م

هنـاك قطـع أخـرى مـن هـذه الحقبـة الانتقالية وهي النقود "العربية . البيزنطية" حيـث اسـتُبدِل الـصليب بخـط عـامودي وأضـيف تعـبير "بـسم الله" وأبقـي علـى الـصور والكتابـات علـى عهـدها الـسابق. وقد كانت النقود العربيـة-البيزنطيـة دنـانير ذهبيـة وكانـت تـضرب في دمـشق وحمـص وبعلبك. وهنا أيضاً نجد الظـاهرة الغريبـة في التـاريخ الإسـلامي تعيـد نفسها بوجـود صورة الخليفـة عليهـا وبيـده سيفه وتعـبير "محمد رسول الله".

تبنّـت الخلافـة العربيـة في المرحلـة الثانيـة للإصـلاح النقـدي ثلاثـة أنـواع مـن

المعادن وهي الذهب (تسمى الوحدة الدينار من الكلمة اللاتينية dinarium وتزن ٤,٢٥ غ من الذهب الصافي) والفضة (الوحدة هي الدرهم من كلمة drachma اليونانية وتزن القطعة ٢,٩٧ غ من الفضة الصافية) والنحاس (تسمى الوحدة الفلس من كلمة fillus اللاتينية وأوزانها غير ثابتة تتراوح بين ٣-٥ غ من النحاس الصافي وهي تعادل اليوم "الفراطة"). وكانت الدنانير الذهبية تضرَب من قبل الخلفاء فقط وفي الولايات المركزية للخلافة في سوريا والعراق ومصر. أما الدراهم والفلوس فقد كانت تضرب في مناطق عديدة جداً من البلدان المفتوحة. وقد ضرب الأمويون نقودهم في أرمينيا والقفقاس مدة ٥٠ سنة حتى سقوطهم في عام ٧٥٠م أي بين ٨١-١٣١هـ = ٧٠١-٧٥٠م. وبعد دراسات متأنية حول النقود الفضية والنحاسية التي ضُربت في مناطق "ولاية أرمينيا" العربية المختلفة في الحقبة الأموية نجد أنها ضُربت "بأرمينيا"(أرمينيا الكبرى) و"آران" و"دبيل" و"تفليس" و"مدينة بلخ البيضا" و"الباب"(باب الأبواب أو دربند) وذلك بين ٨١ - ١٣١هـ=٧٠١-٧٤٩م.



درهم الامبراطور البيزنطي هرقل (٦١٥ - ٦٤١م) مع وليي عهده

أول درهم فضي عربي ضُرب في أرمينيا في عام ٨١ هـ= ٧٠٠-٧٠١م جاء عليه:

الوجه الأول:

- **في الوسط: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له). وعلى المحيط: (باسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينيا سنة إحدى وثمانين).**

الوجه الثاني:

- **في الوسط: (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد). وعلى المحيط: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).**

أقدّم نموذج للفلوس النحاسية العربية العديدة جداً التي تم اكتشافها أثناء التنقيبات المنهجية في أنقاض العاصمة الأرمنية القديمة Dvin يحتوي على اسم الحاكم العربي ومكان ضربه إلى جانب الآيات القرآنية:

الوجه الأول:

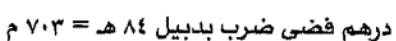
- **في الوسط: (لا إله إلا الله وحده). وعلى المحيط: (بسم الله مما أمر الأمير إسحق بن مسلم).**

الوجه الثاني:

- **في الوسط: (محمد رسول الله). وعلى المحيط: (باسم الله ضُرب هذا الفلس بأرمينيا).**

ضُربت هذه الكتابات بالخط الكوفي الجميل وتزن القطعة ٣ غ ويصل قطرها إلى ١٩-٢٠ مم.




درهم فضي ضرب بدبيل ٨٤ هـ = ٧٠٣ م

وقد وجد الأثريون الأرمن أثناء التنقيبات في العاصمة دبيل فلوساً نحاسية ضُربت في دمشق وقنسرين وحمص وتعرض نماذج عديدة منها في متحف يريفان الحكومي (جمهورية أرمينيا) والمتحف البريطاني وبرلين الملكي وبتروغراد وغيرها. وإن دلّ ذلك على شيء فإنه يؤكد على التجارة المتبادلة بين أرمينيا وسوريا في تلك العصور القروسطية السحيقة. وكانت عاصمة أرمينيا دبيل في الفترة المبكرة للاحتلال العربي من مراكز الخلافة الرئيسية لضرب النقود الفضية والنحاسية وكانت تُضرب تحت تعبير "ضُرب بأرمينيا" لا باسمها. وقد شكل العرب الفاتحون وحدة إدارية سموها "ولاية أرمينيا" تضم أرمينيا الكبرى وجيورجيا الشرقية وآران وباب الأبواب (باب المندب) والمناطق المتاخمة لبحر قزوين.

زال الحكم الأموي في الشرق في النصف الثاني للقرن ٨م فظفر العباسيون بالسلطة العليا. وابتداء من هذه الحقبة وحتى منتصف القرن ١٠م ولمدة قرنين أضحى تطور النقود العباسية في بلدان الشرق الأوسط وأرمينيا مرتبطاً بوثاقة بالخلافة العباسية. لقد اكتشفت في عاصمة أرمينيا القديمة الأخرى Ani والقلعتين الأرمنيتين Ambert وGarni كميات كبيرة جداً من النقود العباسية(الأموية كانت قليلة في أرمينيا) وهي مصنّفة بشكل جيد ومحفوظة وتعرض الآن في متحف يريفان. وقد درست النقود العباسية بدقة فائقة من قبل اختصاصيين كبار مثل Christian Fraehni و Torenberg وTigenhausen و St. Lane Poole.

لم يضرب العباسيون نقودهم الخاصة في الفترة الأولى لاستلائهم على مقاليد الحكم، بل قاموا باستخدام النقود الأموية دون تغيير في حقبة الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦هـ= ٧٥٠-٧٥٤م. وبوشر بضرب النقود العباسية الخاصة على كامل أصقاع الإمبراطورية ومنها ولاية أرمينيا بكميات كبيرة جداً في عهد الخليفة التالي جعفر عبد الله المنصور ١٣٦-١٥٨هـ =٧٥٤-٧٧٥م. ومع ذلك لم تُسحب النقود الأموية من الأسواق بل تم التداول بها على قدم وساق مع النقود العباسية الجديدة. وقد ضرب العباسيون نقودهم دون ذكر اسم عاصمتهم بغداد حتى عام ١٩٩هـ=٨١٤م وبعد ذلك فقط بوشر بذكرها تحت اسم "مدينة السلام". وكان العباسيون على النقيض من الأمويين حريصين جداً على نشر تعاليم الدين الإسلامي، لذلك قاموا بزخرفة نقودهم بالكتابات الكوفية الجميلة ومعظمها من الآيات القرآنية. وأول قطعة فضية عباسية تم ضربها في أرمينيا تعود إلى عام ١٤٣هـ=٧٦٠م جاء عليها:

الوجه الأول:

- في الوسط: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له). وعلى المحيط: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية سنة ثلث واربعين ومئة).

الوجه الثاني:

- في الوسط: (محمد رسول الله). وعلى المحيط: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

عندما نقارن الكتابات التي جاءت على النقود العباسية مع مثيلاتها من النقود الأموية نجد أن العباسيين لم يذكروا في بادئ الأمر أسماء الخلفاء وحكامهم بينما اختلف الوضع في الحقبات اللاحقة وخاصة في النقود النحاسية التي غطّت الآيات القرآنية وأسماء الخلفاء وحكامهم كامل مساحتي النقود فنرى مثلاً قطعة فضية ضُربت "بأرمينية" في عام ١٥٣هـ =٧٧٠ م جاءت عليها الكتابات التالية:

الوجه الأول:

- في الوسط: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له). وعلى المحيط: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية سنة ثلث وخمسين ومئة بكار).

الوجه الثاني:

- في الوسط: (مما أمر به المهدي محمد بن أمير المؤمنين). وعلى المحيط: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

كانت الكتابات في معظم الأحوال ذات مغزى ديني وتتبدّل حسب شعارات العصر. وقد أكثر المأمون مثلاً من هذه الكتابات على نقوده بعد انتصاره على أخيه الأمين لأنه كان يعتبر نفسه الداعية الحقيقي للدين. إلا أنه وابتداء من ثلاثينيات القرن ٩م بدأ الوهن يدب بجسد الخلافة فاختصر الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ=٨٣٣-٨٤٢م) الكتابات التي كانت قد زادت كثيراً لا على حساب الآيات القرآنية، بل على حساب أسماء الحكام ونوابهم. وقد استمر العمل بهذه القاعدة حتى بداية تفكك الخلافة العربية العباسية وتشكّل إمارات مستقلة أو شبه مستقلة بين القرنين ٩-١٠م.

ضُربت النقود العباسية في مدن ولاية أرمينيا ومناطقها مدة حوالي ٢٠٠ سنة بين عامي ١٤٠-٣٠١هـ=٧٥٧-٩١٤م في اليزيدية وبردعة وأرمينيا وآران ودبيل وهرون أباد والباب والهرونية ومعدن باجيس وتفليس وبدليس وغيرها. ومن الخلفاء العباسيين الذين ضربوا نقودهم في ولاية أرمينيا المهدي محمد والهادي والمرضي وهارون الرشيد والمأمون والمعتصم بالله والمتوكل على الله والمستعين بالله والمعتز بالله والمهتدي بالله والمعتمد على الله والمعتضد بالله والمكتفي بالله والمعتدل بالله والراضي بالله والمقتفي بالله. ومن الحكام الذين جاء ذكرهم مع الخلفاء على النقود التي ضربت في ولاية أرمينيا: إسحق بن مسلمة ويزيد بن أُسيّد وبكّار والحسن ونصير وخزيمة بن خازم وعبيد الله بن المهدي

ونصر بن الجهف وعبد الله سعيد بن مسلم وعلي بن عيسى اسماعيل بن إبراهيم وأيوب بن سليمان وذو الرياستين سليمن وغيرهم الذين وصل عددهم إلى ١٢١ حاكماً. وقد جاء على هذه النقود العباسية ذكر بعض ولاة العهد إلى جانب أسماء الخلفاء ونوابهم مثل "المهدي محمد بن أمير المؤمنين" و"هرون بن أمير المؤمنين" و"محمد بن أمير المؤمنين" و"عبد الله بن أمير المؤمنين" و"الأمين ولي عهد المسلمين" و"الأمين محمد بن أمير المؤمنين" و"العباس بن أمير المؤمنين" و"أبو العباس بن أمير المؤمنين" وغيرهم وإن دلّ هذا على شيء فإنه يؤكد طبعاً على تحضير الخليفة العباسي منصب الخلافة لابنه وراثياً.

النقود العربية-الإسلامية التي اكتشفت في أرمينيا الكبرى أثناء التنقيبات الأثرية المنهجية والتي تعود إلى القرن ٨ م هي على نوعين:

(١) أعداد كبيرة جداً من الفلوس النحاسية التي اكتشفت في العاصمة الأرمنية دبيل إما صدفة، أثناء حفر أو حراثة الأرض، أو أثناء التنقيبات. ومن المعروف أن الفلوس لم تجتاز حدود البلاد كثيراً لأنها كانت تستخدم كـ"فراطة" في الأسواق المحلية.

(٢) دراهم فضية وفلوس نحاسية ضُربت في ولايات الخلافة المركزية في سوريا والعراق وتحديداً في حمص ودمشق وقنسرين وهذا تأكيد على النشاط التجاري الكبير بين أرمينيا ومناطق الخلافة المختلفة.

اكتشفت في أرمينيا ومناطق عديدة من القفقاس كنوز تحتوي على النقود العربية الفضية بشكل خاص مثل: قرية Shenavan عام ١٩٥٧(١٢ قطعة) وأنقاض دبيل(٥١ قطعة) وجنزة (٢٨٠) وقرية Verin Gedashen (١٣) وقرية كارني ١٩٣٠(٥٦) وقرية Nerkin Kedashen (٢٠) وقرية Baravakar ١٩٧٠ (١٩) ومنطقة ماردوني (٨٧) وغيرها من الكنوز العديدة التي تتألف من الدراهم والفلوس. وقد أكتشفت كنوز عديدة أيضاً في جيورجيا وآذربيجان.

أكدت الأبحاث التاريخية العديدة الموثّقة على علاقات أرمينيا والتجار النشيطين الأرمن التجارية الواسعة مع دول أوروبية عديدة في هذه الحقبة التاريخية البعيدة. لذلك ليس غريباً اكتشاف كنوز النقود العربية، ومعظمها من الدراهم الفضية التي ضربت في ولاية أرمينيا ومقاطعات الخلافة الأخرى، في مناطق عديدة من أوروبا مثلاً: اكتشف كنز نقدي من الدراهم قرب مدينة بتروغراد في عام ١٨٩٢(٣١ قطعة)وفي روستوف عام ١٨٩٤و١٩١٤(٢٢٩ قطعة) وأوكرانيا عام١٨٤٧(٢٠٦ قطع) وروسيا البيضاء ١٩٢٢(حوالي ١٥٠٠ قطعة) وإستونيا ١٩٢٣(٥٠٠ قطعة) مدينة كلازوف ١٨٦٧(حوالي ١٦٠٠ قطعة) قرب موسكو عام ١٨٩٩(٨٦٦ قطعة) ناحية اللاند في السويد ١٨٤٠ (١١٢٢ قطعة) وجزيرة غودلاند قرب السويد ١٨٥٠ (حوالي ٣٥٠ قطعة) في مقابر هذه

الجزيرة في القرن ١٩ أكثر من ٢٠ كنزاً يحتوي على أكثر من ٣٠٠٠ دراهماً فضياً وبروسيا في عام ١٨٣٥(٣٣ قطعة) والدانمارك عام ١٩١١(حوالي ١٧٠٠ قطعة) وعشرات الكنوز الأخرى في أرمينيا وروسيا وروسيا البيضاء وجيورجيا وآذربيجان وأوكرانيا والسويد وفنلندا وحتى ألمانيا وغالبيتها العظمى هي من الدراهم الفضية وتعود إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٨ و١٠م.

كان للدراهم الفضية العباسية بشكل خاص انتشار واسع في تجارة أرمينيا والدول المجاورة لها. ويُلاحظ أن الكمية الكبيرة جداً لهذه الدراهم دخلت إلى التداول في عهد الخلفاء العباسيين الخمسة الأوائل وتحديداً في القرنين ٨-٩م في عهد المنصور١٣٦-١٥٨ هـ = ٧٥٤ - ٧٧٥م والمهدي ١٥٨-١٦٩هـ = ٧٧٥-٧٨٥م وهارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ=٧٨٦-٨٠٩م والأمين ٨٠٩-٨١٣م والمأمون ١٩٨-٢١٨هـ=٨١٣-٨٣٣م.

ضربت الدراهم الفضية العربية الأموية ثم العباسية في مناطق عديد جداً من الإمبراطورية العربية الواسعة كأرمينيا والوسيط ودمشق وميرف ودارا بجيرات وأرداشير خورّا واسطخرة والبصرة وجنديسابور والري والعباسية والباب والجزيرة وحيرات وخوزستان وآران والكوفة والمحمدية والجبل وطبرستان ومدينة السلام والهرونية وهرونباباد والجاي وكرمان ومصر وزرنج وساجستان ورامهورموزت وبلخ ومعدن باجنيس وخرسان وإفريقية وأصفهان وغيرها من المواقع العديدة جدا.

بعد تفكك الخلافة العربية-العباسية انسلخت عنها مقاطعات عديدة وتأسست فيها إمارات ضربت نقودها الخاصة باللغة العربية بإشراف وذكر اسم الخليفة العربي لا كونه حاكماً سياسياً بل "أميراً للمؤمنين" فقط. وقد ظهرت في هذه الحقبة ولمدد مختلفة نقود إمارات البويهيين والساجيين والسلاّريين والسامانيين والصفّاريين والحمدانيين والوجيهيين وأمراء آذربيجان وأنديراب وطبرستان وعمارة وطوخارستان وغيرها من الممالك المستقلة أو شبه المستقلة. وقد تعزّز عود هذه الإمارات الصغيرة كثيراً في النصف الثاني من القرن ١٠م فأصبحت طرق القوافل التجارية كلها تحت سيطرتها كطريق فارس . خوزستان وطريق خراسان . سرداريا . أموداريا نحو مدن الشرق الأقصى الغنية جداً.

إنتشرت النقود الساجية ثم السلاّرية في المناطق الشمالية-الشرقية من أرمينيا أما النقود البويهية والمروانية والحمدانية فقد اكتشفت في المناطق الجنوبية-الغربية من البلاد.

كان التجار الأرمن نشيطين جداً حسب الرحالة العربي ابن فضلان وغيره من القرن ١٠م لأنهم كانوا همزة الوصل بين المناطق الإيرانية والمشرق العربي من جهة وبين المناطق الممتدة من بحر الخزر حتى روسيا وأوكرانيا وأوروبا لذلك ليس غريباً أن يسمي ابن فضلان هذه الطريق بـ"الطريق التجارية الأرمنية الكبيرة".

نُجمل الكلام ونؤكد انطلاقاً من وثائق وحقائق تاريخية-آثارية عذيدة موثّقة:

(١) كانت لأرمينيا علاقات تجارية وثيقة مع سوريا وبلاد ما بين النهرين والعراق وأسواق إفريقية المطلة على البحر الأبيض المتوسط وأوروبا الشرقية والغربية لذلك دخلت إلى البلاد دراهم فضية ضُربت في دمشق وقنسرين ومدينة السلام والكوفة والبصرة ورأس العين والموصل ونصيبين وحرّان والعباسية وغيرها من المدن العربية الكبيرة.

(٢) كانت علاقات أرمينيا التجارية الدولية تتم بالنقود الفضية العباسية بين القرنين ٨-١٠م مع المناطق الشرقية للخلافة ثم بدأت تدخل إلى البلاد نقود طبرستان وخراسان (نيسابور وبلخ وميرف وحيرات) ومن مناطق ما وراء النهر (سمرقند والشاش وبخارى) عبر فارس.

هناك أيضاً النقود العربية لحاكم الموصل الأتابك بدر الدين لولو بن عبد الله(١١٧٤-١٢٥٩م) الأرمني الأصل الذي اعتنق الدين الإسلامي على العقيدة الشيعية. وقد جاءت سيرته في "قاموس الأعلام" لخير الدين الزركلي وكتب عنه أيضاً المؤرخ شمس الدين الذهبي في "دول الإسلام" وابن تغري بردي في "النجوم الزاهرة" و"قاموس الأعلام الأتراك" ويتكلم عنه أيضاً المؤرخ العربي الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرشي الدمشقي.

وبتوصية من الأتابك لولو كتب الشيخ عز الدين كتابه "الكامل في التاريخ". وبناء على أبحاث الأثريين فإن معظم آثار مدينة الموصل القديمة من مساجد ومدارس ومزارات وقبور شيدت في عهده ويؤكد الباحث دافيد تاليوت رايس في كتابه "الفن الإسلامي" أنها تحمل تأثيرات هندسة عمارة مقاطعة باسفرجان الأرمنية. وقد أُلفت مجموعة "كتاب الأغاني"(١٠-٢٢ مجلداً) في عهد لولو وخلّد اسمه ابن الأثير مؤرخ بلاطه في موسوعته "الكامل في التاريخ" (٩ أجزاء).

كحاكم تابع إسمياً للخلافة ضرب بدر الدين لولو نقوده وذكر اسم الخليفة العباسي المعتصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ =١٢٤٢-١٢٥٨م). اكتُشف دينار ذهبي ضُرب في عهده في الموصل في عام ٦٤٥هـ=١٢٤٧ م يصل قطره إلى ٢٨ مم ويزن ٦،٣٠ غ وجاءت عليه الكتابات التالية:

الوجه الأول:

- **في الوسط (الإمام) (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) (المعتصم بالله أمير المؤمنين). وعلى المحيط: (بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة خمس وأربعين وستماية لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).**

الوجه الثاني:

- **في الوسط: (لولو) (محمد رسول الله صلى الله عليه) (بدر الدنيا والدين أتابك). وعلى المحيط: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).**




الدينار الذهبي للأتابك بدر الدين لولو

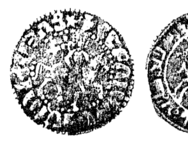
بعد وفاة بدر الدين لولو خلفه ابنه البكر الملك الصالح إسماعيل في الموصل وابنه الثاني المجاهد إسحاق في الجزيرة وابنه الثالث المظفر علي في سنجار.

من النقود العربية النادرة ما ضربه الأيوبيون الذين استولوا على بعض مناطق أرمينيا في عهد ولدي صلاح الدين الأيوبي الأوحد والأشرف وشقيقه العادل. وقد جاءت الكتابات العربية التالية على نقودهم:

"الملك الأوحد نجم الدنيا والدين شاه أرمن أيوب بن الملك الكامل"

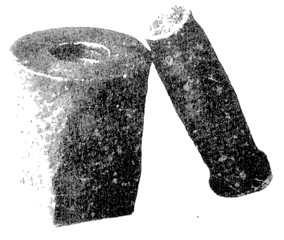
و"الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن أبو الفتح موسى" وغيرهما.

لعل النقود الفضية الأكثر غرابة تلك التي ضُربت في سيس عاصمة مملكة كيليكيا الأرمنية من قبل الملك هيثوم وعليها كتابات باللغتين الأرمنية والعربية تعود إلى عامي٦٣٧-٦٤٣هـ=١٢٣٩-١٢٤٥م. وقد نُقشت على الوجه الواحد الكتابات العربية التالية:



قطعة نقود فضية باللغتين العربية والأرمنية

"السلطان المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن كيقباد، ضُرب بسيس سنة سبع وثلاثين وستماية". وجاء على الوجه الثاني باللغة الأرمنية "هيثوم ملك الأرمن" وشكل الصليب فوق صورة الملك وهو يمتطي حصانه ملتفتاً نحو اليمين. وتعد هذه الدراهم من أجمل وأندر النقود الأرمنية-العربية.■



ختم لضرب النقود في مملكة كيليكيا الأرمنية

المصادر:

١. كتاب "مسائل نقدية". بيروت-١٩٨٦، تأليف: المرحوم جورج صباغيان - عضو إدارة جمعية العاديات الأسبق واختصاصي في علم النقود. باللغة الأرمنية.

٢. "التداول النقدي في أرمينيا بين القرنين ٥ ق.م- ١٤م" أكاديمية العلوم في أرمينيا - ١٩٨٣. تأليف خجادور موشيغيان- اختصاصي في علم النقود. باللغة الأرمنية.

هزة أرضية في حلب عاصمة سورية

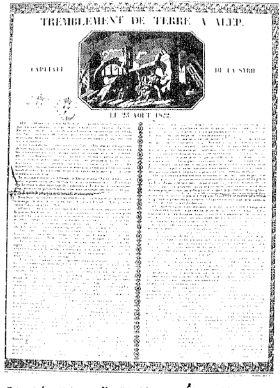
تقرير في ٢٣ آب ١٨٢٢

تعريب وتعليق عبد الله حجار*

نصّ التقرير:

((تقـع حلـب عاصـمة سـورية والمدينـة الثالثة في الإمبراطورية العثمانية في سهل واسع يمتد بين العاصي والفرات، وهي مبنية علـى ثمانيـة تـلال أعلاهـا متـوّج بقلعـة. ومحـيط المدينـة لوحـدها مـن ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ قامة toises (القامة تساوي ٦ أقدام) وضعف ذلـك إذا ضـمّت إليهـا الـضواحي. وتـضم المدينة ٢٠٠٠٠٠ نسمة من السكان.

في ليلـة ١٣ آب ١٨٢٢ زار هـذه المدينـة قـضاء مـن الله هائـل الوقـع سـيذكر في التاريخ؛ يظهـر إلى جميع الأمم بأي غضب شـديد يمكـن أن تنتـزع منـهم الأمـلاك والأرواح. وأيّ درس قاس في رؤية هذه المدينة الجميلـة ورائعـة البنـاء تتحـوّل في ثـوان إلى أكـوام خـراب. مـن لـن يحرّكـه خـوف خلاصي وهو يرى ألوف المخلوقات البشرية وقـد فاجأهـا المـوت وسـط ملـذات الرفاهيـة ورخاء العيش، ولم يكن لديهم لحظة واحدة للابتهال وطلب رحمة الله.


TREMBLEMENT DE TERRE A ALEP.

CAPITALE DE LA SYRIE

LE 23 AOUT 1822.

لقـد شـُعر بـالهزة في دمـشق وأضـنة وجزيرة قبرص وشوهدت مرّات متكرّرة نيران بركانيـة أثنـاء الليـل، ولم يكـن هنـاك مـا يلاحظ في حالة الجو. في خلال عشر ثوانٍ

---

* مهندس مدني، مستشار جمعية العاديّات للمرحلة الكلاسيكيّة.

أو اثنتي عشر ثانية أصبحت حلب وأنطاكية ومدن أخرى أكواما من الخراب. وبحسب الإحصاء الأكثر تواضعا فإن ٢٠٠٠٠ إنسان لقوا حتفهم... (سطر غير واضح للقراءة).

وسننقل كلمات شاهد عيان أنقذ بأعجوبة كتبها في بستان إبراهيم آغا قرب خرائب حلب بتاريخ ٢٣ آب ١٨٢٢:

"آخذ الريشة وبضعف كبير لأكتب عن الحدث الرهيب وأنا أذكر عويل الآباء على أبنائهم والأبناء على آبائهم والرجال على نسائهم والنساء على رجالهن. ويبدو لي وكأنني أراهم شبه عراة يركضون من جهة إلى أخرى يتوسلون حماية القادر على كل شيء، ويحاولون بأيديهم الضعيفة رفع الركام الذي تكوّم فوقهم.

في ليلة ١٣ آب نحو الساعة التاسعة والنصف قلبت حلب رأسا على عقب خلال ثوانٍ. كنت نائما على سطح بيت صديقي السيد م. الذي كان له حظ النجاة بنفسه مع عائلته.

قبل نصف ساعة من حدوث الهزّة الكبيرة شعرت بهزّة خفيفة، فأبعدت سريري احتياطا عن جدار عالٍ كان موضوعا بقربه. ثم استيقظت على اثر سقوط هذا الجدار على المكان نفسه الذي كان سريري فيه، فبادرت وبثياب النوم إلى الهرب داخل المنزل الذي انهار من جميع جوانبه.

البقاء في البيت أو السير في الشوارع بين الجدران التي تتهاوى كانا يبدوان خطرين على حد سواء. فأسلمت أمري لله وعزمت على نزول الدرج لأنسلّ من دار السيد م. وكان ذلك إلهاما من السماء لأن الدرج الكبير سقط في نفس تلك اللحظة.

إن ظلام الليل وأمواج الغبار الذي ملأ الجو منعاني من مشاهدة الأحجار والركام الذي غطى الدرج فتعثرت في الباحة بجسم ميت. كيف أستطيع أن أصف الشعور الذي انتابني عندئذ؟ كنت نصف ميت من الخوف والهلع. ثم علمت أن هذا الجسد هو لخادم أمين كان قد هبط الدرج قبل عدّة ثوانٍ، وقد سحقته أحجار متساقطة من منزلٍ مجاور.

تركت هذا المكان الحزين وركضت وسط الجدران التي كانت تتداعى متجها نحو أبواب المدينة. وفي وسط الشوارع الضيقة قدّر لي أن أكون شاهدا على المناظر الأكثر رهبة. لقد جعلتني الجدران المنهارة أرى، على ضوء المصابيح المنارة داخل الدور، رجالا ونساء حاولوا التعلق بالجدران المهتزّة وهم يحملون أولادهم بين أذرعهم. ورأيت أجسادا مشوّهة وممزّقة ممدّدة عند قدميّ، وسمعت الصراخ الحاد للذين كانوا نصف مدفونين تحت الركام. وكان مسيحيون ويهود وأتراك (مسلمون) كل على طريقته يبتهلون إلى الله طلبا للرحمة، بينما فكرة الصلاة ربما كانت بعيدة عن قلوبهم قبل عدّة دقائق.

وبعد جهد كبير وصلت منهكا إلى باب المدينة المسمّى "باب الفرج"، ولا زالت الهزّة الأرضيّة مستمرّة. وركعت وسط الناس، وجسمي بارد ومغلف بالرضوض والجروح، لأشكر العلي القدير على نجاتي من الأخطار. لكن باب المدينة كان مغلقا ولا أحد يجرؤ على تعريض حياته للخطر بالوقوف تحت قوس قبته لفتحه. وبعد ما أسلمت روحي لخالقي رميت بنفسي على الباب وتحسّسته في الظلام فتبيّن انه لم يكن مغلقا وانما القضبان الحديدية التي

كانت تغلقه قد اعوجّت (انحنت) من الهزة الأرضية، ولم تكن لديّ القوة الكافية لتقويم اعوجاجها، فذهبت أبحث عن الحرّاس ولكنهم لم يكونوا هناك.

ركعت ثانية أمام العلي القدير الوحيد الذي يمكنه أن يحفظني في مثل هذا الخطر. وما نسيت في صلواتي البائسين المحيطين بي. واقترب مني أربعة أو خمسة مسلمين واتخذوا وضعية الصلاة على عادتهم وهم يصرخون: الله، الله، وكلهم رغبة في ضمان سلامتهم وسلامة آلاف الناس الذين وصلوا حشودا لإنقاذ أنفسهم من باب المدينة. فرجوتهم مساعدتي في فتح الباب، وقد ألهمهم الله الشجاعة. وبحسب مشورتي أخذوا أحجارا كبيرة وبعد قليل قوّموا القضبان وفتح الباب. وما إن مررت من الباب حتى حدثت هزّة عنيفة جعلت الباب ركاما وقتل عدّة أشخاص أثناء سقوطه.

رأيت عندئذ مشهدا جديدا مؤثرا، سارع أناس عديدون وكأنهم على اتفاق وركعوا يشكرون الله القدير على سلامتهم. لكن عندما مرّ شعور الفرح الأولي افتكروا انهم تركوا أهاليهم وأصدقاءهم مسحوقين، أو على وشك ذلك، تحت الأنقاض. عندها راحوا يطلقون التنهدات... (سطر مشوّه غير مقروء). وتدرّبت على السير حوالي عشرين خطوة نحو مكان رأيت فيه مجموعة أشخاص هربوا من الضواحي، وهناك سقطت نصف ميت من البرد والألم.

عندما استعدت وعيي بعد فترة بدأت أحسّ بضيق يستحيل وصفه، وهو فكرة ما يمكن أن يحصل لأخي وهو في ذلك الحين في أنطاكية، والخروج القاسي لأصدقائي من المدينة والمشاهد الحزينة التي تحيط بي؛ بعض الناس جرحى والبعض الآخر يبكي أهله، وآخرون رأوا أمام أعينهم أولادهم يموتون وقد سحبوهم من تحت الأنقاض. إن أشجع ريشة لا يمكنها أن تعبّر عمّا شعرت به، وقد أمضيت الليل بكامله بالقلق والصلاة.

وفي الصباح حملت على حمار إلى البستان القريب ووضعت في ظلّ الأشجار. ووجدني السيد درشي M.Derchi الترجمان الفرنسي وأبلغني النبأ السار: إن جميع الأوروبيين المسيحيين، فيما عدا صبي صغير، تمّ إنقاذهم، لكن العديد منهم أصيبوا بجروح شديدة مثلي.

ومن بين اليهود الأوروبيين الذين قتلوا كان السيد عزرا بيجيوتو Esdra de Picciateo قنصل النمسا وآخرون سقطوا تحت الركام وعدة ألوف من المواطنين السوريين مسلمين ومسيحيين ويهود.

بقيت أربعة أيام دون أن أتمكن من الحركة بسبب جراحي ورضوضي، ولم يكن لديّ سوى غطاء (شرشف) أتمكن به من حماية نفسي من أشعّة الشمس المحرقة. وعندما انضممت إلى الأوروبيين الآخرين في بستان إبراهيم آغا استقبلني بحرارة قنصل فرنسا السيد دولسّبس. لا يمكنني أن أطري جيدا سلوك هذا الإنسان الممتاز. ولا يمكن لوالد أن يعامل أولاده بعطف مثل العطف الذي قدّمه السيد دولسّبس لمواطنيه وكذلك لجميع الذين كانوا بحاجة إلى نصائح أو مساعدات.

أية مجموعة من الأفكار الخلاصية لا تثيرها هذه القصّة؟ نحن على استعداد لإبعاد كل فكرة هلاك غير متوقع وكل الأفكار الجادة، وأن نقول مثل الساخرين والدنيويين الذين تكلّم عنهم القديس

بطرس في رسالته الثانية (فصل ٣ فقرة ٤): "ولا زال كل شيء منذ بدء الخليقة على حاله". لكن إذا تعرّضت مدن بكاملها لتدمير قاس أو رهيب جدا، أيّة أخطار لا تهدّد وجودنا في كل لحظة. وإذا كانت هزّة محلّية في زاوية من الكرة الأرضية ملأتنا لوحدها هلعا، فبأيّ خوف يتقبّل الخطأة الذين لم يتوبوا مشهد الدمار الذي سيسجّله يوم الرب بحسب الرسالة الثانية للقديس بطرس(فصل ٣ فقرة ١٠ و١١): "سيأتي يوم الرب كما يأتي السارق، فتزول السماوات في ذلك اليوم بدويّ قاصف، وتنحلّ العناصر مضطرمة وتحاكم الأرض وما فيها من الأعمال. فإذا كانت جميع هذه الأشياء ستحل على ذلك الوجه فكيف يجب عليكم أن تكونوا في قداسة السيرة والتقوى؟

مادمنا محاطين بالأخطار ومهدّدين بأن نواجه مصائب غير متوقعة أمام محكمة الديّان الإلهي، أفليس علينا أن نبادر إلى تطبيق ما قاله القديس بولس: "هذا الكلام أكيد، وجدير بأن يسمع بكامله، وهو أن يسوع المسيح جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة".)) (انتهى التقرير).

التعليق:

أشكر الصديق الدكتور المهندس حكمت زيربة خبير حسابات الزلازل في جامعة حلب ونقابة المهندسين السوريين الذي وافاني، وهو يعرف مدى اهتمامي بكل ما له علاقة بحلب، بالتقرير التاريخي الذي حصل عليه عن طريق الإنترنت. فقمت بنقله إلى العربية في ترجمة شبه حرفية كي أحافظ على أسلوب الكاتب المتأثر الذي وصف به الزلزال الرهيب.

يتألف التقرير من مقدّمة عن حلب ونبأ الزلزال الكبير الذي حصل فيها في ١٣ آب ١٨٢٢ ثم وصف شاهد عيان عاش أحداث الزلزال وكتب عنه بعد عشرة أيام فقط من حدوثه. ثم ختم بتوجيه ديني نبيل هو الدعوة إلى توبة الخطاة. وقد زيّنت أعلى التقرير صورة حفر أو رسم تخيّلي، قبل وجود آلة التصوير التي بدأ استعمالها في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، تمثل أبنية تتداعى وأناساً يهربون وتسقط أحجار الجدران فوق بعضهم.

ويبدو أن التقرير قد طبع في إحدى مطابع فرنسا وربما في باريس. كما ان خاتم المكتبة الملكية مع الزنابق الثلاث ربما ترمز إلى المكتبة التابعة إلى المعهد الفرنسي (كوليج دو فرانس) collège de France الذي أنشأه الملك فرانسوا الأول عام ١٥٢٩ وكان اسمه "المعهد الملكي".

لقد ذُكر في مقدّمة التقرير وقبل كلام شاهد العيان، وكأنه من وضع إدارة التحرير التي نشرت التقرير، انه "شُعر بالهزة في دمشق وأضنة وجزيرة قبرص، وشوهدت مرّات متكررة نيران بركانية أثناء الليل". أي كان هناك شيء مشترك في دمشق وأضنة وقبرص وهو تكرار وجود نيران بركانية أثناء الليل، مما جعل بعض الباحثين، ومن بينهم الدكتور المهندس جلال الدين خانجي عضو الجمعية الكونية السورية، يعتقد، كما بيّن في محاضرة ممتعة قدّمها بتاريخ ٢٠٠٠/٦/٧ في جمعية العاديات، أن من أسباب الزلزال ربما نزول نيزك أو ارتطام جسم سماوي غريب

ملتهب بسطح الأرض مما سبّب النيران البركانية. إلاّ أن شاهد العيان في وصفه لما رأى حوله منذ لحظة هربه من البيت الذي كان فيه وحتى وصوله إلى برّ السلامة في أحد البساتين خارج الأسوار، لم يذكر انه رأى شيئا من ذلك.

من وصف مجرى الأحداث يتبيّن أن الكاتب مجهول الاسم كان ينام على السطح، وهذا شيء طبيعي بحلب في شهر آب اللهاب، عند أحد أصدقائه في دار، داخل سور المدينة، قريبة من موقع مشروع باب الفرج اليوم. لذلك هرول هربا من الزلزال للخروج من أقرب باب وهو باب الفرج الذي هدم في الزلزال. وكان نهر القويق ببساتينه غير بعيد عن باب الفرج، وشارع وجسر الناعورة معروفان، وقد خلّد ألبير بوخه والد الدكتور أدولف بوخه تلك الناعورة في لوحة زيتية رائعة تحتفظ بها السيدة جيني مرّاش. وكانت منطقة البساتين ممتدة خارج الزاوية الشمالية الغربية لسور المدينة نحو الغرب والنهر فيما يسمى اليوم بستان كل آب (بستان الزهور). ولعلّ بستان إبراهيم آغا الذي لجأ إليه الكاتب والأوروبيون الآخرون هو أحد هذه البساتين أو يقع في منطقة الكتّاب الذي بنى فيها بعض الأوروبيين المقيمين استراحات لهم، أو انه مع البساتين الأخرى شمال المدينة مثل بستان الجالق والجانكية والباشا... علما إن المعلم نعوم البخاش في يومياته "دفاتر الجمعية" عن حلب يذكر ذهابه مرات عديدة إلى بستان إبراهيم آغا لصيد السمك مما يدل على انه قريب من المدينة، وربما كان صاحبه إبراهيم آغا الجلبي. ومن المعروف إن سوق الهال الحالي بحلب بني فوق جزء من أراضي "الجلبي" التي ربما كان فيها البستان المذكور. ولدى سؤال الفاضل جورجي جبرا خوام (قطوش) أطال الله بعمره ومتعه بصحة جيدة، أجاب ان البستان، على ما يذكر، هو قرب المسلمية. وإذا لم تخنه الذاكرة فهذا يعني ربما بستان إبراهيم آغا السياف الذي تذكر وقفيته العديد من القرى والدكاكين والبساتين وربما كان بستان المسلمية أحدها. كما كان هناك إبراهيم آغا الحريلي من كبار تجار وأغنياء الإنكشارية والذي قتله والي حلب ابن جبان عند الشيخ أبي بكر عام ١٨١٣كما يذكر الشيخ راغب الطباخ. لذلك كان هناك أكثر من شخصية هامة باسم إبراهيم آغا. ولا زلنا ننتظر الدراسة الموسوعية عن حلب، التي كان بصدد إصدارها المرحوم علي سماقية الباحث والموظف السابق في مديرية الآثار بحلب، ومن بينها بساتين حلب ومواقعها على نهر القويق مما هو قبل المسلمية وحتى جسر الحج ومستقع المطخ. نأمل أن تهتم عائلة المرحوم سماقية بطباعة الدراسة الهامة لتعم الفائدة. ونتساءل، ترى هل يمكن أن يكون اسم الترجمان الفرنسي السيد درشي أو دركي Derchi محرفا عن اسم أحد أفراد "عائلة دراكي" المعروفة؟ كما نعلم أن أحد أفراد عائلة بيجوتو، وهي عائلة قناصل يهودية بحلب، قد قتل أثناء الزلزال. وكان معظم القناصل الأجانب من اليهود فيما عدا عائلتي بوخه وماركوبولي.

ويسمّي الكاتب أهالي حلب المسلمين "أتراكًا" على عادة الأجانب آنئذ في تسمية جميع مسلمي الإمبراطورية العثمانية. كما كان أهالي أمريكا الجنوبية يطلقون كلمة "توركو" (أتراك) على جميع المهاجرين السوريين واللبنانيين الذين قدموا إلى بلادهم من الشرق العثماني بدءا من عام ١٨٦٠.

أمّا عن دور قنصل فرنسا آنئذ السيد دولسبّس، وهو عم فردينان دو لسبّس الذي نفّذ فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، فقد أشادت بجهوده وعمله الإنساني أكثر من جهة وكاتب، حيث اهتمّ بمساعدة الأجانب والمواطنين على حد سواء للتخفيف من آثار الزلزال العنيف. ويتفق واصف الزلزال مع عبد الله مراش في " تاريخ مختصر حلب" وكذلك مع جون باركر قنصل إنكلترا بحلب اللذين يذكران ان عدد القتلى بلغ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة، بينما يذكر آخرون رقم ١٠٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ نسمة.

وربما كان الكاتب فرنسي الجنسية أحد التجار أو آخاً لتاجر كان مع عائلته في أنطاكية أثناء الزلزال. ولا شك انه كان مؤمنا تقيا أو جعلته مواجهة الموت في حميمية الحدث الزلزال كذلك. فمضى، وهو يتمتع بخلفية دينية جيّدة تعتمد كلمات الكتاب المقدّس، يعظ القراء في آخر تقريره بضرورة توبة الخطاة حيث لا أحد يعرف متى يحين أجل الإنسان، ولنكن مستعدين.

وهكذا نجد في هذا التقرير وثيقة قيّمة تضاف إلى معلوماتنا عن زلزال حلب المدمّر في ٣١ آب ١٨٢٢. حمانا الله ومدينتنا المحروسة من الزلازل ونتائجها.■

إضافة قبل الطبع

ورد إلى التحرير أثناء إخراج العدد نصٌّ مُترجَم من قِبَل المهندس عبدالله حجّار. وهو نَصٌّ كتبه جون باركر الذي كان قنصلاً لإنكلترا في حلب بين عامَي ١٨٠٣ و١٨٢٥ ليلة الهزّة في أنطاكية. ويُضيف إلى الشهادة السابقة دليلاً يُرجّح احتمال سقوط النيزك.. نجتزئ منه ما يلي:

"في الثالث عشر من آب ١٨٢٢ في التاسعة والنصف مساءً، دُمِّرت وبالكامل وخلال زلزالٍ استمرّ ١٠ - ١٢ ثانية كلّ من حلب وأنطاكية وإدلب وأريحا ودركوش وأرمناز وكل قرية وكوخ في البشليك وبعض مدن بشليك دمشق والرافدين وحتى بغداد، وأصبحت حلب أكوام أحجار وركامًا فقدَ خلالها حسب أقل تقدير ٢٠,٠٠٠ إنسانٍ حياتهم (عُشر سكّان حلب آنئذ) وعددٌ مماثل شُوِّه أو جُرِحَ. لقد شُعِرَ بالهزّة بعنفٍ شديد في البحر على بُعد فرسخين من جزيرة قبرص. وقد اعتُقدَ أن سفينةً قد غرقت، وشُوهدَت ومضاتُ نارٍ بركانيّة في فترات مختلفة خلال الليل تشبه ضوء القمر وهو بدر، لكنها لم تترك في أي مكان، بحسب علمي، صدعًا أو شقًا ولأيِّ امتداد أو عمق. بالرغم من أنه في الأراضي المنخفضة كانت تُشاهَد وفي كل مكان شقوق صغيرة، تتدفّق المياه من العديد منها ثم لا تلبث أن تغور وتختفي. ولم يُلاحَظ شيء في الطقس أو حالة الجو. ولم تكن الأبنية في قمم أعلى الجبال أكثر أمانًا من الأبنية على ضفاف الأنهار أو على شاطئ البحر.■

نيزك الأتارب بين الحقيقة والخيال

تميم قاسمو*

حدثت هزّة أرضية في حلب عام ١٨٢٢م ويُرجّح بعض الباحثين أن سقوط نيزك كان السبب فيها.

مكان سقوط النيزك هو منطقة الأتارب، ويعتقد بعض علماء الفلك أنه آخر أكبر النيازك التي سقطت على الكرة الأرضية.

ولقد أشار الأستاذ عبد الله حجّار في مقالته عن "هزّة أرضية في حلب عاصمة سورية؛ تقرير في ٢٣ آب ١٨٢٢" إلى محاضرة الدكتور جلال خانجي في جمعية العاديات التي أثار فيها هذا الاحتمال.

لم يؤكد الدكتور خانجي في محاضرته تلك تأكيداً جازماً فرضية النيزك بل قدم بعض القرائن والشهادات، وتمنى على المختصين من علماء الجيولوجيا في بلادنا أن يسبروا منطقة الأتارب حتى يقطعوا الشك باليقين.

وإذا بقينا في مجال استقراء الشهادات ممن حضر تلك الليلة المهولة، نذكر أن الشيخ كامل الغزي قد نقل شهادة المعمر (محمد آغا مكانسي) وهو معمر حلبي يصفه الغزي بأنه: "**كان دقيق الفكر لا يشذ عن ذهنه كلي أو جزئي من الحوادث التي مرت عليه**"، ونوردها كما جاءت في نهر الذهب لمقارنتها بما جاء في شهادة المواطن الفرنسي التي ترجمها الأستاذ حجار في مقالته:

«بينما كنت جالساً في مصيف داري القديمة في ذلك الوقت أسمر مع جماعة من خلاني والتذ بمنادمتهم وحسن حديثهم والنسيم البليل يحيينا بأنفاسه وينعشنا بلطيف هبوبه، إذ انقطع عنا بغتةً واشتد الحر حتى شعرنا بضنك في صدورنا وضيق بأنفاسنا وما مر علينا سوى نحو عشرين دقيقة في هذه الحالة المضنكة إلا وسطع في جو الفضاء ضوء أشرقت به الدنيا إشراقها بالشمس تتجلى في ذروة الفلك الأعلى فرفعنا أبصارنا إلى العلاء فرأينا هذا النور الساطع صادراً من كوة مفتوحة في كبد السماء كأنها نافذة من نوافذ جهنم وما كدنا نرجع أبصارنا إلى الحضيض حتى أوقر أسماعنا دوي كهزيم الرعد وإذا بالأرض قد

---

* مهندس مدني، باحث في التراث.

مادت بنا يمنة ويسرة والنجوم أخذت تتناثر وتتطاير في أفق السماء كشرر يتطاير من أتون ثم انتفضت الأرض أربع مرات متوالية أزاحتنا عن مقاعدنا فنهضنا على أقدامنا وما منا أحد إلا وقد أحس بدنو أجله كأن السماء وقعت عليه أو الأرض كادت تنخسف تحت قدميه فصرنا نكرر الشهادتين ونضرع إلى الله بقولنا يا لطيف يا لطيف والجدران تتداعى وتخر السقوف وتتدهده الحجارة على الأرض فيسمع لها جلبة ودوي تقشعر منهما النفوس كل هذا جرى في برهة من الزمن لا تزيد على نصف دقيقة وقد اشتد غواش الناس وضجيجهم يستغيثون بالله وعلا صراخ النساء وعويلهن وطفقت الخلائق تركض إلى الصحراء وهم يتدافعون ويتزاحمون في الشوارع والأزقة هائمين على وجوههم لا يلوي والد على ولد كل يهرع مهرولاً إلى ساحل السلامة يطلب النجاة لنفسه حتى كأن القيامة قد قامت وآذن حبل الحياة بالانصرام وكان القتام شديداً حلك منه الظلام وحجب النجوم عن العيون.



أما الجماعة الذين كانوا يسمرون عندي فقد أسرعوا الكرة إلى منازلهم ليتفقدوا أهلهم وأما أنا فقد كان أهلي حين وقوع هذا القضاء جالسين في صحن الدار وكانت الدار فسيحة وجدرانها قصيرة لم يؤثر بها الزلزال ولا انهدم منها شيء فجمعتهم في وسط الصحن وبتنا ليلتنا في قلق زائد لأن الأرض كانت في كل برهة ترتجف وتختلج ونحن نستغيث بالله ونتعوذ به من سخطه فلما طلع الفجر أحضرنا جماعة من العتالين فحملناهم من البيت ما يقوم بسد حاجاتنا من الفرش والمؤنة وخرجنا بالأهل والعيال إلى أحد بساتين الفستق التي في جوار محلتنا وكان الناس قد خرجوا إليها في الليل وبات أكثرهم على الأرض بلا غطاء ولا وطاء أما بقية جهات البلدة فمن ناسها من خرج إلى البرية في جوار محلته ومنهم من قصد الكروم والبساتين ثم تداركوا الخيم وبيوت الشعر والأغنياء منهم عملوا بيوتاً من الدف ومنهم الفقراء الذين ظلوا تحت السماء بلا كن ولا ملجأ واستمر الزلزال يتردد نحواً من أربعين يوماً تارة خفيفاً وأخرى شديداً وحين حدوث الزلزلة الأولى كان أكثر الناس على أسطحة منازلهم وفي فسحات دورهم جرياً لعادتهم في موسم الصيف فسلم بهذه الواسطة العدد الكبير من عطب الزلزلة ولولا ذلك لكان السالم منهم قليلاً ومع هذا فقد مات تحت الردم في حلب زهاء خمسة عشر ألف نسمة وكان معظم تأثير الزلزلة في محلة اليهود والعقبة وسوق العطارين وأبراج القلعة وما اشتملت عليه من البيوت والمنازل وما جاور القلعة من المباني التي كانت قائمة في ذلك الفضاء المعروف باسم (تحت القلعة).

قال ومما يدل على شدة نفضات الزلزلة في أول مرة أن هلال مئذنة جامع العثمانية اندفع من محله وسقط على قبة القبلية فخرقها ووقع على ارض القبلية فحفرها.

كان الناس يتكبدون مشقة زائدة وهم في الصحراء والبساتين بالحصول على الأقوات التي لم يبق الباعة لها سعراً محدودا فان كل واحد من باعة الخبز واللحم وغيرهما يبيع بضاعته بالثمن الذي تسنح له به الفرصة وكان الدعار والمتشردون يقصدون الدور والمنازل وينهبون ما فيها من الأثاث

والمؤونات فاضطر أهل كل محلة إلى أن يتعاونوا على إقامة حراس يحرسون أموالهم وكانت جماعة الحكومة كالوالي والقاضي قد تركوا منازلهم وأقاموا في البرية تحت الخيام وبيوت الخشب وشغلهم الخوف والفزع عن القيام بمباشرة وظائفهم فاختل نظام الحكومة وكثرت حوادث النهب والسلب، أما جثث القتلى التي كانت تحت الردم فكان أهلها المتمولون أخرجوهم على الفور ودفنوهم بثيابهم وقد استخرج البعض منهم وفيهم رمق من الحياة فعاشوا ومنهم من مات بعد ساعات واستخرج بعض من خرت عليهم السقوف أحياء لم يصابوا بشيء من الضرر لأن بعض السقوف انهدم جدارها الواحد فقط فبقيت رؤوس الأخشاب الأخرى معلقة بالجدار الباقي فتكون منها وقاء لمن كان مقيماً تحتها، أما الفقراء الذين لا مال عندهم فقد بقيت قتلاهم مدفونة تحت الردم في الخرابات الكبيرة فكانت هناك قبورهم إلى الأبد، كانت الأرض في هذه المدة وهي أربعون يوماً لا تنقطع حركتها غير قليل فكان الناس يحسون من وقت لآخر برجفات تحت أقدامهم وقد شاعَ أن قطعةً كبيرةً من الأرض في ناحية الأتارب قد خُسفت ولهذا كان كثير من الناس لا ينفك عنهم الفزع والقلق لأنهم قد تسلط على واهمتهم بأن الأرض ربما خسفت بهم وإن كانوا آمنين من سقوط الجدران عليهم لإقامتهم في بيوت خشبية))[1]

ويلاحظ في هذه الشهادة أن المكانسي يصف ما حدث قبل وأثناء الهزة وبعدها، في حين أن شاهد العيان الفرنسي يبدأ شهادته بعد استيقاظه إثر الهزة، وتقدم شهادة المكانسي تفصيلات ترجح احتمال سقوط نيزك بالقرب من حلب وتعطيها درجة عالية من المصداقية، وهو يذكر الظواهر المتعددة التي حدثت قبل الهزة وبعدها بالترتيب التالي:

١. توقف النسيم واشتداد الحر فجأة إلى درجة ضيق الأنفاس لمدة عشرين دقيقة.
٢. سطوع ضوء يماثل الشمس قوة وكأنه كوة مفتوحة في كبد السماء.
٣. دوي كهزيم الرعد.
٤. اهتزاز الأرض.
٥. تناثر نجوم في السماء كشرر يتطاير من أتون.
٦. ثم انتفاض الأرض أربع مرات.
٧. قتام شديد حالك.

إن الظواهر (١، ٢، ٣) وهي اشتداد الحر فجأة وسطوع الضوء ثم الدوي الهائل السابق للهزة، قد حدثت بينما كان الفرنسي يغط في النوم لذلك لم يأت عليها في شهادته، وهي ظواهر لا تسبق الزلازل عادة بل تصف سقوط نيزك على الأرجح. حيث يظهر النيزك متوهجاً لاحتكاكه بالهواء نتيجة سرعته الهائلة، وبالطبع فإن رؤيته تسبق سماع صوت اصطدامه بالأرض لأن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت بكثير. كما أن تناثر النجوم "كشرر يتطاير من أتون" وصف مكتمل لشظايا النيزك المتطايرة بعد سقوطه ويترجح احتمال أن يكون سبب الهزة سقوط نيزك في الأتارب هو أن تلك الناحية قد خسفت كما ورد في رواية المكانسي. أما ظاهرة انتفاض الأرض أربع مرات فهي تتفق مع نفس الاحتمال لأنها ردّ فعل معاكس لصدمة رأسية يمكن تشبيهها بما يحدث إذا ضربنا بقبضتنا سطح طاولة حيث تقفز الأشياء الخفيفة الموجودة عليها.

١- كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب - كامل الغزي - دار القلم العربي بحلب - ١٩٩٣ - ٢٥٦/٣-٢٥٨.

ويورد الشيخ محمد راغب الطباخ في (إعلام النبلاء) عدة شهادات، منها قصيدة مخمسة لمحمد تقي الدين المطلبي تذكر ما حل من دمار في ولاية حلب وما جاورها بشكل دقيق ومفصل[1] وتقع في خمس وخمسين مقطعاً.

تصف القصيدة ما حدث في الأتارب فتقول:

أرض الأتارب غارت ثم أبين
ورام حمدان ليس الأمر بالهين
وادلب هدمت وبلاد سرمين
وبنش بعضها ومعارمصرين
وبلاد دركوش[2] قد غارت بمن فيها

كما تذكر تفصيلات عما حدث في حلب نفسها وكلز واعزاز وأريحا وسرمدا وبلاد الحلقة وأنطاكية ومرعش وسواها كثير.

أما الشهادة الأخرى فهي للشيخ محمد الترمانيني[3] ولا تخرج عن شهادة المكانسي وتشترك معها في ذكر الدويّ الذي سبقها والشهب التي نزلت من السماء. لكنها تُضيف تفصيلة هامة تتفق مع ظاهرة انتفاض الأرض التي وردت في شهادة المكانسي ويرويها الترمانيني في مقامة لها طابع أدبيّ فيه شيء من المبالغة فيكتب: (**ونفضتنا الأرض عن ظهرها حتى قربنا من السماء، وكدنا نغترف بأكفّنا من السحاب الماء، ثم هبطنا للحضيض الأسفل، وعدنا لما وصلنا إليه أول، نحو خمس مرات متواليات**).

ويؤكد شاهد العيان الفرنسي ظاهرة النيران البركانية التي تلت سقوط النيزك المحتمل، والنص المترجم يذكرها معطوفة على ما جرى في حلب، ومن المستبعد أن يكون الشاهد قد عممها كظاهرة جرت في قبرص وأضنة ودمشق حيث وصلت الهزة، إذ لم يكن هناك حينها.

ولا يفوت قارئ الشهادات الواردة في نهر الذهب وإعلام النبلاء وشهادة المواطن الفرنسي على السواء، أن يلاحظ ميل البشر على اختلاف دياناتهم إلى العودة إلى الله وطلب رحمته عند الشدائد، مما يظهر أن الفطرة البشرية واحدة وإن تعددت المشارب والأهواء.

مرة أخرى أشكر الأستاذ عبد الله حجار على إثارته هذا الموضوع لعل ذلك ينبهنا إلى أن حلب تقع على خط زلزالي خطير يوجب علينا أن نقوي أبنيتنا ونرفع استعدادنا للطوارئ، وهي مناسبة كي نضم صوتنا إلى صوت الدكتور خانجي في مطالبة المختصين من علماء الجيولوجيا بأن يتحروا منطقة الأتارب، فإذا ما ثبت أن الأتارب كانت المكان الذي سقط فيه على الكرة الأرضية آخر أكبر النيازك في التاريخ فإنها ستضاف إلى المواقع التي يقصدها السياح والمهتمون بالبحث العلمي للدراسة والاعتبار معاً.■

١- كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - محمد راغب الطباخ - دار القلم العربي بحلب ١٩٨٨ - ٣٢٢/٣ وما بعدها.

٢- نتيجة للهزة انفصلت كتلة من سفح الجبل الشمالي المطل على دركوش وسقطت على البلدة وكانت قلعة دركوش مبنية على تلك الكتلة فذهبت القلعة ومعظم البلدة معاً. ويذكر المطلبي ذلك بقوله: دركوش لم يبق بها دار/ ولا رجال ولا أنثى ولا جار/ وكلهم في بطون الأرض قد صاروا/ جبالهم فوقهم من هزة ماروا/ تبكي الوحوش عليها ثم عاصيها.

٣- إعلام النبلاء ٣/٢٢٨.

أخبار آثاريّة

- جائزة التراث المعماري لمشروع حي "باب قنسرين" في حلب.
- مأمون فنصة، طريقة مبتكرة للكشف عن مومياء.
- مصر تسترد ٦١٩ قطعة أثرية هربت إلى بريطانيا.
- إنقاذ مخطوطة نادرة من القرآن الكريم في الصين.
- كشف أثري في موقع قصر الخليفة هشام بن عبد الملك.
- شكوك جديدة حول خريطة قديمة لأمريكا.
- مخطوطة من القرون الوسطى.. لا زالت لغزا.
- تدمر: اكتشاف ٦٠٠ قطعة نقد فضية.

جائزة التراث المعماري

لمشروع حي باب قنسرين في حلب

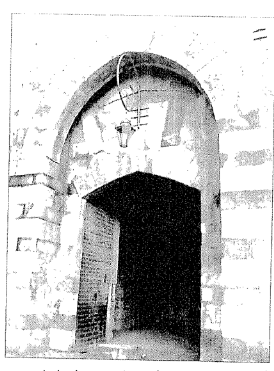
تصدرت مدينة حلب المرتبة الأولى في جائزة التراث المعماري لعام ٢٠٠٤ لمشروع منطقة حي "باب قنسرين" التي منحتها هيئة تحكيم الجوائز المعمارية في منظمة المدن العربية في دورتها الثامنة التي عقدت في الدوحة.

واحتلت مدينة الإسكندرية المرتبة الثانية عن مشروع مبنى مسرح "السيد درويش".

أما مدينة دمشق فنالت المرتبة الثالثة عن مشروعي ترميم بيت "شيخ الأرض" و"دار المجد" اللذين يعتبران من المشاريع الرائدة في مجال ترميم المنازل الدمشقية.

وبخصوص جائزة التراث المعماري فقد أوضح د. منذر الأعظمي أن عدد الترشيحات لجائزة التراث المعماري بلغ سبعة ترشيحات من ٧ مدن عربية تمثل ٥ دول عربية.

لأغراض تقييم ترشيحات جائزة التراث المعماري قامت لجنة التحكيم



باعتماد خمسة معايير رئيسية وكما يلي:

- ترميم وصيانة المبنى أو المباني من خلال الدراسات المتكاملة وتحديد الأسلوب العلمي والمقاييس التقنية.
- كيفية توظيف المباني الملائمة مع الخصوصيات المعمارية الخارجية حوله والداخلية ضمنه.
- التأثير الثقافي لأعمال ترميم وصيانة المشروع.
- التأثير الاجتماعي لترميم وصيانة المشروع وانعكاساته على المنطقة.
- اثر المشروع على الوضع الاقتصادي وجانب السياحة الثقافية.

وقد تم فرز الترشيحات المقدمة بحسب استيفائها لشروط منح الجائزة.

مبروك.. وإلى مزيد من الإنجازات.

بإشراف البروفيسور السوري مأمون فنصة

طريقة ألمانية مبتكرة

للكشف عن مومياء عمرها ٢٠٠٠ سنة



معهد الأبحاث العلمية بمدينة بون الذي يحمل اسم سيزار أو المركز الأوروبي للدراسات المتقدمة وأبحاث فترة ما قبل التاريخ باشر أعماله في عام ١٩٩٨ برئاسة البروفيسور الدكتور بيتر هيرينج.. ويعمل في أقسامه وفروعه اليوم حوالي ١٣٠ شخصاً من العلماء والأطباء والفنيين في فروع علوم المادة والطب الجراحي القائم على تقنية الكمبيوتر إلى جانب فروع التقنية الحيوية والعضوية وهو من أكبر وأشهر المراكز العلمية في أوروبا وقد قام هذا المعهد في إطار التعاون القائم بينه وبين متحف الطبيعة والإنسان في مدينة أولدنبورج الألمانية برئاسة البروفيسور الدكتور مأمون فنصة السوري الأصل من مدينة حلب بواحدة من أهم التجارب العلمية المتعلقة بأبحاث الإنسان القديم للكشف عن سر مومياء قديمة عثر عليها في مستنقع قريب من مدينة هوزبيكة بولاية سكسونيا السفلى الألمانية، وتبين أنها لرجل في حوالي العشرين من العمر، مات أو قتل قبل حوالي ألفي سنة، في عصر الإمبراطورية الرومانية.

وتمت عملية الكشف هذه من خلال الاستعانة بطريقة ضوئية متطورة، اخترعها المركز الأوروبي المذكور أعلاه، تقوم بالكشف عن الجثة خلال فترة ضوئية وجيزة لا تتجاوز مدتها جزءاً من المليار من الثانية ونقل المعلومات المتحصلة إلى كمبيوتر خاص متطور بحيث تبدو الصورة المطلوبة بأبعادها الثلاثة مما يعتبر خطوة متقدمة جداً في الكشف عن المومياءات القديمة يمكن استخدامها في الكشف عن أسرار الحضارات القديمة في العالم إلى جانب فوائدها الكبيرة والمميزة في مضمار الطب الشرعي والجنائي.

ويضم متحف الطبيعة والإنسان في أولدنبورج الذي يرأسه البروفيسور السوري فنصة اليوم خمس مومياءات قديمة يعود تاريخها إلى حوالي مئتي عام قبل الميلاد أو بعده تعتبر المصدر الوحيد الخاص بحياة الإنسان الذي كان يعيش وسط أوروبا وشكله وتركيبه الفيزيولوجي في تلك الفترة من التاريخ.

كما تشير المعلومات التي نشرت حول هذا الموضوع الذي أثار اهتمام الأوساط العلمية والتاريخية والطبية في ألمانيا وأوروبا إلى أن مومياء مدينة "هوزبيكة" هذه كانت لرجل في حوالي العشرين من العمر، يبلغ طوله ١,٧٥ متر طويل الشعر وهو ذو لحية وشارب ظاهرين، عثر بداخل معدته على بقايا من عظام السمك وحبوب الشعير..

وفي الوقت الذي استطاعت فيه طريقة التصور الشعاعي المقطعي الجديدة التي طورها مستشفى جامعة بون، التقاط صور شعاعية دقيقة لجمجمة مومياء مستنقع سكسونيا السفلى، استطاع مركز سيزار بإشراف البروفيسور هيرينج تصوير كل طبقة من طبقات جمجمة هذا الشخص المجهول الذي توفي منذ فجر التاريخ وأعيدت الحياة إليه من الناحية التاريخية والتشريحية والعلمية، مجدداً.

مصر تسترد ٦١٩ قطعة أثرية هربت إلى بريطانيا



استردت مصر ٦١٩ قطعة من القطع الأثرية النادرة من السلطات البريطانية كان قد تم تهريبها إلى سويسرا ومنها إلى إنجلترا حيث قامت السلطات البريطانية بالتحفظ عليها وإبلاغ مصر بها والتأكد من أنها مسروقة. وقال الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار بمصر الدكتور زاهي حواس في تصريح صحافي، حسب وكالة الأنباء الكويتية، أن وزير الثقافة فاروق حسني سيعقد مؤتمرا صحفيا بالمتحف المصري يعرض خلاله تفاصيل عملية استعادة القطع الأثرية التي استردتها بلاده من بريطانيا مؤخرا.

وأوضح حواس أن القطع الأثرية التي تم استردادها من القطع الأثرية النادرة التي تمتد إلى عصور فرعونية مختلفة وكانت قد سرقت من المتحف المصري عام ٢٠٠٠.

وأشار إلى أن القطع المتحفية المستردة سيقام لها طرق عرض خاصة وستوضع بالمتاحف الجديدة كالمتحف الكبير ومتحف الحضارة والمتحف المصري بشكل يعطيها قيمة أكبر من ما عرضت به في الخارج.

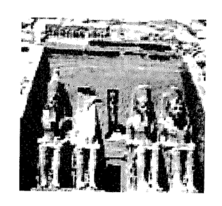
وقال حواس: إن هناك اتجاها أيضا لنسب هذه القطع المستردة إلى الأماكن التي استعيدت منها كنوع من الشكر والتكريم مثلما تم مع متحف أتلانتا وتشجيعا لجهات أخرى على إعادة ما بحوزتهم من آثار.

وأكد أن عرض التحف والآثار المستردة بشكل جيد ومناسب سيجبر مديري المتاحف في العالم اجمع على احترام ذلك ويشجع الباقي منهم على اتخاذ خطوات مماثلة لعودة باقي الكنوز الأثرية المصرية في الخارج.

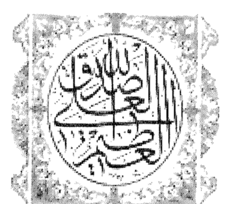
وأشار إلى أن فريقا من النيابة العامة بمصر يضم خبراء من هيئة الآثار قد توجه إلى بريطانيا في بداية الشهر الحالي وعاد إلى مصر مصطحبا معه هذه الآثار بعد اتخاذه لكافة الإجراءات القانونية اللازمة لاستعادتها بالاشتراك مع الجانب البريطاني.

وأوضح حواس أن اللجنة اكتشفت أن من بين هذه القطع ٤٨٥ قطعة أثرية أصلية نادرة من بينها تابوت كامل بينما هناك ١٣٤ قطعة أخرى تحتاج إلى استكمال فحصها في مصر.

يذكر أن التحقيقات كشفت من واقع السجلات الرسمية أن هذه الآثار أصلية وغير جائز تملكها أو خروجها من البلاد بأي طريقة وأنه تقرر نقل هذه الآثار إلى المتحف المصري لتخزينها على ذمة التحقيق كدليل في القضية المتهم فيها أحد كبار رجال الأعمال وعدد من معاونيه لحين الانتهاء من التحقيقات.



إنقاذ مخطوطة نادرة من القرآن الكريم في الصين



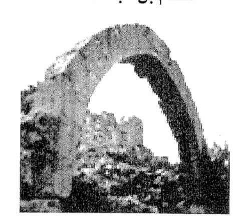
أعلنت المصلحة الوطنية الصينية للآثار مؤخرا أنها قررت تخصيص مبلغ مليون و ٨٠٠ ألف يوان (نحو ربع مليون دولار أميركي) لإنقاذ وحماية مخطوطة نفيسة ونادرة من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي.

والنسخة محفوظة حاليا، حسب وكالة أنباء الشرق الأوسط، داخل صندوق حديدي بمسجد جيتشى بمحافظة شيونهوا الذاتية الحكم بمقاطعة تشينغهاى الواقعة شمال غرب الصين والتي يقطنها غالبية مسلمي الصين من قومية السالار (إحدى القوميات العشر الصينية التي تدين بالإسلام وهي: هوى، الويغور، القازاق، القرغيز، التتار، الأوزبك، الطاجيك، دونغشيانغ، باو آن والسالار).

ووفقا لبيان أصدره فريق مشترك من ممثلي المصلحة الوطنية للآثار والمصلحة الوطنية للشئون الدينية فان المخطوطة القرآنية مدونة باللغة العربية ويبلغ عدد صفحاتها ٦٨١ صفحة وتضم الأجزاء الثلاثين للقرآن الكريم غير منقوصة وكل جزء مغلف بالحرير الأزرق.

■ ■ ■

كشف أثري في موقع قصر الخليفة هشام بن عبد الملك



كشفت البعثة الأثرية السورية السويسرية المشتركة في قصر الحير الشرقي الذي بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عن مبان فرعية ذات أهمية تشير إلى فترة إنشاء الموقع.

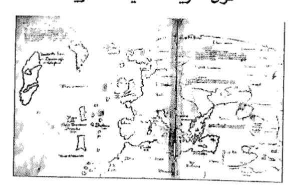
وأشارت مصادر البعثة إلى العثور على عدد من الأواني والأدوات الفخارية المتنوعة وبعض اللقى الأثرية البرونزية في الموقع الذي يبعد ١٢٠ كيلومترا عن تدمر.

سيشجّع هذا الكشف الدوائر الأثرية السورية على الاهتمام بالفترة الأثرية التي تعود إلى العصور الإسلامية نظرًا لغِناها الفني والتُراثي.

والموقع، عبارة عن قصرين تحيط بهما جدران من الآجر والجبس والحجر في منطقة قرية الطيبة وسيستمر العمل فيه حتى عام ٢٠٠٦ بهدف إعادة دراسته للتعرف على فترات إنشائه والسكن فيه وأسلوب عمارته والمواد المستخدمة في بنائه وذلك في مسعى لدراسة الآثار الإسلامية المنتشرة في البادية السورية وبلاد الشام.

■ ■ ■

شكوك جديدة
حول خريطة قديمة لأمريكا



الخارطة: "فينلاند" تقع على الطرف الأيسر

أثير المزيد من الشكوك حول خريطة لأمريكا يُزعم أنها ترجع إلى القرون الوسطى رُسِمت قبل رحلة كريستوفر كولومبوس إلى العالم الجديد.

ويعتقد العديد من العلماء بأن الخريطة التي يطلق عليها اسم خريطة فينلاند، والتي تملكها جامعة ييل حاليا ويقدّر ثمنها بنحو ٢٠ مليون دولار، ما هي في الواقع إلا خريطة مزيفة زُيِّفت في القرن العشرين.

وكان الجدل قد دار حول الخريطة طوال الأعوام الـ٣٥ المنصرمة.

وفي وقت سابق من هذا الأسبوع، قال خبراء من كلية يونيفيرسيتي كوليدج في جامعة لندن إن تحليلا جديدا أجري على الحبر المستخدم في رسم الخريطة قد أضاف أدلة جديدة على كونها مزيفة.

ومن اللافت للنظر أن هذه الدراسة نشرت بالتزامن مع نشر تفاصيل عن دراسة أخرى لتحديد تاريخ الرق الذي رسمت عليه الخريطة باستخدام الكربون المشع.

وتظهر هذه الدراسة أن الرق يعود على الأرجح إلى القرن الخامس عشر، حتى ولو كانت الخريطة المرسومة عليه قد رسمت في وقت لاحق.

تأثير الفاينكينغ:

ويبدو أن خريطة فينلاند تظهر -بقدر كبير من الدقة- ليس البلدان الرئيسية في أوروبا الغربية، والشمالية والمتوسطية فحسب، بل جزيرتي غرينلاند وآيسلاند أيضا.

بيد أن ما سبب الضجة لدى كشف النقاب عنها في عام ١٩٦٥ كان أنها احتوت على منطقة "فينلاند"، وهي منطقة صغيرة إلى الغرب من غرينلاند تصور ربما قطاعا من الساحل الشرقي لكندا والولايات المتحدة.

وإذا ما كانت الخريطة أصيلة، فإنها تكون سابقة ببضع سنوات على الرحلة الشهيرة التي قام بها كريستوفر كولومبوس، وربما يكون واضعوها قد اعتمدوا على تجارب المكتشفين من الفايكينغ الذين يُعتقد بأنهم قد وصلوا إلى أمريكا الشمالية في القرن العاشر أو الحادي عشر.

ومن شأن هذا الأمر أن يجعل من خريطة فينلاند أول خريطة تظهر فيها أمريكا الشمالية.

ولكن هل الخريطة حقيقية؟

تسليط أشعة الليزر:

واستخدمت الدراسة التي أجرتها كلية يونيفيرسيتي كوليدج في جامعة لندن، والتي أشرف عليها البروفيسور روبين كلارك، ونشرت في مجلة أناليتيكا كميستري الدورية، تقنية توظف أشعة الليزر لمعاينة الخطوط المرسومة على الرق.

ويتم تسليط الأشعة بعدة موجات بشكل يعتمد على التركيب الكيميائي للحبر، لكي يتم تحديد هوية المركبات ذات الصلة.

وخريطة فينلاند مثيرة للاهتمام بحيث أن هناك خطا مائلا إلى الاصفرار مباشرة تحت

الخط الأسود الموجود في أعلى الخريطة.

ووجدت دراسة البروفيسور كلارك آثارا لمادة كيماوية يطلق عليها اسم أناتايس -وهي شكل من أشكال ثاني أكسيد التيتانيوم- في الخطوط الصفراء عند عدة نقاط من الخريطة.

وهذا الصباغ لم يدخل في تركيب الحبر حتى العشرينات من القرن العشرين على الأقل، ما يوحي بقوة بأن الخريطة ما هي إلا نتاج عملية تزييف تمت في العصر الحديث.

ولم يعثر فريق البروفيسور كلارك على أية آثار لمادة الأناتايس في أي مكان آخر على الخريطة، ما يشير إلى أن وجودها ناجم عن كونها إحدى مكونات الخط الأصفر وليس عن تلوث في مرحلة لاحقة.

مفتاح أصفر:

ويعتبر سبب وجود الخط الأصفر مفتاح صحة الخريطة.

فأنواع الحبر المستخدمة في القرون الوسطى والمرتكزة إلى مادة الحديد تميل إلى التآكل بمرور الزمن، ما يترك بقعة صفراء أو بنية اللون.

وقد تكهن البعض بأن أنواع الحبر الأسود المستخدمة في الخريطة لم تكن مرتكزة إلى مادة الحديد.

وأبلغ البروفيسور كلارك بي بي سي أون لاين إنه في حين أنه ليس بوسعه إلا أن يتكهن في شأن المصدر الدقيق للخريطة، فإن عمل فريقه يعني أنه من غير المرجح إلى حد كبير أن يكون تاريخها يرجع إلى ما قبل العشرينات من القرن المنصرم.

"تزييف جيد":

وقال البروفيسور كلارك: "لا أستطيع أن أرى كيف كان من الممكن أن يتم تحضيرها في القرن الخامس عشر".

وأضاف: "وأنا لا أعلم كيفية تحضيرها، ولكنني لا أستطيع أن أفكر بأي تفسير آخر".

ويوحي بعض العلماء بأن ثاني أكسيد التيتانيوم الموجود على الخريطة يمكن أن يكون ناجما عن تدهور طويل الأمد في أنواع الحبر القديمة، ولكن البروفيسور كلارك ما يزال غير مقتنع بهذا التفسير.

ويقول كلارك: "لم نرَ ثاني أكسيد التيتانيوم هذا في أية مخطوطات قديمة أخرى، ونحن قد استخدمنا المجهر لفحص الآلاف منها".

ويضيف: "ولكن إذا ما ثبت كونها مزيفة، فإنها (تزييف) جيد جدا".

مفتاح كربوني:

وتحدد الدراسة التي أجريت على الخريطة باستخدام الكربون المشع، والتي نشرت في مجلة راديوكاربون الدورية، بدقة تاريخ صنع الرق الذي رسمت عليه الخريطة حوالي عام ١٤٣٤ ميلادية، أي قبل نحو ٦٠ سنة من رحلة كولومبوس.

ويعني هذا الأمر أن الرق يمكن أن يكون قد أُنتج لكي يتزامن مع محفل بازل الكاثوليكي، الذي التأم قبل نصف قرن من رحلة كولومبوس.

وقال الدكتور غارمان هاربوتل، الذي أجرى الدراسة: "في حين أنه لا يمكن لنتيجة تاريخ (الرق) نفسها أن تثبت أن الخريطة صحيحة، فإنها دليل جديد يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار من قبل أولئك الذين يجادلون بأن الخريطة مزيفة ولا قيمة لها من ناحية علم الخرائط".

□ □ □

لا زالت لغزا



ربما تمكن العلماء والباحثون من فك العديد من الشفرات السرية لبرامج الكمبيوتر وتمكنوا من حل ألغاز الجينوم البشري لكن مخطوطة غريبة تعود إلى العصور الوسطى وتعرف بأنها الأكثر غموضا في أوروبا مازالت أسرارها عصية على الفهم والحل منذ عقود.

ولم يتوصل أحد بعد إلى تحديد تاريخ أو معرفة اسم مؤلف المخطوطة التي يبلغ عدد صفحاتها ٢٠٤ صفحة من النصوص والرسوم التخطيطية وتحمل اسم (مخطوطة فوينش).

ويختلف الباحثون، حسب وكالة الأنباء الألمانية، بشأن تحديد تاريخ المخطوطة فهناك من يعتقد إنه كتبت في القرن الثالث عشر في إنكلترا ويعتقد بعضهم الآخر أنها خطت في القرن السادس عشر.

واستعصى على الباحثين أيضا اكتشاف المغزى الحقيقي الذي نسخ من أجله الكتاب ولم ينجحوا إلى الآن في وضع تفسير علمي للأشكال المرسومة التي يحويها بين طياته كرسم لامرأة عارية وبعض الأشكال والدوائر الغريبة.

ويحمل نص المخطوطة المرسوم باليد بين طياته أسراره الدفينة ويرجح الكثيرون انه مكتوب برموز سريه أو بلغة اندثرت لا يستطيع إنسان اليوم قراءتها.

◘ ◘ ◘






عثرت بعثة سورية برئاسة خالد الأسعد وبولندية برئاسة ميشيل كايليكوفسكي على كتلة من القطع الفضية قدرت بأكثر من ٦٠٠ قطعة في الحي الشمالي لمدينة تدمر الأثرية عروس الصحراء السورية.

وقال خالد الأسد أن البعثة المشتركة السورية البولندية عثرت على كيس من القماش التالف وبداخله كتلة من الدراهم الفضية قدرت بأكثر من ٦٠٠ قطعة، تعود إلى الفترة الساسانية التي تسمى بالكسراوية نسبة إلى كسرى ملك فارس.

وأضاف أنه تم تفكيك ٣٥٠ قطعة حتى الآن في المعمل الفني في دمشق وبقيت كتلة تقدر بحوالي ٢٥٠ قطعة تعالج حالياً.

وقال الأسعد أنه يوجد على وجه القطع الفضية صورة نصفية لملك فارس وعلى الوجه الثاني موقد نار وحارسان وكتابة باللغة البهلوية تذكر اسم الملك خسرو الأول، وخسرو الثاني، وهرمز الرابع وكلها من القرن السادس والسابع الميلاديين. وأكد الأسعد أن الدراسة الأولية لهذه القطع تدل على أنها سكت في بلاد فارس قبل انتشار الإسلام في الفترة التي استولى فيها الفرس على سورية سنة ٦١٢م.

وبقيت هذه الدراهم تستخدم في العهد الراشدي والأموي حتى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان حيث قام بإزالة صورة الملك الفارسي ووضع صورته محلها.

لوح سليمان المزيف

ربى قاسمو*

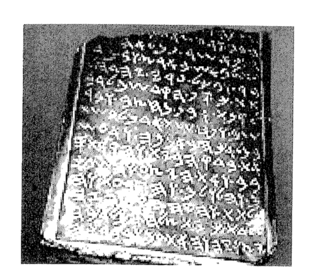
المادة العلمية لهذا المقال مأخوذة عن برنامج وثائقي عُرِضَ في التلفزيون البريطاني مؤخرًا، يمكن الاطلاع عليه في:
http://www.bbc.co.uk/sn/tvradio/programmes/horizon/solomon_prog_summary.shtml
http://www.bbc.co.uk/sn/tvradio/programmes/horizon/solomon_trans.shtml

في عام ٢٠٠١، اجتمع عددٌ من أبرز علماء الآثار الإسرائيليين بناء على طلب من شخص مجهول ليعرض عليهم قطعة أثرية مهمة على حد قوله. واتضح أن هذه القطعة عبارة عن لوح حجري منقوش يقدر تاريخه بحوالي ٣٠٠٠ عام، حيث يصف النص المنقوش أعمالا إصلاحية جرت في معبد الملك سليمان، مما يجعل هذا اللوح الدليل الأثرى الأول الذي يتم اكتشافه عن هذا البناء الأسطوري.

لقد أثار وجود هذا اللوح حماس الآثاريين الإسرائيليين واعتقدوا انهم قد وجدوا أخيرا الدليل الأكيد لما جاء في كتابهم المقدس. لكن ذلك كان مجرد البداية لأحداث غريبة وحقائق مفاجئة.

اختبارات أولية تؤكد أصالة اللوح:

قام العلماء الآثاريون بأخذ اللوح الحجري إلى دائرة التوثيق الأثري في إسرائيل لإخضاعه إلى سلسلة من الاختبارات تضمنت: المجهر الماسح للإلكترونات - فحص الطبقة المعتقة (Patina) - التأريخ بواسطة الكربون المشع. وجاءت نتائج هذه الاختبارات لتؤكد أصالة اللوح وتقدر تاريخه بـ ٢٣٠٠ عام على أقل تقدير، كما أظهرت وجود ذرات صغيرة جدا من الذهب في الطبقة الخارجية من الحجر تبعث على استنتاج أن "هذا اللوح قد نجا من الحريق الذي هدم معبد الملك سليمان - وفقاً لنصوص العهد القديم - عندما هاجم البابليون مدينة أورشليم في عام ٥٨٦ قبل الميلاد".



* مهندسة معمارية، دبلوم في تاريخ العمارة..

وبناءً على هذه النتائج، تم الإعلان رسميا عن وجود اللوح الحجري في الشهر الأول من عام ٢٠٠٣.

بداية الشك:

بعد هذا الإعلان، قام صاحب اللوح بعرضه للبيع على متحف إسرائيل الذي يضم العديد من أعظم الكنوز الأثرية الإسرائيلية، وقيل أن المبلغ الذي تم طرحه للتفاوض كان حوالي ١٠ ملايين دولار أمريكي.

عند هذه المرحلة من المفاوضات أعلن المتحف الإسرائيلي رغبته في معرفة تاريخ اللوح الحجري - أين ومتى تم اكتشافه؟ كيف وصل إلى مالكه الحالي؟ - وإثر ذلك اختفى صاحب اللوح مع كنزه تاركاً السلطات الآثارية الإسرائيلية في شكوك وحيرة دفعتها إلى تعيين عدد من المحققين للبحث في حقيقة ما حدث.

بعد تسعة اشهر من التحريات المتواصلة قاد البحث إلى جامع آثار إسرائيلي معروف يدعى أوديد غولان (Oded Golan)، وثارت الشكوك حول هذا الشخص، خاصةً أنه قد أعلن فيما سبق امتلاكه لقطعة أثرية فريدة أخرى هي تابوت جيمس(The James Ossuary) "الذي اعتُبِرَ الدليل المادي الأول على وجود السيد المسيح". ولدى قيام السلطات باقتحام شقة غولان عثرت على كل من القطعتين بالإضافة إلى العديد من القطع الأثرية الأخرى.

بناءً على هذه الشكوك، قامت السلطات بتشكيل لجنة من خبراء اللغات القديمة والعلماء والجيولوجيين لفحص هاتين القطعتين وتأكيد أصالتهما من عدمها بشكل جازم ونهائي.

نتائج الفحص اللغوي:

تشير الكتابة الموجودة على اللوح الحجري إلى أعمال إصلاحية قام بها الملك يوشيا في معبد الملك سليمان. وقد ورد ذكر هذه الأعمال في الكتاب المقدس، حيث يبدأ "الملوك ٢ - الفصل ١٢" بوصف عملية جمع الأموال التي قام بها الملك من اجل إصلاح المعبد.

ولدى الدراسة الدقيقة للكتابة المنقوشة اكتشف الخبراء وجود ثغرة كبيرة رغم تماسك النص وبلاغته، وتتلخص هذه الثغرة في عبارة (Bedek a baied) الواردة فيه، التي تبدو خارجة عن السياق التاريخي المفترض للّوح. حيث كانت هذه العبارة تشير في زمن معبد سليمان إلى معنى الإتلاف أو الأذى (damage) بينما تشير في العبرية الحديثة إلى معنى الإصلاح (repair). لكن هذه الحقيقة لم تكن كافية للجزم بزيف اللوح، وذلك بسبب ندرة النصوص المكتشفة والعائدة إلى عهد الملك سليمان مما يجعل من العسير الجزم بهذا المعنى أو ذاك، وباعتبار أن كلاً من القراءتين لها قيمة احتمالية فقط.

الفحص التاريخي الجيولوجي:

عندما لم يستطع علماء اللغة التوصل إلى إجابات مؤكدة، تم الاتفاق على أن

الفحص الدقيق للطبقة المعتقة (Patina) هو الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله التأكد من أصالة اللوح الحجري.

في البداية تم البحث عن أصل الحجر بحد ذاته، فتبين أنه عبارة عن حجر بناء مأخوذ من قلعة صليبية مجاورة. كما ساعدت مجموعة من الاختبارات الدقيقة على معرفة كيفية تصنيع الطبقة المعتقة المزيفة والمواد التي استخدمت فيها، مما أكد وجود خبراء في مجالات متعددة وراء هذا التزوير.

وما لبث الدكتور يوفال غورين (Yuval Goren) - عالم جيوأثري ورئيس المعهد الأثري في جامعة تل أبيب - أن توصل إلى نتائج بدَت مفاجئة ومغايرة للنتائج الأولية التي أُعلِنَت سابقًا:

- الطبقة المعتقة الموجودة على الوجه الخلفي للوح أصلية، ولكنها لا تتألف من كربونات الكالسيوم كما هو متوقع في حجر موجود في منطقة القدس بل تتألف من السيليكا التي يستحيل تشكلها في هذه المنطقة.
- الطبقة المعتقة الموجودة على الوجه الأمامي للوح مزيفة وتمت إضافتها بشكل يدوي، كما أنها تحتوي على مستحاثات بحرية يستحيل وجودها في طبقة تشكلت على اليابسة كما هو مفترض.
- لدى الفحص الدقيق لأحرف النص المنقوش تبين أنها محفورة منذ وقت قريب باستعمال أزاميل و مثاقب ذات مقاسات متنوعة.

وعندما تأكد الدكتور غورين من زيف اللوح الحجري قام بفحص تابوت جيمس، واكتشف زيفه أيضا.

وهكذا ثبت أن فريقًا من المزوّرين تمكّن من خداع عددٍ من أبرز العلماء الإسرائيليين!

الشكوك حول قطع أثرية مزيفة أخرى:

بعد الكشف عن زيف كل من اللوح والتابوت، ألقي القبض على غولان في صيف عام ٢٠٠٣، وعند قيام الشرطة بتفتيش شقته تم الكشف عن مشغل متكامل لتزوير القطع الأثرية يحوي مواد وآلات متعددة بالإضافة إلى قطع أثرية مزيفة غير مكتملة، مما يدل على وجود عمليات تزييف ذات مدى أوسع مما كان متوقعا. وقد أكدت التحقيقات اللاحقة هذا الافتراض، حيث أظهرت وجود عدد كبير من جامعي الآثار حول العالم قاموا بدفع مئات الآلاف من الدولارات لقاء قطع وتحف أثرية عن طريق غولان وشركائه، وعند فحص العشرات من هذه القطع من قبل الدكتور غورين ثبت أنها مزيفة.

تعتقد الشرطة الآن أن البعض من هذه القطع الأثرية المزيفة قد وجد طريقه إلى المتاحف الرئيسية في العالم. وقد دعت هذه الحقائق بعض علماء الآثار إلى القول بأن جميع القطع الأثرية التي ظهرت في إسرائيل خلال السنوات العشرين الماضية دون أن تملك دليلا واضحا ومثبتا على أصالتها يجب أن تعتبر مزيفة.

إن الـرابط بـين تلـك القطـع هـو أنهـا تواصـل مـسيرة طويلـة بـدأها الآثـاريون الذين نقبوا خلال القرنين الثامن والتاسـع عـشر في منطقتنـا بحثـاً عـن دليـل مـادي يؤكـد مـا ورد في العهـد القـديم (The Bible) فكتبـوا وكتبنـا مـن بعـدهم تاريخاً متناقضاً للمنطقة ما زلنا ضائعين في تفسيره.

وهـذه القطـع الـتي لا يعلـم أحـد عددها ومدى انتشارها، تلعب على نفس الوتر، البحث عن دليل مـادي يؤكـد حقـا مـا زالـوا هـم -في قـرارة أنفسهم- يشكون فيه. يقول الملخص الذي نشرته هيئة الـ (B.B.C) أنـه "بالنـسبة لأولئـك الـذين مـازالوا يبحثـون عـن معبـد سـليمان فـان هـدفهم الآن أصـبح بعيـدا أكثـر مـن أي وقت مضى"، أما نحن فنقول: وماذا عن حقوقنا التي أهدرت من أجل أوهـام تبـدأ اليوم بالتداعي؟■

إضافة قبل الطبع

حلقة ثالثة من مسلسل التزوير
القطعة الأثرية الوحيدة من "هيكل سليمان" مزوّرة

أعلنت "إسـرائيل" أن الرمانـة العاجيـة -وهـي القطعـة الأثريـة الوحيـدة الـتي بحوزتهـا مـن هيكـل سليمان المزعوم- مزورة.

وذكـر بيـان لمتحـف "إسـرائيل" أن التحاليـل المختبريـة والأبحـاث الميدانيـة أكـدت أن الرمانـة العاجية التي لا يتجاوز حجمها إصبع الإبهام تعود إلى العصر البرونزي، مـا يعني أنها أقدم كثيرا من تاريخ بناء ما تزعم "إسرائيل" أنه أول معبد يهودي.

وأوضـح البيـان الـذي صـدر بعـد اسـتلام المتحـف تقريـرا مـن لجنـة فاحصين متخصـصين، أن النقوش باللغة العبرية القديمة أضيفت في وقت لاحق على الرمانة. وتقـول النقـوش "هـذه الرمانـة ملـك لمعبد الرب (يهوه)، الذي يقدسه جميع الرهبان".

ويعتقد الباحثون أن الرمانة العاجية التي يوجد ثقب في أسفلها كانت توضع في أعلى صولجان استخدمه رهبـان المعبـد الـذي تـزعم "إسـرائيل" أنه بـني في القرن السادس قبل الميلاد، ثم قـام ملـك اليهود هـيرودوس بتوسيعه قبـل تـدميره سنة ٧٠ ميلاديـة. ويـدعي الإسـرائيليون أن قبـة الـصخرة التابعـة لمنطقة المسجد الأقصى تقع بالقرب من الهيكل المزعوم.

ثالث فضيحة:

وحصل المتحف الإسرائيلي على الرمانة في ثمانينيات القرن الماضي مـن أحد هـواة جمـع القطـع الأثرية غير المشهورين، ودفع لشرائها ٥٥٠ ألف دولار في ذلك الحين. وقد أودع المبلغ آنذاك في حساب سري بأحد البنوك السويسرية.

وتعتبر فضيحة نقوش الرمانة المزورة ثالث قـضية تزويـر كـبرى تكـشف عنهـا تـل أبيـب. فقـد اكتشفت دائرة الآثار الإسرائيلية العام الماضي أن النقوش التي قيل إنها توجيهات بإعادة بنـاء الهيكـل، على ما يـزعم أنـه "تـابوت جيمس أخو السيد المسيح" عليه السلام وعلى لـوح حجـري بحجـم الحـذاء، كانت مزورة أيضا.

وكانـت تلـك الفـضيحة أكـبر انتكاسـة مُـني بهـا الآثـاريون الإسـرائيليون. وقالـت وزارة العـدل الإسرائيلية الخميس الماضي إنها ستقاضي مالك التابوت واللوح الحجري وهو جامع التحف الإسرائيلي عوديد غولان بتهمة التزوير الأسبوع المقبل.

وقد نفى غولان تلك التهم، قائلا إن "خبراء الآثار العالميين أكدوا لـه أن النقوش على التـابوت واللوح الحجري اللذين بحوزتي منذ ٢٥ عاما أصلية.

وأظهـر برنـامج وثـائقي عرضـه التلفزيـون الإسـرائيلي مطلـع ٢٠٠٥، غـولان علـى أنـه نـصاب صـنع ملايينه بواسطة بيع التحف المزورة إلى الزبائن السذج حول العالم.■

المسرح في شعر "عمر أبو ريشة"

فايز الداية*

شارك الدكتور فايز الداية في ندوة (عمر أبو ريشة) التي أقيمت بحلب من ١٢-١٥ من شهر تموز ٢٠٠٤ ببحث تناول التجليات الدرامية في ديوان أبي ريشة وعلاقتها بالدوائر الدلالية فتكشفت الطاقات التعبيرية للمادة اللغوية في التجارب الشعورية والمواقف التي كانت للشاعر.

وقد آثرنا أن نقتطف جوانب من البحث المطول الذي ستنشره وزارة الثقافة مع أعمال الندوة.

إنّ التأويل الدرامي للدوائر الدلالية ومفاتيحها في شعر "عمر أبو ريشة" يتأكّد لنا - إضافة إلى المرتكز الأساسي في المادة اللغوية النصّية ومفاتيحها الدلالية- من خلال حركتين: الأولى خارجية تتقصّى ثقافة عمر المسرحية النظرية والعمليّة وإنتاجه الشعري الدرامي الذي كان يجاور قصائده الغنائية، ومرجعيتنا هنا سيرته وأخباره في دراسات المسرح وما نشره من أعمال دراميّة كاملة أو أجزاء لأعمال لم تكتمل. والحركة الأخرى هي نظرة تحليلية لبنية قصائده الغنائية التي داخلتها المفاتيح الدرامية في عدد من زوايا تجارب عمر الشعريّة.

كانت مفاتيح العنفوان والصراع في قصائد الشاعر الأولى تنبئ بحالة شعريّة دراميـة، فقد امتزج الإنسان والكلمة باندفاع عاصف لشعب يتمسك بحريته ويدافع عن شخصيته الحضارية في مواجهة الغرب الاستعماري الذي نكث بعهوده للعرب، وائتمرت انكلترا وفرنسا في معاهدة سايكس-بيكو، وانقلبت أفراح الشام بالدولة العربية في دمشق بعد العهد العثماني في ضربة تراجيدية عندما تقدّمت قوات "غورو" الفرنسي من بيروت إلى دمشق ١٩٢٠، وكانت إنكلترا تحكم قبضتها على العراق وفلسطين وتعدّ العدّة للوعد الغادر وعد بلفور لإنشاء كيان صهيوني، وهنا لم يكن أبو ريشة يفرّق بين

---

* رئيس قسم اللغة العربية بجامعة حلب سابقاً.

خطواته في شوارع حلب ودمشق وبيروت وبيوتها سعياً مع الوطنيين المتطلعين إلى الاستقلال وتلك الكلمات التي تمور في أعماقه وقد أرادها بعضاً من الفعل يمشي مع الأهل حيناً ويتقدمهم حيناً آخر، ولعل هذه الروح هي التي جعلت الشاعر ينغمس في دائرة العمل المسرحي"[1].

عرفت مدينة حلب عروض المسرح أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لأنها اتصلت بالثقافة الأجنبية منذ زمن بعيد، فقد أقام فيها مجموعة من القناصل الأوربيين الذين رعوا المصالح الاقتصادية - التجارية لبلادهم في هذه العاصمة الهامّة على طريق الحرير إذ تأتي القوافل من الصين والهند وبلاد الشرق عبر بادية الشام - تدمر وتنطلق من حلب إلى أنطاكية، ودمشق ثم بيروت حتى تبلغ أرجاء أوربة، وقد مهّد هذا الجو الثقافي لطليعة من المثقفين ليتخذوا هذا الفن أداة للنضال الطويل ضدّ المستعمر الذي كان يطارد هؤلاء بعد أن تكشف المسرحيات تطلعاتهم، وقد أنشئت بين ١٩٢٨ و١٩٤٦ ثماني عشرة فرقة مسرحية بحلب لم تعمّر طويلاً ولكنها عبّرت عن إصرار وجذوة لا تنطفئ[2]، وقد اشترك عمر أبوريشة في تأسيس "فرقة التمثيل الوطنية" سنة ١٩٢٥، وقد ضمّت إدارتها "مصطفى برمدا ورشدي الكيخيا وبشير عبّاسي وأحمد وفائي وفؤاد حسّون وعمر أبو ريشة وشرف الدين الفاروقي"[3] وكان من أعمالها مسرحية "ذي قار" الشعرية لأبي ريشة، وهكذا يتضح التوجّه المسرحي بالكلمة والعمل في مؤسسة تحولها إلى نبض حيّ بجسدها كائناً يتحرك بين الجموع، وقد عرضت هذه المسرحية سنة ١٩٢٩، على مسرح المدرسة الشرقية بحلب، وفي سنة ١٩٣٣ على مسرح اللونابارك[4]، وكذلك انتقلت إلى مسرح بمدينة حمص سنة ١٩٣٣، وقد شهد العرض الأديب والشاعر أحمد الجندي ورواه في كتابه "شعراء سورية" وذكر أن الشاعر كان مصاحباً آنذاك للفرقة[5].

وعندما نعرف أن الشاعر أمضى عدة سنوات وهو يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت "١٩٢٤-١٩٢٩" يتبين لنا مؤثر يشدّ إلى عالم المسرح ويغني تطلّع أبي ريشة إلى أداة تؤازر الكلمة الشعرية[6]، ولكن المدهش هو التوازن في الرؤية الثقافية والفنية لديه، فقد كان متابعاً لإنتاج جديد للشاعر أحمد شوقي هو مسرحياته الشعرية التي تدفقت في السنوات الأخيرة من حياته ١٩٢٧-١٩٣٢، وكان أبو ريشة معجباً بشعر شوقي ومسرحه الذي عبّر معظمه عن تنبّه إلى روح الأمّة في لحظات ومواقف تاريخية حاسمة "علي بك الكبير /قمبيز/مصرع كليوبترا/ عنترة" وهذا ما انطبع في أوّل مسرحية قدّمها أبو ريشة: "ذي قار" التي أعادت إلى النفوس الإيمان بقدرة على التصدّي للعدوان الخارجي بالعزيمة والوحدة التي تستنهض الطاقة الكامنة في الأمّة العربيّة، وحرص الشاعر الشاب على ذكر إنجاز أمير الشعراء في القصيدة التي رثاه فيها بعد سنة من رحيله "١٩٣٣"

وتتردد أسماء مسرحيات "كليوبترا ومجنون ليلى..." :

عبقريّ مضى ليوم حسابه
وثناء الأجيال ملء كتابه
طاف في هيكل الحقيقة وانسلّ
يناجي الجمال في محرابه
... ربّ ميت بَعَثْتُه بعدما جرّ
عليه الزمان ذيل زوالِ
ذاك أنطونيو وذي كليوبترا
رجعا للصفا وطيب الوصالِ
هتّفا بالهوى وحلو أمانيه
وناما عن حادثات الليالي
وأقاما عرش القلوب على الصخر
وعرش الدولات فوق الرمالِ(٧)

ربطت صداقة عميقة بين الشاعر والموسيقار كميل شمبير "١٨٩٢-١٩٣٤"، الذي نشأ بحلب ودرس في إيطاليا وعاد إلى الشام ومصر ليطوّر المسرح الغنائيِ أو ما أطلق عليه "الأوبريت" فلحّن عدداً من المسرحيات وعمل مع فرقة نجيب الريحاني وفرقة أمين عطا الله بالقاهرة، ومن أعماله "توسكا- الغريب البائس- حلب على المسرح - شهر العسل - ساعة الخطر..." وكان موته في أوج طاقاته فاجعة، فرثاه عمر أبو ريشة بقصيدة مطوّلة اختارلها قالب الموشح، وحفلت بصور من أجواء الموسيقا(٨) وما لبث أن كتب أوبريت "عذاب(٩)" ١٩٣٥، وعرض فيه لمأساة فنان تشكيلي تتحطم حياته، وتبدو الصلة بين الشاعر وهذا الموسيقي الناشط في لون مسرحي هو الأقرب إلى الشعر "الأوبريت" من عوامل تكون الثقافة الدرامية، ولعلّ مشاريع تلحين شعر أبي ريشة المسرحي شغلت حوارات الصديقين، وغير بعيد عنهما ما سلف من تجارب أبي خليل القباني بدمشق والقاهرة، ونلحظ أن اهتمام شاعرنا بدور المسرح في الحياة الثقافية والسياسية حمله على مصاحبة الفرقة التي عرضت "رايات ذي قار"، والسفر إلى المدن الأخرى بعد أن مثّلت بحلب، مما يعني أن مشروع المسرح قائم في رؤية للعمل الوطني لديه.

إن اجتماع العوامل السالفة من معرفة واحتكاك بالثقافة الأجنبية واطلاع على المسرحية الشعرية لدى شوقي، ومعايشة فنان من أهل المسرح والموسيقا وإسهام في الحركة الفنية المسرحية بحلب واتصال بالناشطين في المدن الأخرى، إنّ هذا كلّه يترك انطباعاً لدى الباحث أو المتابع بأنّ ثمة نصوصاً يطلقها هذا الشاعر.

إننا نجد عمر أبا ريشة ينشر أعمالاً درامية بين ١٩٢٩و ١٩٣٦، ثم يسكت ويرسل إعلاناً أو وعداً بمسرحيتين في سنة ١٩٧١، أي بعد ما يقارب خمسة وثلاثين عاماً، وهذا يطرح تساؤلاً وفي الوقت نفسه يشكل علامة دالّة، أمّا التساؤل فهو: لمَ سكت أبو ريشة رغم استعداده وبشائر الدراما تبدّت لديه؟ وأمّا الإضاءة في الدلالة فهي أنه لم ينسَ الدراما وإنما بقيت في طيّات ذاته المبدعة في حالة كمون، وننتظر أن تقدّم أسرة الشاعر أوراقه إلى الباحثين لينفضوا غباراً يخفي نتاجاً للمسرح

الشعري، وإذا استعرضنا مابين أيدينا من أخبار ومواد درامية فنراها متسلسلة على النحو التالي:

١- مسرحية "ذي قار" طبعت سنة ١٩٢٩[١٠].

٢- مسرحية "محكمة الشعراء" نُشر منها الفصلان الثالث والرابع في مجلة "الحديث" الحلبية سنة ١٩٣٤، وأعلن الشاعر أنها ستكون في ستة فصول[١١].

٣- أوبريت "عذاب" بتاريخ ١٩٣٥، ونشر في الديوان المطبوع سنة ١٩٧١.

٤- مسرحية "الطوفان" نشرها في ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩٣٦[١٢].

٥- وَعْدٌ ذُكِر في آخر الديوان المطبوع ١٩٧١، بأن ثمة عملين مسرحيين شعريين هما: "تاج محل" و"سمير أميس" التي كان نشر الفصل الأول منها في مجلة الحديث، وتحدّث عنها سامي الكيالي في كتابه "الشعر المعاصر في سورية"، وروى عن عمر أنه أنفق خمس عشرة سنة في تأليفها وتمّت له في "١٤٠٠" بيت[١٣].

٦- ومن الأعمال التي وعد عمر بنشرها عبر الصحافة الأدبية: مسرحية "علي" ومسرحية "الحسين بن علي": مجلة الأديب البيروتية ٢/ - ١٩٤٨[١٤].

لقد انصرف أبو ريشة إلى الشعر الغنائي يلهب المحافل بقصائده ويطبعه في مجموعات حيناً بعد حين، ونرجّح أنه مال إلى هذه الأداة بسبب القلق والاضطراب اللذين سادا في البلاد إبّان الانتداب الفرنسي مما جعل المسرح يغيب نشاطاً متصلاً ومستقراً في مواسم وفرق تتداول نتاج الكتاب والشعراء في سورية، وعندما نؤرّخ النهضة المسرحية المبرمجة إنما نعيدها إلى سنة ١٩٥٩، مع فرقة المسرح القومي التي بدأت بدمشق[١٥]، ولعلّنا نجد العذر لشاعرنا فهو لم يقصد في يوم إلى أن يكتب الشعر أو المسرح للأوراق أو لرفوف المكتبات، لقد كان تصوّره يرسم توتّراً بين الكلمات وما يصطخب في الدروب والوجوه الساعية إلى الحرية والهامات تبسم لها شمس نهار جديد، وبافتقاد الحركة المسرحية أبعد أبو ريشة من حساباته الآنية النصّ الشعري الدرامي، وظلت القصيدة قادرة على الحضور معه تكفيها روحه الوثّابة وأنفاسه ترسل النداء وأسطر تلوذ به فيضمها بين جوانحه على الرغم من كل أصفاد الرقابة، وحتى السجن الذي عرف ظلامه أمداً[١٦].

من التجلّيات الدراميّة في شعر "عمر أبو ريشة"

لعلّ في مقارنة التجارب الشعرية ما يوضح تقابل البنية الدرامية ومفاتيحها الدالة بين المواقف الوطنية النضالية ومواقف حميمة بين رجل وامرأة في حكاية حب، أي أن تحليل القصائد المتنوعة حقولها يبيّن ذلك الوعي الدرامي الكامن في الذات المبدعة:

١- تبدأ قصيدة "عروس المجد ١٩٤٧" بحديث عن نهاية صراع مع المستعمر في سورية تكلل بالنصر وتكشّف أبياتها المواجهة وأطرافها وأدواتها والقيم التي دفعت الظامئين إلى نور يطهّر الأرض والينابيع، فيتألّق المجد والحرية والحقّ:

يا عروس المجد تيهي واسحبي
في مغانينا ذيول الشهب
لن تري حفنة رملٍ فوقها
لم تعطّر بدما حرٍّ أبيْ
درج البغي عليها حقبة
وهوى دون بلوغ الأرب
وارتمى كبر الليالي دونها
ليّن الناب كليل المخلب
لا يموت الحقّ مهما لطمت
عارضيه قبضة المغتصب (١٧)

ويعيد الشاعر ذكرى صراع لم يكتب فيه النجاح - ظاهراً - لأصحاب الأرض والحق، ولكننا بشيء من التأمّل نكتشف أن تلك المعركة كانت النواة التي أزهرت يقيناً وغَلَبة. لقد تمّت تضحية في "ميسلون" حيث لا توازن بين يوسف العظمة والمتطوعين دفاعاً عن دمشق وذلك الجيش الجرار المعتدي، فظلت دماء الشهادة تشتعل وتضيء دروب الكفاح، وجاءت عبارات الشاعر لتربط حلقات التاريخ بين الماضي والراهن المحتفل بالجلاء، وكذلك أرادت أن تضع التجربة أمام مستجدات في رحلة أمّة تحاصرها المخاطر في "القدس"(١٨):

نحن من ضعف بنينا قوّةً
لم تلن للمارج الملتهب
كم لنا من ميسلون نفضت
عن جناحيها غبار التعب
كم نبت أسيافنا في ملعب
وكبت أفراسنا في ملعب
شرف الوثبة أن ترضى العلا
غلب الواثب أم لم يغلب

ألحّ أبو ريشة على قيمة جوهرية في روح الإنسان وهي إيمانه بحقّه وإرادته التي لاتمحوها حالة عارضة - في رحلة الزمان - لتعثّرٍ أمام الطغيان والقوّة الباطشة، وتظلّ المحاولات وإن أخفقتْ وقود الأيّام التي ستشهد تطور الصراع وانتصار الشعوب.

❖ جمعت قصيدة "نسر ١٩٣٨" التعبير الرمزي والواقعي، فقد روت أبياتها العشرون حكاية النسر الهرم وانتفاض الكبرياء، ثم نجد البيت الحادي والعشرين يميط اللثام، فيتطابق وجه الشاعر وهذا النسر في خاتمة القصيدة(١٩):

أيها النسر هل أعود كما عدْ تَ
أم السفح قد أمات شعوري

كان صراع النسر مع ضعفه ومع الزمن الذي أخنى عليه فجعله ينحطّ من قمته إلى السفح حيث بغاث الطير يزاحمه ولا يعرف له قدراً وهيبة، لقد تعاظمت الخسارة لأنها نفذت إلى النفس، فآثر النسر الدفاع عن قيمه، فانطلق إلى فضائه يجاور القمم والنجوم بعيداً عن

الهوان والصّغار، وكان الثمن غالياً عندما بذل روحه كي تحتفظ لحظاته الأخيرة بأنفاس المجد:

جلجلت منه زعقة نشّت الآفا

قُ حرّى من وهجها المستطيرِ

وهوى جثّة على الذروة الشمّا

ءِ في حضن وكره المهجورِ

هكذا يرى أبو ريشة أن العلاقة بالآخرين وبمسار العمل وتقاطع ذلك مع التصورات والمبادئ التي تبني منظومة الفكر والسلوك إنما تتطلب في منعطفات هامة تفاجئه صراعاً لايفلح إلا بعد أن يتغلب هذا الإنسان على ذاته عندما يتخذ قراره مهما تبلغ قسوته وحدّته، فالمواجهة الأولى هي مع النفس والضعف والتنازلات.

٢- نقترب من حالة عرف فيها الشاعر توتراً حاداً ولحظات حاسمة في صلة مخاتلة مع المرأة التي أحبّ وتركته محاصراً بضباب إلى أن أدمته أشواك الخديعة والغدر، وعندما نقرأ النصّ نجد أنفسنا أمام ثلاثة نصوص من حيث الدلالة ورسم أبعاد الموقف الدرامي ونبدأ بالنصّ الأول[٢٠]، وهو عنوان القصيدة "عاصفة" ويحمل دلالة رمزية تنتقل من الطبيعة تشهد الدمار بحرب الرياح التي تجتاح الأمكنة ومن فيها وتتحول الدلالة إلى محيط تصطدم النفوس وتصفّى حسابات عمر فتنقلب الانفعالات وتختلف أثوابها من وَلَه ووجد إلى انتقام شرس، وإذا نظرنا في النص الثاني وهو مقدمة نثرية وضعها الشاعر مفتتح القصيدة فنقرأ قوله "زارها ليقتلها" وندرك أنه هو صاحب العاصفة يتجه بها إلى دارٍ من كانت حلماً يتألق، وغدت جحيماً لا يطفئه إلاّ عاصفات الرياح، ويبدو اللقاء بعضاً من مراحل الصراع، فقد سبقت هي وخلّفت في روحه ندوباً وجاء للرد والثأر، وأما النص الثالث فهو أبيات القصيدة ذاتها "عاصفة ١٩٣٧" وأوّل ما نلحظه هو الخطاب الذي يتوجّه به إليها فالمواجهة الآن قائمة وكأنما اكتفى أبو ريشة بالنصّين الأول والثاني لندرك الحالة، ثم أخذ في أداء المشهد الدرامي ونحن نتابع من خارجه، فالخطاب لا يوجّه إلينا بأيٍّ من أساليب الإنشاء، ولا تقدّم الحادثة عن طريق الرواية.

تطول الجولة بين الطرفين فهي تسعى بمكرها إلى استمالته والضرب على أوتار الحبّ الذي تعرف تمكّنه من قلبه، إلا أن هذا المحب تتّابع آلامه وجراحه في ذكريات مرّة، ويخيل إلينا أنه سيسلك ما كان لديك الجن مع ورد جاريته إذ اكتشف - أو هكذا دخل في وهمه - خيانتها، خاصة وأنه مهّد في النصّ الثاني "زارها ليقتلها" ولكن انتصاره في هذا الصراع جاء مفاجئاً وعلى نحو مدهش، لقد تركها تعيش دنياها ومحا ذلك الحب الذي لاتستحقه، وبذا يظهر تغلبه على ضعفه تجاهها استعلاء على قيود ملكته بها وكان يتجرّع غصص عذاب، وهنا حقّق القتل من غير دماء تسفك.

ولعل من اللمحات الشعرية الباهرة في هذه القصيدة لحظة الكشف والتماع رؤية الحقيقة في العيون تتلاقى، ويتم التحوّل من سحر يأسر القلب إلى أسرار ساحرة أتقنت الخديعة: [٢١]

ما على محجريك؟ أيُّ خيالٍ
أتلقّاه مالئاً محجريّا؟!
فيه منّي ظلّ الهيولى.. وفيه
من ضلالي ما كان عنّي خفيّا!

٣- للمرأة نصيب وافر في أعمال عمر أبي ريشة ونقف عند نصين يكوّنان في الحقيقة نصاً واحداً رغم الفارق الزمني بينهما والبالغ عشرين عاماً، وقد أطلَق في النص الأول الخطاب على لسان المرأة "كانت١٩٤١" [٢٢]، وفي النص الآخر جاء الخطاب بلسان الشاعر "المرأة ١٩٦١"[٢٣].

هل تستطيع المرأة أن تهزم الزمن وتبعد خطوطه عن محيّاها وهامتها وبريق يشع من مقلتيها؟ لقد كان الصراع بين هذين الطرفين ولا يزال شغلاً شاغلاً لهؤلاء اللواتي عرفتهن أضواء المدن وقصورها، ومن تجوّلن في أطراف الريف وبيوته، وقد اختارت المرأة الجميلة في قصيدة "كانت" الموقع والإطار ليظلّ جمالها ساطعاً. إنها القمة الشاهقة التي كانت الأعلى في الطبيعة ومنحت التفوّق والغلبة على الزمن؟!

إنها تركت الناس ومعهم صورة شبابها ورواء صباها، ولم تدع الأيّام تعبث بها فتمحو ذلك الخيال، فاختفاؤها في البيت البعيد كان الانتصار، وأما القلة التي تعود إليها فيمثلها المحبون الذين لم ينسوا أو لا يمكن أن ينسوا بهاءها، فالوجهان يوحّدهما حبٌّ يرسم بخفقات القلب الملامح ويستقبل النظرة والأنفاس.

أما قصيدة "المرأة"، فقد صاغها أبو ريشة بنيةً رمزية تحدّثت عن جوهرة يحلم بها من على الأرض، وعندما يبلغ الشاعر الشعاب المقفرة والقمم حيث ملاعب النسور والضواري، لا يرى إلا بلورة عادية، ولكنه يسهم في تحدّي الزمن إذ يؤكد لكلٍّ من انتظر الخبر اليقين أنها جوهرة !!

وقد يكون من الطريف في هذا العرض أن نروي واقعة حقيقية تؤكد عمق نظرة الشاعر وإحساسه بعالم المرأة، فقد آثرت واحدة من جميلات السينما العالمية "مارلين ديتريش، ت. ١٩٩٢" أن تعتزل الناس، ولم يكد يراها إلا القلائل، ولم يصل إليها أهل الإعلام سنوات طويلة، وذلك كما صرّحت لتبقى صورتها الباهرة في النفوس والذاكرة، وفي وثائق العصر الحديث: المجلة والصحيفة والتلفزة...!

الهوامش:

١- ينظر في ترجمة عمر أبي ريشة وإسهاماته في الحركة الوطنية كتاب: الشعراء الأعلام في سورية، للدكتور سامي الدهان، دار الأنوار، بيروت، ١٩٦٨، ط ٢ ص ٣٠٥-٣٦١، وكتاب شعراء سورية لأحمد الجندي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٥ ص ١١٠-١٢٧، والعدد الخاص من مجلة الضاد، حلب "عمر أبو ريشة، حياته وشعره" مطلع ١٩٩٢.

٢- فرحان بلبل، المسرح السوري في مئة عام ١٨٤٧-١٩٤٦، ص ٢٨٥، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق ١٩٩٧، وهو ينقل عن بحث لعبد الفتاح قلعجي في مجلة الحياة المسرحية.

٣- عدنان بن ذريل، روّاد المسرح السوري "بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات"، ص ٣٣، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٢

٤- سامي الدهان، الشعراء الأعلام في سورية، ص ٣٠٨، فرحان بلبل، المسرح السوري في مئة عام، ص ٢٩٠

٥- أحمد الجندي، شعراء سورية، ص ١١٢ "وكنّا ذات يوم في حمص، وأظنّ هذا قد كان في صيف ١٩٣٣، وقد أقبل على المدينة نفر من شباب حلب يريدون أن يمثلوا رواية شعرية، وتساءل الأدباء في حمص، وكانت مدينة الأدباء الشباب في ذلك العهد، فعرفوا أن اسم الرواية "رايات ذي قار" وأن اسم الشاعر الجديد "عمر أبو ريشة"... وانتهت الرواية..وراحوا يبحثون عن الشاعر إلى أن عثروا عليه في الزحام، فإذا به شاب بائن الطول أبيض البشرة علّق في أعلى أنفه نظارة ذهبية أنيقة، وقد بدا عليه شحوب ظاهر تدرك منه أنّ صاحب هذه الهيئة رجل فن وشعر".

٦- سامي الدهان، الشعراء الأعلام، ص ٣٠٧-٣٠٨

٧- سامي الدهان، الشعراء الأعلام، وقد أثبت نصّ قصيدة عمر في رثاء شوقي، ص. ص.٣٧١-٣٧٣

٨- عمر أبو ريشة، الديوان ص. ص. ٤٢١-٤٣٣ "مصرع الفنان"، دار العودة، بيروت، ط ٤ ١٩٨، وينظر: صميم الشريف، الموسيقا في سورية أعلام وتاريخ ص ١١٦، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩١، وعدنان بن ذريل، الموسيقا في سورية ص ٢١٣

٩- عمر أبو ريشة، الديوان، دار العودة، ص٥٩٧- ٦٢٥

١٠- عمر أبو ريشة، ذي قار، الناشر محمد صبحي اللبابيدي، صاحب المكتبة الحلبية بحلب، مطبعة المعارف، نجيب كنيدر، حلب د.ت.

وقد ذكر "حمدي كامل" في الملحق الذي علّق فيه على شعر عمر في هذه المطبوعة أن الشاعر أسمعه نصّ المسرحية عندما كانا زميلين في لاجامعة الأمريكية، أي أن تأليفها يسبق ١٩٢٩، وكذلك نستنتج أن طباعتها جاءت بعد سفرعمر إلى انكلترا وزيارته لصديقه حمدي كامل في باريس أي ما بعد ١٩٣٠.

وتعطينا هذه الطبعة فائدة تؤكد النزعة التمثيلية عند عنمر فقد نشر صورته على الصفحة الثالثة وهو يعتمر اللباس العربي الكوفية والعقال رغبة منه في تثبيت ارتباطه بأجواء المسرحية، وهنا نذكر ما أورده سامي الدهان من ذكريات، إذ كان عمر ينظم شعراً على النسق التراثي ويخادع أصحابه الذين يظنون أنه شعر قديم، فههنا نجد روح التقمّص والرغبة في السخرية ومداعبة الأصحاب "سامي الدهان، الشعراء الأعلام، ص ٣١١".

١١- سامي الدهان، الشعراء الأعلام، ص ٣١٠، ٣٣٠.

١٢- سامي الدهان، الشعراء الأعلام، ص ٣٣٥، الديوان الأول "شعر" ص ٧-٤٠.

١٣- سامي الكيالي، الشعر العربي المعاصر في سورية، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ص. ص. ٣٧٢-٣٧٤، ويقول الكيالي إنّ عمر بدأ كتابة سميرأميس سنة ١٩٤٣، وأتمها سنة ١٩٥٨، ونظمها ستّ مرّات، وقد نشر في مجلة الحديث الحلبية فصلها الأوّل سنة ١٩٤٤، في العدد ١٠ العاشر.

ونضيف أن الوعد بنشر "تاج محل" كان سبق ذكره في مجلة "الأديب" البيروتية، ١٩٤٨/٢. بحسب "عمر أبو ريشة، آثار مجهولة"، هاشم عثمان، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٣ ص ١١١.

١٤- هاشم عثمان، آثار مجهولة، ص ١١١.

١٥- عدنان بن ذريل، روّاد المسرح السوري، ص ٢١١.

١٦- عمر أبو ريشة، الديوان "دار العودة" ص ٥١٦، حيث يقدّم لقصيدته "هذه أمتي" بقوله: "ألقيت في حفلة افتتاح دار الكتب في حلب بعد العدوان الفرنسي وخروج الشاعر من السجن". ويؤرخ الأبيات بـ ١٩٤٥، ونقرأ بعضاً منها:

غمزته عرائس العيش إغراءً
فلم تستبح حمى عنفوانه
شاعر لو شكا الحياة لكانت
سروات الملوك من ندمانه
أقسم المجد أن يمرّ على الأرض
ونجوى الإباء خلف لسانه

١٧- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٤٣٧

١٨- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٤٤١

١٩- عمر أبو ريشة، الديوان ص ١٥٨ -١٦٢

٢٠- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٣٤٤

٢١- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٣٥٠

٢٢- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٣٧١

٢٣- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٢٣٧

٢٤- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٥٧٦

٢٥- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٥٩١

٢٦- عمر أبو ريشة، الديوان ص ٥٨٠

تجليات السامي في شعر عمر أبو ريشة

(في الموقف والرؤية)

سعد الدين كليب*

أولى أبو ريشة قيمة السموّ من الاهتمام مالا نجده عند سواه، في الشعر العربي الحديث، بتياراته المختلفة، من كلاسيكية ورومانتيكية ورمزية وواقعية وحداثية عموماً. ولم يظهر الاهتمام أيضاً في جانب دون آخر. بل ظهر في مختلف الجوانب والحقول بشكل دالّ، ولافت للنظر في دلالته وهو ما تمّ الإلماح إليه أو الوقوف عنده، في بعض الدراسات التي تناولت شعر الشاعر[1]. ولكن ليس من منظور علم الجمال، وإن استخدمت بعضاً من مصطلحاته. وإنما من المنظور الوصفي الذي يقرّر وجود الظاهرة، ولا يدخل في تحليل أبعادها الجمالية ومستوياتها الدلالية. وذلك كأن يقول سامي الدهان في أبي ريشة: "وقلبه ما كان ينبض إلا للجمال والجلال: لجمال الطبيعة والمرأة وجلال التاريخ والبطولة، فسال هذا وهذا في شعره أناشيد في رسم الألوان والظلال والأشباح"[2]؛ أو يقول في موضع آخر: "والشاعر في عواطفه يقف من علٍ حيال المرأة كما يقف من الحياة، في كبرياء، وإباء، وشموخ"[3]. ويقول محمد إسماعيل دندي:"لانبالغ إذا قلنا إن شعر أبي ريشة مدرسة في تعليم الكبرياء، وعزّة النفس، وحبّ المجد، وعشق المروءة والمعالي"[4]. بل حتى محمود منقذ الهاشمي الذي تفوح، من دراسته لشعر الشاعر، رائحة الخصومة الشخصية، لا يستطيع أن ينفي مشاعر الكبرياء، عنه، وإن يكن يرى فيها نوعاً من العنجهية[5].

---

* شاعر وناقد، رئيس قسم اللغة العربية في جامعة حلب.

١- نذكر من تلك الدراسات: الشعراء الأعلام في سورية، لمؤلفه سامي الدهان. و"الأدب والقومية في سورية"، لمؤلفه سامي الكيالي. و"عمر أبو ريشة، دراسة في شعره ومسرحياته" لمؤلفه محمد إسماعيل دندي.

٢- الدهان: المرجع السابق. ص: ٣٣٣.

٣- نفسه، ص: ٣٤٢.

٤- دندي: المرجع السابق. ص: ١٥.

٥- الهاشمي، محمود منقذ: الحب في شعر عمر أبي ريشة. مجلة المعرفة، دمشق. عدد: ١٧٧. تشرين الثاني ١٩٧٦.

يتبدى السامي، في التجربة الشعرية عند أبي ريشة، على صعيد الموقف الجمالي والتعبير الفني معاً، بما يحيلان عليه من مستويات متعددة، في الشعور والقيمة والدلالة... الخ. ولعلّه يصحّ التوكيد أن المتعة -أو اللذة- الجمالية التي تقترحها هذه التجربة، أمام المتلقي، هي متعة الزهو أو التعالي الذاتي. ولا علاقة لهذه المتعة بالنرجسية، في المصطلح النفسي. وإنما تعني الإحساس بالتملك العاطفي والمعرفي للموقف، مع إمكان تجاوزه والتغلّب عليه. بحيث تبدو الذات هي الطرف الأقوى في المعادلة. إن متعة الزهو هي نوع من التعزيز الذاتي-لا التعزيز النرجسي- في العلاقة بمختلف المواقف الفردية والاجتماعية. ويصف الشاعر هذه المتعة بقوله:

زهوةٌ في تواضع، وإباء
في خشوع، ورقة في عناد [٤٥٨]*

ومن ذلك فقد كثرت إشارات الدارسين، لشعر أبي ريشة، إلى المفردات الدالة على الكبر والعزّة والشموخ.. الخ. مما يدخل في حقل السامي ومتعته الجمالية. وحقيقة الأمر أن هذا الحقل يؤسس لمفهوم الإنسان، كما تعيه الذات الشعرية في هذا الشعر؛ بمعنى أن المنظومة القيمية- الجمالية والأخلاقية خاصة- التي ترسم صورة الإنسان، في هذا الشعر، مبنيّة أساساً على حقل السامي بدلالاته المختلفة والمتنوعة:

لستَ تسطيع أن تكون إلهاً
فإن اسطعت فلتكن إنساناً [٤٧٣]

فعلى الرغم من نفي الاستطاعة عن أن يكون المرء إلهاً، فإن ثمة نوعاً من إثبات المحاولة من جهة، وإثبات الرغبة الحادّة في السموّ من جهة أخرى. ومن دون ذلك لن يتمكّن المرء من أن يكون إنساناً. فالسموّ يدخل في تحديد المثل الأعلى للإنسانية. وكل إخلال به هو إخلال بهذا المثل، وسقوط، بدرجة ما، في التسفل والابتذال والعبودية:

كاجْراو.. لولا العجز والحرمان
ما كان الجبان [١١٧]

فالسمو الإنساني يفترض الإمكانية في الاحتياز والترك معاً. وهو ماينفي العجز والحرمان اللذين يعنيان الوقوع في أسْر التفاهة. وقد يبدو أن التسامي أو التصعيد Sublimation يرتبط بالسمو الإنساني، كما هو في شعر أبي ريشة، ولكن هذا الشعر يؤكد أن التعبير عن الجوهر الإنساني هو السموّ. سواء أكان الأمر متعلّقاً بما هو روحي أم بما هو شهوي لذّوي. وكأن السموّ هو فعالية نفسية وروحية اقتحامية، بخلاف التسامي، بالمصطلح النفسي، الذي هو فعالية نفسية دفاعية أو "آلية دفاع من آليات الأنا"(١). ولأن السموّ على ذلك النحو من التعبير عن الجوهر الإنساني، فلم يكن من الغرابة أن تكثر مفردات الجسد الأنثوي، في هذا الشعر، بالقدر الذي تكثر فيه مفردات الحقل القيمي.

* الأرقام الواردة في متن الدراسة هي أرقام الصفحات في ديوان أبي ريشة، دار العودة، بيروت ١٩٧١.

١- سيلامي، نوربير: المعجم الموسوعي في علم النفس. ج: ٢. تر: وجيه أسعد. وزارة الثقافة، دمشق- ٢٠٠١. ص: ٦٠٨.

ولعل قصيدة "معبد كاجراو" تكون من أوضح الأمثلة على الحضور الكثيف لذينك الحقلين الدلاليين، من دون الوقوع في التناقض:

كاجْراو هل من حرمة

لك عند رائيها، تُصان

كم زائر أدمى فؤادك

ما أسرَّ وما أبان

أخفى الرضى وتظاهرت

بالسخط، عيناه اللتان...

تتحرّيان وتنهلان

وتسكران.. وتحلمان

مزّقتَ أقنعة الحياة

وما عليها من دهان

وجلوتَها في عريها

فترفّعت بعد امتهان [١١٥-١١٦]

إن التسامي أو التصعيد هو الأخذ بالأقنعة والدهان، في حين أن السموّ يكمن في تمزيق تلك الأقنعة التي ليست سوى امتهان للإنسان. وبهذا يبدو العري الذاتي أرفع من الأقنعة الاجتماعية التي تزيّف الحقيقة الإنسانية بالحرمان والكبت والخجل وسواها:

طوّقتُها، يا للشذا مطوّقاً، مقبَّلا

فما انثنت حائرةً ولا رنت تدلّلا

ولا درت وجنتُها من خجلٍ تبدّلا

كأنها في طهرها أطهر من أن تخجلا

[٣١٠-٣١١]

فالسمو لا يرتبط إذاً، بالأفكار المجردة، أو القيم الأخلاقية السائدة. بل يرتبط بالجرأة على التعبير عما هو إنساني روحياً أو شهوياً. وهو مايؤكد مفهوم الحرية في وعي أبي ريشة للسمو الإنساني. فلا سمو في غياب الحرية. بل ثمة عجز وقصور وحرمان، أو كما يقول[١]:

لن تريني في موئل الحقّ عبداً

في نعيمٍ بل سيّداً في جحيم

إن هذا المنطق في التعامل مع الظواهر المادية والروحية والفردية والاجتماعية، يكاد يشمل مختلف جوانب التجربة الجمالية في شعر أبي ريشة، وفي مجمل الموضوعات الوطنية والتاريخية والعاطفية والوجدانية. ولا يخرج على ذلك حتى الأبيات المتفرّقة، من مثل قوله في بيتين اثنين:

حكاية حبّنا خُتمت

فما أشجى وما أقسى

جميلٌ منكِ أن تعفي

وأجمل منه أن انسى [٢٧٠]

حيث إن النسيان نوع من النفي، أما العفو فهو إثبات وتجاوز في آنٍ معاً. ولهذا يبدو النسيان، هنا، ارتفاعاً على الموقف أي سموّاً في الشعور، على الرغم من تلك القساوة في حكاية الحبّ. وليس المهمّ، هنا، ما نهاية الحكاية، بل الموقف النهائي منها. وقد يظهر أن ثمة قساوة في

١- هذا البيت من قصيدة بعنوان "كبرياء" لم تنشر في ديوان وهي مسجلة على شريط كاسيت بصوت الشاعر، وقد قدّمها لنا مشكوراً الأستاذ الباحث محمد قجة.

هـذا الموقـف، تتنـافى والسمو الإنسـاني. ولكن يخيّل إلينا أن الشاعر في نسيانه ما هو شجيّ وقاسٍ في تجربة الحبّ لا ينسى التجربة، ولا ينسى تلك التي تعفو. وفي هذا نفي لما قد يخدش صورتها أو صورة التجربة. ونجد شبيهاً بهذا الموقف، في قصيدة "عودي". إذ تصرخ المرأة الحبيبة في وجه الشاعر تأنيباً ورفضاً، من دون أن يهمس في أسماعها شيئاً من "غصصه الحرى". إنه ينسحب بهدوء وترفّع:

وسـرتُ في وحشتي، والليل ملتحفٌ
بالزمهرير. وما في الأفقُ ومض سنا
ولم أكد أجتلي دربي على حدَسٍ
وأستلين عليه المركب الخشنا
حتى سمعتُ ورائي رجع زفرتها
حتى لمستُ حيالي قدَّها اللَّدنا
نسيتُ مابيَ.. هزّتني فجاءتها
وفجّرتْ من حناني كلّ ما كَمُنا
وصحتُ.. يافتنتي! ما تفعلين هنا؟؟
البرد يؤذيك عودي..
لن أعود أنا! [٢٠٤]

فالحركة الانفعالية، في هذا النص، تنهض أساساً من تجربة السموّ، في المشاعر وطرائق التعبير الحسي عنها. بدءاً بالإصغاء إلى التأنيب، وانتهاء بالرأفة والرفض أو النفي، مروراً بالتعالي على الانفعالات الحادة، والانسحاب الهادئ. وكلّ ذلك يصبّ في تعزيز صفة السموّ في الذات الشعرية بعلاقتها بالآخر. والحقّ أن هذه الذات كثيراً ما تحيل على تلك الصفة فيها، أو تعلنها،

وتلحّ عليها، بشكل لافت للنظر، ودال نفسياً واجتماعياً في الوقت نفسه. فقد تمكن قراءة هذا الإعلان أو الإلحاح، من منظور النرجسية، كما تمكن قراءته من منظور الذكورة والمجتمع الأبوي-البطريركي. وتمكن قراءته أيضاً من المنظور الطبقي وأيديولوجية الطبقة السائدة. وفي كل الأحوال، فإن هذه القراءات، على تفاوتها، لا تتناول تحديد مفهوم السامي بوصفه مفهوماً جمالياً؛ وإنما تتناول علاقة الذات الشعرية بهذا المفهوم، ومدى استجابته لنوازعها النفسية ودوافعها الاجتماعية وميولها الأيديولوجية ورؤيتها للعالم، بمصطلح غولدمان. ومن المفيد أن نشير إلى أن رؤية العالم، عند أبي ريشة، تتقاطع مع رؤية العالم، عند الفلاسفة والمتصوفة المسلمين، ولا سيما على صعيد الإنسان الكامل الذي حاز على الجلال والجمال، بأبعادهما الناسوتية واللاهوتية معاً[١].

إن صورة الإنسان المبنية على السموّ، عند الشاعر، يصعب عزلها عن صورة الإنسان الكامل تلك. بل إن الشاعر يؤكدها في مواضع عديدة، من شعره، وبأشكال متنوعة. ونذكر من بعض الأمثلة على ذلك قوله على لسان امرأة تخاطبه[٢]:

عانقتُ فيكَ الله خاشعةً
ونسيتُ فيك حكاية العدمِ
وجلوتَ لي الدنيا فما وطئت
إلا جباهَ شموسها قدمي

١- كليب، د. سعد الدين: البنية الجمالية في الفكر العربي- الإسلامي. وزارة الثقافة، دمشق- ١٩٧٧. راجع الفصل الأخير.
٢- من قصيدة بعنوان "قدسية الحبّ" مسجّلة على الكاسيت نفسه.



وقوله مخاطباً سعد الله الجابري، في حفل تأبينه:

ربما غاب عن خيالك طيفي

أذهلتني عنكَ انتفاضة روحي

فترنحتُ أحسب السحب تهوي

بعد طول الجفا وطول البعاد!

في سماء علوية الأمداد

تحت مهدي والنجم فوق وسادي[٤٦٠]

وقوله أيضاً في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي:

لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله

في نشوة الشعور عيانا!

نحن نسج الثرى؛ فما لأمانينا

على كل كوكبٍ تتفانى[٤٦٨]

إن رؤية العالم على هذا النحو، هي التي تفسّر الميل الطاغي، في الذات الشعرية، إلى كل ما هو سامٍ ورفيع؛ كما تفسّر ذلك الهجوم على كل مايذكّر بالاتضاع أو التسفّل، والخنوع أو العبودية مما يتناقض وقيم الكمال أو السمو الإنساني. ولعلّ شعر أبي ريشة السياسي يقدّم مادة غنية بموضوع ذلك الهجوم.

فمن المعروف أن عمر أبا ريشة من أكثر شعراء الكلاسيكية الجديدة، في سورية، تقريعاً للواقع السياسي بجلاديه وضحاياه. وقد يبدو، من الغريب أن يقرع أبو ريشة الضحية، أو الشعب، مثلما يقرّع القادة أو الجلادين، وإن يكن تقريعه للقادة هو الأغلب والأكثر حدّة.

ونذهب إلى أن تقريع الشعب نزعة غير أصيلة في الكلاسيكية الجديدة. إنها نزعة رومانتيكية الطابع. حيث يتمّ الفصل بين الذات الفردية والذات المجتمعية، التي غالباً ما يقع عليها اللوم والتقريع، في كل ما يجري على أرض الواقع ولا سيما السياسي والأخلاقي منه. فعل ذلك أبو القاسم الشابي، في العشرينيات من القرن العشرين، في عدد من القصائد، يقول في إحداها[1]:

أيّها الشعب! ليتني كنتُ حطّاباً

فأهوي على الجذوع بفأسي!

ليتني كنت كالسيول، إذا سالت

تهدّ القبور: رمساً برمسِ

إن تقريع الشابي يصطبغ بلونٍ من ألوان العذاب النفسي، وهو ما ينسجم ونزوعه الرومانتيكي العام؛ في حين أن تقريع أبي ريشة يدلل على نظرة فوقية متعالية، من مثل قوله:

يا شعب لا تشكُ الشقا

ء ولا تُطِلْ فيه نواحكْ

لو لم تكن بيديك مجرو

حاً لضمّدنا جراحك

أنت انتقيت رجال أمـ

ـرك وارتقبت بهم صلاحك

فإذا بهم يرخون فو

ق خسيس دنياهم وشاحك[٩٦-٩٧]

ولكن إذا كان هذا التقريع يصدر، في نهاية المطاف، من قناعة بأصالة هذا

١- الشابي، أبو القاسم: ديوانه. دار العودة، بيروت- ١٩٧٢. ص: ٢٤٦.

الشعب أو هذه الأمة؛ فإن تقريع القادة والحكّام يصدر من وعيه بمدى التسفل والتهافت على الرخيص والخسيس من الأهواء والمغانم، عند هؤلاء القادة. وفي ذلك من نقائض السموّ ما فيه. ولعلّنا نذهب إلى أن أبا ريشة لم يَصُغْ صورة جمالية- اجتماعية مناقضة، تمام المناقضة، لصورة الإنسان الكامل أو السامي، كتلك التي صاغها للقادة السياسيين. إن هذه الصورة لا تناقض مفهوم السامي فحسب، بل تناقض أيضاً الصورة الحلمية المثلى للمستقبل الحضاري المفترض، وللماضي الحضاري القديم معاً. يقول مخاطباً الأمة:

ودعي القادة في أهوائها

تتفانى في خسيس المغنمِ

ربّ وامعتصماه انطلقت

ملء أفواه البنات اليتَّم

لامست أسماعهم لكنها

لم تلامسْ نخوة المعتصمِ

أمّتي! كم صنمٍ مجَّدته

لم يكن يحمل طهر الصنم

لايلام الذئب في عدوانه

إن يك الراعي عدوَّ الغنمِ

فاحبسي الشكوى فلولاك لما

كان في الحكم عبيد الدرهمِ[١٠-١١]

على الرغم من أن التقريع ينصبّ أساساً على القادة، بأوصافهم المذكورة والمناقضة لصورة السامي؛ فإن اللوم يقع أيضاً على تلك الأمة التي تمجّد أصناماً لا طُهر فيها. وهو ما يحيل مرّة أخرى على تلك النزعة الرومانتيكية المتعالية، في الذات الشعرية، عند أبي ريشة حيث تتعالى على أن تندرج في الذئاب والرعاة والأغنام، على حدّ سواء. صحيح أن ثمة سخطاً على الذئاب والرعاة، وتعاطفاً مع الأغنام؛ ولكن من الصحيح أيضاً أن تلك الذات تتنصّل مما يحدث على أرض الواقع السياسي؛ من منطلق أنه يحدث، من دون أن تسهم فيه، أو أنه يحدث، لأنه لم يُسمح لها في أن تسهم فيه. ذلك هو الخطاب السياسي لنخبة الأبراج العاجية. ويخيل إلينا أن أبا ريشة لم يستطع أن يحوّل خطابه السياسي النخبوي إلى خطاب جمالي؛ أو الأصوب أنه لم يستطع أن يرتقي بخطابه السياسي إلى خطاب جمالي يعلو على المصالح السياسية الفئوية. نقول ذلك، على الرغم من ذهابنا آنفاً إلى أن أبا ريشة قد صاغ صورة جمالية- اجتماعية للقادة، تناقض صورة السامي لديه. وهي صورة عميقة الدلالة حقاً. ولكنه في خطابه السياسي لم يرتفع فوق المصلحة الفئوية، في الكثير من قصائده السياسية.

لاشك في أن الشاعر لم يعلن صراحة عن تلك المصلحة، ولم ينطق بلسان فئة سياسية بعينها، على الأقلّ فيما أثبته من قصائد سياسية في ديوانه. ولعلّ هذا قد أتاح له أن يزاوج بين المفهوم السياسي والمفهوم الجمالي. فقد بدا رفضه السياسي للنخبة الحاكمة ترفعاً وتسامياً على الممارسة السياسية البراغماتية. مثلما بدا السموّ الإنساني،

لديه، رفضا لمختلف أشكال الابتذال الأيديولوجي- السياسي. وبهذا فإن "تساميه" فوق الذئاب والرعاة والأغنام ذو حمولة سياسية، في المقام الأول. وإن تقاطع مع رؤيته للعالم، على صعيد الإنسان السامي الذي يربأ عن أن يكون ذئباً أو شاة أو راعياً عدوّاً للأغنام.

وتحضر، في هذا المجال، قصيدة "هؤلاء" التي يعلن فيها انتماءه إلى أولئك المتعبين الأشقياء:

تتساءلين علام يحيا هؤلاء الأشقياء
المتعبون ودربهم قفرٌ ومرماهم هباء
الذاهلون الواجمون أمام نعش الكبرياء..
تتساءلين.. وكيف أعلم ما يرون على
البقـــــــــــــــــــــــــــــــاء؟!

إمضي لشأنك..

اسكتي..

أنا واحدٌ من هؤلاء! [٢١ - ٢٢]

إن منطوق النص يعلن انتماء الشاعر إلى هؤلاء بوصفه واحداً منهم؛ غير أن مفهوم النص يقول إن الشاعر يتعاطف معهم ويؤازرهم فيما يعانونه، من دون أن يكون واحداً منهم، فالمتسائلة "المترفة" تتحدّث إلى صديق "مترفٍ" يعتقد مثلها أن هؤلاء المتعبين واجمون أمام نعش الكبرياء؛ وهو لا يعرف ما يرون على البقاء. وكيف يعلم أو يعرف بما أنه لا يعاني ما يعانونه؛ ولكنه دفاعاً عن "الكبرياء" يؤازرهم، ويقف إلى جانبهم رفضاً لمنطق المتسائلة، وربما رفعاً من شأنهم!. وفي هذا إشارة أخرى إلى الخطاب الأيديولوجي النخبوي المتلبّس بجمالية السامي.

وهكذا نلاحظ أن ثمة تجربة شعرية متكاملة الجوانب، في إحالاتها الجمالية والرؤيوية والأسلوبية. وهي تجربة متفردة في بابها، لا بمعنى التفرّد أو الاختلاف النوعي. بل بمعنى التفوّق الجمالي، في إطار الكلاسيكية الجديدة، في الشعر العربي الحديث؛ علاوة على التفوّق في التعبير عن تجربة جمالية، قلّما تمّ التعبير عنها بهذا المستوى المحوري، من جهة، وبهذا المستوى من الوعي، من جهة أخرى. إذ كثيراً ما يتمّ الاختلاط بين القيم الجمالية، في النص الشعري الواحد، فما بالنا بنتاج شعري كامل. ولهذا الاختلاط أمثلة كثيرة، في القديم والحديث على السواء. وهو مالا نجده في شعر أبي ريشة الذي يُعدّ أنموذجاً عالياً للاتساق، في الموقف الجمالي والرؤيوي والاجتماعي والأيديولوجي والأسلوبي جميعاً.■

في العدد القادم

السهرات الحلبيّة
تقليدٌ متجدّد

وجهُكِ المستبدّ

"إلى حماة ذات الجلال والجمال"

محمد عدنان قيطاز*

يـذكّرني وجهـكِ المـستبدُّ هـزيعـاً مـن
الليل.. سمحاً أنيقاً
تناسلُ فيه النبوءاتُ ضوءاً وسكراً..
ويصدحُ بوحاً وعطْراً..
ويضحكُ كالنهر غِبَّ ليالي المطرْ
يذكّرني وجهك المستبدُّ القمرْ
يذكْرني الأزَق الحلوَ في لحظةِ الانبهارْ
فيشهقُ من وجْده الثرّ قلبي..
ويخـرجُ كـالفجر مـن رحـمِ الليـلِ سـيفاً
صقيلاً..
يهدهدُ أضواءه الحالياتِ
ويمتدُّ.. يمتدُّ عرضاً وطولاً..
ويندلحُ كالغيم في ملكوت السماءِ
يخبِّئُ نجماً..
ويطلعُ نجماً..
ويُصْعَقُ قبل انبلاج النهارْ

* *

يذكّرني وجهكِ المستبدّ طريق العبور
إلى المكرمات
وأسطورةً من أساطير غيبٍ سحيقٍ..
وتاريخَ عشقٍ قديمٍ..
وعنوانَ مجدٍ إلى وطنِ الشمس..
يكبرُ فيَّ.. وأكبرُ فيه
يـــذكّرني جمـــرات الفيـــافي.. وشـــوكَ
القتادِ.. وليل السهادْ
وأغنيةً من أغاني الجهادْ
وملحمةً من ملاحمِ قومي..
وهم ينهدون إلى سدّةِ المجد.. أو سـدرة
المنتهى
يذكّرني وجهك المشتهى

---

* شاعر سوري من حماة، عضو اتحاد الكتّاب العرب.

يذكرني القبَلَ الموحيات
يذكّرني كلَّ ماضٍ وآت
يذكّرني وجهَ أمي.. أبي.. إخوتي.. أهلي الأكرمين
فأسجدُ في خشعة الزاهدين
حسيراً أصلّي..
لوجه تباركَ بين الوجوهِ
كريمَ الرؤى.. عبقريَّ التجلّي

* *

ومن أجل عينيكَ.. يا وجهها المستبدَّ
سأبني لمجدك "قصرَ الدهيشة"..
أنصبُ "ناعورة" في فضاء الزمانْ
أدورُ.. تدورْ
ويشدو كلانا نشيدَ العصورْ
"حماةُ" الجلالُ.. "حماةُ" الجمال
ويبلى الزمانُ ولا يبليانْ
ويا وجهها المستبدَّ.. سلاماً سلاماً
أراكَفأهتفُ:يامرفأالحسنِأنتَالأمان
وإشراقةُ الروح أنتَ..
ومهدُ الطفولةِ أنتَ
وملهى شبابي.. ومستودعُ الذكريات
وأنت قصيدة حبي.. وتبريحُ قلبي..
وفي "باب نهركَ" لي مجتنى
وعند "الشريعةِ" لي ألفُ مغدىً.. وألفُ مراحٍ..
فمن منحنى مستطابٍ إلى منحنى

* *

ويا وجهها المستبدَّ.. سلاماً سلاماً
سلاماً على "تل صفرونَ"..
يستقبلُ الشمسَ رأدَ الضحى يوم "عيدِ الربيعْ"
سلاماً على شرفاتِ القصورِ..
على كل بيت.. وكل زقاقْ..
سلاماً على "باب جسر الهوى"
سلاماً على "القلعة" الصامدهْ
سلاماً على الأولياءِ.. على الصالحينَ..
على الأدباءِ.. على الشعراءِ..
ومجلسِ شيخِ الشيوخِ.. وقاضي القضاةِ.. و"دار السعادهْ"
سلاماً على الوردِ والفلِّ والياسمين..
على الزيزفون المناضلْ
يعربدُ حول البساتين.. يرصدُ..
يا للخفيرِ النضيرِ.. يسدُّ المسالكْ
و"محلى زمانو" يناغي المقلْ
ويهدي المعاطيرَ أحلى القبلْ
على المشمشِ الحمويِّ.. و"تينِ الدوالكْ"
على الجوزِ واللوزِ ألفُ سلامْ

* *

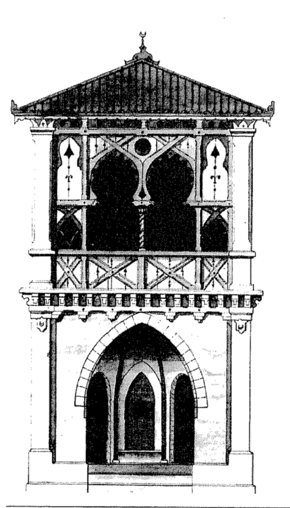
ويا جارةَ العاصِ.. شوقي قديمٌ.. قديمٌ كما تعلمينْ
وسوف يظلُّ رحيقي المصفّى..
وزوّادتي في متاهاتِ عمري..
وقارورةَ الطيبِ تحملُها مقلتايَ إلى حضرةِ العاشقينْ
فيزدادُ زهواً وكبراً..
وسوف يظلُّ صديقي الحميمَ..
شهيّاً كديوانِ شعرٍ جديدٍ..
يغرّد باسمكِ مثل السحابِ..
ويأرجُ مثل حقولِ المراعي.. على نغمة "الأوف" و"الميجنا"
فيغدو الجياع.. ويسقي العطاشَ..
ويمنحُ بهجتَه كلَّ عانٍ حزينْ.

يحدث في الشرق

لؤي علي خليل*

"من يضع شكلاً فليضعه مستديراً، فإنه لا بد من الرياح تزعجه فيتدحرج ولا ينكسر فالشكل الكروي أبقى"

ابن عربي - شق الجيب



لم تفلح كل المحاولات التي بذلتها (أم أسامة) لتقنع زوجها بالامتناع عن إبلاغ السلطات الرسمية.. هو يعتقد أن ما حدث يخالف قوانين الطبيعة والمنطق، ولابد من إيجاد تفسير مناسب له. أما هي فتخشى أن يتهموه بالجنون وينتهي به الحال إلى مشفى الأمراض العقلية.

ولأنه رجل.. قرر أن يطوي الخوف ويمضي.

وما إن وصل إلى بوابة مخفر الشرطة حتى بدا له أن زوجته محقة، فلا بأس من الاكتفاء باستشارة بعض العلماء المختصين.

إشارة..

حين هاجر أبو أسامة إلى الخارج لم يكن ينوي العودة أبداً.. فالوطن كان أصغر من مساحة طموحه، كما يقول. ومع أن سنين الاغتراب تلين الحجر الصلد فإنها لم تستطع أن تضيّق طموحه أو توسع مساحة الوطن. فبقي بعيداً إلى أن زاره الحلم!!

* قاصّ وباحث ومدرس جامعي في الأدب العربي

كان ذلك في أحد أيام الصيف حين رأى أباه يضع يده على رأسه ويشير بيده الأخرى نحو الوطن. وحين علمت زوجته بالأمر اكتفت بكلمتين: أضغاث أحلام.

وذات صباح شتائي استيقظت أم أسامة على صوت زوجها:

- لقد حان الوقت.. يجب أن نعود!!

كان فزعاً من الرؤيا - كما أصبح يسميها - فهذه المرة لم يستطع أن يحتمل رؤية صورته تهدده بالموت إن لم يعد.. وخلال أقل من شهر كانت قدمه تدب على أرض الوطن، وعيناه تبحثان عن المساحات الواسعة.

استشارة (١)..

بخطوات إيقاعية تقدم المهندس من بيت أبي أسامة وبدأ يمسح تفاصيله بعينيه..

حين استدعاه أبو أسامة أخبره أنه يحتاجه لحل مشكلة معمارية في بيته - وبعد كثرة دوران داخل البيت وخارجه لم يجد المهندس عيباً يستحق الاستشارة، فالبيت أعجوبة هندسية.

عندما أطلعه أبو أسامة على حقيقة الأمر قرر بصرامة أنه مجنون أو أن الأمر كله مجرد دعابة سخيفة. ولإقناعه بجدية الموضوع استدعى أبو أسامة عمال البناء فأكدوا روايته. فما كان من المهندس أمام كثرة هؤلاء إلا أن طلب إعادة سرد الحكاية بتفاصيلها.. فبدأ أبو أسامة يسردها على مسامعه من جديد:

حكاية التغيير..

حين عدت إلى البلاد أحضرت معي مخطط بيتي الذي سكنته في المغترب لأبني بيتاً يُشبهه هنا. وأهم ما كان في ذلك البيت هو الخطوط المستقيمة والزوايا الحادة التي رُسمت وفق أحدث المعايير الفنية.. فلا تجد في البيت خطّاً منحنياً على الإطلاق، وكما تعلم، الخط المستقيم صارم ودقيق.

وقد فرغت من بناء بيتي الجديد منذ أيام، وكان من المقرر أن أسكنه مباشرة، ولكن الذي حدث لم يكن متوقعاً، فقد أصاب البيت شيء عجيب، تحوّلت كل خطوطه المستقيمة إلى خطوط منحنية.. وتحوّلت الزوايا إلى أنصاف دوائر.. حتى الممرات المستطيلة تحولت إلى أسطوانات دائرية، وزوايا الأبواب تحولت إلى أقواس، وكما ترى.. أصبح البيت كله دائرة كبيرة.

❖ ❖ ❖

عندما فرغ أبو أسامة من الكلام بدا المهندسُ مشوشاً تماماً.. وبدت ملامحُ وجهه عصيّةً على التفسير. وقال بعد صمت طويل:

- لم أسمع بمثل هذا إلا في خيالي..كنت أحلم ببناء بيت تتغير ملامحه كل حين، حتى لا يصاب ساكنوه بالملل. وقد قرأت عن أماكنَ تفعل مثل ذلك في ألف ليلة وليلة عند جبل (قاف).. ولكننا لسنا في قصور ألف ليلة وليلة!!

ثم تأمل البيت من جديد وقال:

- البيت بشكله الحالي تحفة فنية تشبه قصور الحمراء في الأندلس.ومثل هذا البيت لا تناسبه الخطوط المستقيمة والزوايا الحادة، لأنها شاذة وغريبة عليه.

وقبل أن يمضي المهندس التفت إلى أبي أسامة وقال بثبات:

- إذا أردت نصيحتي.. فاسكن البيت ولا تحدث بقصته أحداً.

ثم مضى إلى الطريق الذي جاء منه تقوده خطوات مضطربة..

استشارة (٢)..

لم يجد أبو أسامة بدّاً من استشارة مختص فيزيائي هذه المرة.. فقد يتعلق الأمر بطبيعة الحجارة. وعندما قدم الرجل بدت خطواته القوية الصارمة وكأنها تجر الحل معها.

في البداية لم يثق الفيزيائي بجدية الموضوع وكرر اتهام أبي أسامة بالجنون ؛ ولكنه سرعان ما استوعب حقيقة القصة بسبب كثرة شهودها.

ولم يكن تأمله للبيت أقل من تأمل المهندس ؛ ولكنه زاد عليه بأن لامس الحجارة بيديه واستفسر عن طبيعتها. ولما لم يجد شيئاً غريباً قال:

- سمعت مرة أن بعض الحجارة الساقطة على كوكبنا من الفضاء الخارجي ذات طبيعة متغيرة تتبدل خصائصها بتغير ظروف المناخ، ولكن هذا لم يثبت بشكل علمي.. وحتى إن ثبت فذلك خاص بعالم آخر غير عالمنا، له قوانين غيرُ قوانيننا.. أما ما ترويه فشيء لا يقبله العقل. وإذا أردت رأيي فإن الخطوط المنحنية تلائم حجارة هذه المنطقة أكثر من الخطوط المستقيمة. فالحجارة هنا مطواعة وملساء ومحدودبة مثل حجارة شاطئ البحر.. وانحناؤها يمنح البيت رشاقة ودلالاً كدلال (الفسقيات) المستديرة في بيوتنا العتيقة.

ثم التفت الرجل إلى حيث جاء وغادر المكان بخطوات أقل صرامة وأكثر رشاقة..

استشارة (٣)..

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يسمع بها أبو أسامة عن الدرويش (أبو البركات سراج الدين) ؛ فما يحكيه الناس عن عجائبه وكراماته لا يجعله غريباً على الأسماع ؛ ولذلك قرر استشارته علّه يجد عنده جواباً شافياً، ومع أول انحناءة للشمس من وسط السماء بعد العصر قدم أبو البركات ملتفاً بعباءته، تسبقه خطواته المطمئنة، فقص أبو أسامة على مسامعه ما قصّه على سابقيه، فلم يحرك أبو البركات ساكناً، ولم تضطرب ملامحه، بل بدا وجهُه أكثر إشراقاً وطمأنينة، واعتلت وجهه ابتسامة هادئة.. ثم بادر الحضور بقوله:

- حدثني أبي عن أبيه عن جده عن شيخ الطريقة أنه كان إذا أراد شراء بيت دخله وحده وسأله.. فإذا وافق البيتُ اشتراه وإذا رفض البيت تركه.

ثم صمت وبدا مرتاحاً لجوابه.. ولكن علامات الاستفهام بقيت مرسومة على وجه أبي أسامة وعماله، فلم يزد الدرويش فوق ما ذكره كلمة واحدة، كلّ ما فعله أنه بقي يردد بصره بين الشمس والسماء وقبة خضراء لمسجد مجاور.. ثم همّ بالانصراف، فأوقفه أبو أسامة وقال بدهشة:

- لم أفهم شيئاً!!

التفت أبو البركات إلى السماء وقال وهو يغادر المكان مداعباً مسبحته الدائرية:

- أنت تريد.. والمكان يريد.. والله يفعل ما يريد.

ومضى ثابت الخطوة مطمئن البال.

وبقي أبو أسامة يقلب بصره بين الشمس، التي بدت قرصاً دائرياً متوهجاً، واستدارة قبة المسجد الخضراء المشرئبّة إلى السماء، وبيته الذي بدا دائرةً مكتملةً بدايتُها تشبه نهايتَها.■

من جزر الأميرات إلى كبادوكيا

خواطِر سفَر

ندى الرفاعي*

جزر الأميرات / استانبول ١٧ آب ٢٠٠٤

بين ثلاثاء بداية الرحلة في حلب وثلاثاء نهاية زيارة استانبول بقية من وقت حلا لنا فيه امتطاء أمواج بحر مرمرة في زيارة إلى جزر الأميرات.

وحط بنا الرحال في الجزيرة الكبرى (Büyükada) وكانت لنا بين أرجائها جولة ممتعة في عربة الحنتور، والمناظر الخلابة تحيط بنا من كل جانب تدعونا لتكرار الزيارة.

بين الإنسان والبحر علاقات متجددة في الطاقة.. كأنّما يشحنها المد والجزر أو يفرّغها..

رُبَّ شرارة برق سطعت بين الغيوم وتناثرت من حولها قطرات مطر ونوارس فكان منها قوس قزح في السماء ونسيج خاطرة أو شبه قصة على الأرض في انصباب للخيال والكلمات..



"تتوحد السماء مع البحر في صراع الشمس. تمسك شباك الغيوم بمليكة الضوء.

يتوه طائر النورس عن سربه وهو يغتسل بحبات المطر. أفراد السرب في حلقات تتراقص مع الموج، ترافق المركب، تتابع الأفق، سحابة بيضاء تحمل الطائر التائه، والظل الرمادي القاتم يخيم على الكون، تختفي خلفه حدود الأفق بين غيوم داكنة وأمواج قاتمة. تتماسك ذرات الضباب في أقاصي السماء البعيدة لترسم بظلها على المرايا المالحة صورة حورية من (سركجي) تلوح بمنديلها عند وداع المحطة. يدخل النورس ساحة جاذبيتها.

* صيدلانيّة، عضو جمعية العاديات.

يراقب كتفها العاري وقد وشم بسرب أزرق من الطيور. تتمايل الأجنحة الهفهافة في حيرة، ومسامات استشعاره تبحث عن الوليفة. هل تراه وحش من البحر قد ابتلعها أم نسر من السماء قد التقطها؟

كان الوعد بينهما على عدم الفراق. لم يقسم طائر النورس يوماً يمين الكذب. بحث عنها طويلاً ليزقزق لها ويرقص. كيف يخفق نصف قلبه بخير اللقاء ونصفه الآخر بشر البعاد!.. كانا صغاراً يلعبان معاً لعبة الإستخباء، وكانت تصمت بين الكبار تخفي الأحاسيس. إنه يخشى اليوم تلك اللعبة، لعبة الإستخباء بين ذرات الضباب، يبحث عن الشمس بين شباك الغيوم يبتهل إلى الله أن يفك أسرها من مخبأ ظلام الفجر إلى بوابة الظهر في قبة السماء. لا بد أن يظهر بريقها بين لحظة وأخرى من خلف الجبال. ولا بد أن تحمل معها الوليفة إلى مدينة التلال السبع إلى استانبول. فالطائر الوليف على موعد مع ابتهالاته كي تحيل الشمس ظلام الليل ضياء، فيهدي الحبيبة روحه وقلبه بعد أن يحملها على جناحيه إلى تلة العرسان، إحدى تلال استانبول السبع ويحلق بها فوق أبراجها العالية إلى مسافات يعجز جناحاها عن الوصول إليها لينعما معاً بفردوس الله على الأرض ويتخذا لهما عشاً للاستراحة فوق غصن شجرة مزهرة تطل على رفاق البحر من تلة استانبول الأسطورية.. تلة العشاق".



كبادوكيا / الأربعاء ١٨ آب ٢٠٠٤

ترافقنا أسراب طيور مالك الحزين في هجرتها، والشمس تسبقها مغادرة الفضاء للمبيت خلف خط الأفق. شيء من الإرهاق يصيبنا فيثقل النعاس جفوننا وتتدلى الرؤوس على الرقاب والأكتاف والحافلة تدخل بنا منطقة كابادوكيا. نفتح العيون فجأة ونتساءل:

هل ترانا في حلم أم علم!..

هل عبرنا الكرة الأرضية في لمحة عين إلى سطح كوكب آخر، وكيف استطاعت أجنحة الحافلة أن تحلق بنا من مسرح صخري على مرتفع جبل إلى مسرح آخر في منحدر واد..؟! وكيف نبتت بينهما أشباح الجنيات والعمالقة والأقزام!.. كلاب تنبح من هنا وذئاب بعيدة تعوي من هناك. لا بد لنا من أن ندعك الأجفان كي نصحو.

تتوقف الحافلة عند الفندق المنزوي وسط بستان ناء يتقافز حوله البط والدجاج والديك الرومي بعيداً عن كثافة الأضواء والناس.

خيال بين جبلين بعيدين اكتشفته في ظلمة الليل من نافذة الغرفة في الفندق. شبه قلم رصاص يتجه بنهايته المدببة نحو السماء. إنها مئذنة جامع عثماني تردد: الله أكبر، في وقت العشاء وصوت صدى الجبال والوديان يردد خلفها: الله أكبر... الله أكبر..

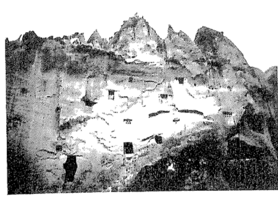
الله أكبر... كيف ننام تلك الليلة ونحن وسط هذا المسرح الصخري المهيب، والحجر ينطق من خلاله ينادينا إلى الحوار!...

يحضر إلى البال جمعية العاديات والصحب الكريم من رفاق الرحلة والسندباد رحالة ألف ليلة الأسطوري فأخاطبه:

"أيها السندباد: أنت يا من نقلت الأساطير أخبارك، تهب اسمك إلى من يبحث عن أجنحة يطير بها، فأهبك ثمانية وعشرين من أبنائي، أنعم الله بهم علي من جمعيتي الحلبية الأصيلة، وقد حملت عادياتها آباءهم وأجدادهم حتى بلغت من العمر عتيا. بعد ثمانين عاماً من عمر أمهم العاديات أناديك أن تقف إلى جواري وتحملهم على أجنحتك إلى الجبل العظيم. إنهم أمانة في عنقي.. هبة من الله لي، كما وهب الله إلى تركية فنصب بين عليائه وأرضه ذاك الجبل العظيم اولوداغ.

فهبوا للرحيل يا أبناء حلب ودعوني أسمع صدى نشيدكم (حماة الديار) وأنتم تنطلقون وبورصة من ورائكم تردد: رافقتكم السلامة.

وليبقَ معكم خيال من حلب كي لا تثقل دوامة الغربة رؤوسكم ولا تتعب الأوابد أعصاب الشباب من الصحب الكريم، ففي أرشيف الجمعية خبرة الحنين إلى الماضي، نعيش معكم الأحاسيس الجميلة وأنتم تمجدون الله والطبيعة بين معالم كابادوكيا تنتقلون بين الأرض إلى ما تحتها من مغارات كلسية مسكونة وما فوق جبالها من كهوف. وقلعة تدعو إلى التأمل الصوفي الروحي. لا تخافوا من موائد الشيطان والعمالقة والأقزام ولا تصدقوا حكايا الجن والعفاريت. لأننا يا سادة يا كرام شبَبنا عن طوق حكواتي عنتر وعبلة والزير سالم وقصص ألف ليلة وليلة. وما



عجزنا نحن الأجداد عن تحقيقه في زمننا لعلكم تقومون به مع أحفادكم ذات يوم.

مَن منّا بحاجة إلى الآخر نحن الجيل القديم، أم أنتم يا جيل المستقبل!..

لا معنى للسؤال ولا حاجة للجواب، فمَن ليس له قديم ليس له جديد، يقولون ذلك في حلب وهم على صواب. فنحن ندرس الماضي ليكون عبرة للحاضر والمستقبل.

خمدت نيران براكين كابادوكيا منذ آلاف السنين. وبين رفاق الرحلة أساتذة في بعض العلوم، أسمع حديثهم عن العوامل الجوية المختلفة والأمطار الحامضية التي أثّرت فيها فأعادت تشكيل تلك الصخور البركانية المتناثرة على مبدأ البقاء للأقوى. تتفتت الطبقات الكلسية الهشة بفعل العوامل المحيطة بها. وتتماسك الصخور القوية منها بفعل عناصرها فتحمي نفسها وما تحتها من طبقات لتتكون تلك الأشكال المتميزة الصامتة الناطقة وهي تخاطب العقل والخيال.

يا كبادوكيا الرائعة السحر لك مثيل عندنا في صيدنايا ومعلولا حيث الأرواح تطلب الرحمة، أرواح المؤمنين التي احتمت بمغاراتها هربًا من الوثنيين والأشرار". ■

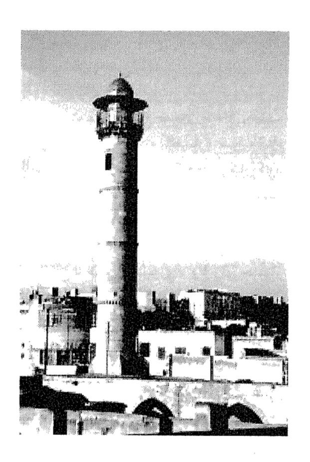
إنشاد المآذن في حلب

محمد قدري دلال*

تشترك جوامع حلب في شعائر موحدة، حيث ينطلق منها الأذان للأوقات الخمس، وتقام الصلاة، إلا في يوم الجمعة حيث ينطلق أذانان وإقامة، وهذا الأداء المنفرد يختص به مؤذن الجامع، يضاف إلى ذلك إنشاد قصيدة في الابتهال أو التوسل قبل أذان الفجر وهو ما كان يسمى بالسلام الأول، أو التسميع، وكذا إنشاد قصيدة قبل العصر إذا كان المؤذن من ذوي الأصوات الحسنة، وقد يتم ذلك بناء على طلب من أحد السمّيعة في الحي، وقبل العشاء يوم الخميس "ليلة الجمعة" تقرأ حصة مولد قصيرة قبل القصيدة.

الأذان:

الأذان شعيرة إسلامية يعود تاريخها إلى عهد الرسالة الأول، وحسن الصوت مطلوب في أدائها، وقد روي عن الصحابي بلال أنه كان ذا صوت جميل، ومدحه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لتلك الصفة، وألفاظ الأذان واحدة في كافة أقطار العالم الإسلامي، لكن مؤذّني حلب ينفردون بخصائص فنية في أدائهم لهذه الشعيرة الدينية، وبإضافات أعطت للأذان في حلب نكهة خاصة.



* مدير المعهد العربي الموسيقي بحلب.

فقد يُضيفون بعد الأذان الصلوات على النبي كقولهم (الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله . أو يا هادينا إلى الله . أو يا من بالمؤمنين شفعك الله . أو يا من بالمدينة المنورة أسكنك الله...)، أما من ناحية المقام الموسيقي فالمشهور أداء الأذان من مقامي "الحجاز والراست"، ومن مقام "البياتي" في أحيان قليلة، لكن بعض الأفذاذ من مؤذني حلب أدّوه من كافة المقامات، ولقد سمعته في الستينات من الحاج صبري مدلل حينما كان مؤذناً في جامع "العبّارة" من مقام النهاوند والحجاز كار والحجاز كار كرد والهزام وسواها من مقاماتٍ لم يألفها السمع، حينها كان الناس يتوقفون عن أعمالهم للإصغاء والاستمتاع بالأداء الرائع للحاج صبري، ولا زال جوار الجامع الأموي يتمتعون بصوته الجميل، وبتنقله بين المقامات حتى الآن، أطال الله في عمره ومتعه بالصحة.

أذان السحَر:

كان الناس يسمونه قبل خمسين عاما "السلام الأول" وقد يطلق عليه بعضهم اسم "التسميع" والمقصود واضح أي أن يُسمِع المؤذن أهل الحي القصائد بصوته الجميل فيصحون لأداء العبادة على متعة سمعية روحية، يفتتح المؤذن التسميع بقوله: (يا حي ياقيوم يا بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام ياذا الطول والإنعام) و يضيف بعد كل توقف (لا إله إلا الله) ثم يتابع بما يسمونه التسبيحات: (سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولد) وبعد كل تسبيحة يقول: (لا إله إلا الله) ويتابع (سبحان من رفع السموات بغير عمد، سبحان من بسط الأراضين على ماء جمد، سبحان من قسم الأرزاق بين عباده ولم ينس من فضله أحد، لا إله إلا الله) وينهي التسميع بقصيدة في الابتهال أو التوسل أو الاستغفار. تؤدى التسبيحات وكل البدايات هذه في مقام البياتي، ويستطيع المؤذن بعد ذلك التلوين والانتقال إلى غيره من المقامات حين إنشاده للقصائد، حسب إمكانياته وحجم علومه الموسيقية، ومن قصائدهم المتداولة في الابتهال:

إلى نوره سبحانه أتوسل

وأرجو الذي يرجى إليه وأسأل

فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه

ومن كل ذي عز له يتذلل

وقد يتلو المؤذن قصيدة أخرى في الموضوع نفسه مطلعها:

يا من ترى ما في الضمير ويسمع

أنت المُعَدُّ لِكُلِّ ما يُتَوَقَّعُ

ويرددون في باب التوسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم) قصيدة من شعر "أمين الجندي" تقول:

توسلت بالمختار أرجى الوسائل

نبيٌّ لمثلي خير كاف وكافل

هو الرحمة العظمى هو النعمة التي

غدا شكرها فرضاً على كل عاقل

أو قصيدة "علي وفا" التي تبدأ بقوله:

سكن الفؤاد فعشْ هنيئاً يا جسد

هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

أما في الاستغفار فيغلب أن يتلو المؤذن قصيدة:

استغفر الله مما كان من زللي

ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري

أذان الإمساك:

وهو ليس أذاناً بألفاظ الأذان المعهودة، وإنما إعلام لسكان الحي باقتراب بزوغ الفجر حيث سيتوقف الصائم عن الأكل والشرب وكل ما يفطر. ويختلف أذان الإمساك في حلب عنه في دمشق حيث تستخدم فيها ألفاظ الأذان العادي بلحن آخر يقال أن المتصوف الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى عام ١١٤٣ هـ قد وضع لحنه، وما زال مستخدماً حتى يومنا هذا، وصفته في حلب أن ينشد المؤذن قصيدة يردد بين أبياتها القول: (الله يا الله) من مقام البياتي وبأسلوب خاص نسيه كثير من المؤذنين الحاليين، أما مواضيع القصائد فلا تخرج عن الابتهال والتوسل والاستغفار وقد أوردناها سابقاً.

قصائد تُنشَد قبل أذانَي العصر العشاء:

واختص بها المؤذنون ذوو الأصوات الحسنة، ومن لهم باع طويل في العلوم الموسيقية، أمثال الحاج مصطفى الطراب، والحاج صبحي الحريري، وبعدهم الحاج صبري مدلل، وصباح فخري ومحمد خيري، وعبد الرحمن عطية "قيقون"، وحسن حفار، وسواهم.. حيث يمتعون أهالي حيهم قبل أذان العصر ببضعة أبيات من قصيدة يظهرون بإنشادها مهاراتهم الفنية، وكثيرا ما يطلب ذلك منهم أحد السمّيعة، فينزلون عند رغبته.

كانت قصيدة ما قبل أذان العشاء يوم الخميس أشبه بالتقليد المتبع في كافة الجوامع والمساجد، وكانت في بقية الأيام اختيارية ويعد إنشاد تلك القصائد تبرعاً أو هدية من المؤذن إلى سامعيه يوم الخميس خاصة.

لقد طويت عادة إنشاد القصيدة قبل صلاة العصر لسببين: أولهما قلة الأصوات المتميزة بين المؤذنين، وثانيهما أن السماع قد تعددت مصادره من أشرطة مسجلة وإذاعة وتلفزيون واسطوانات /CD/ ولم يعد الناس يشعرون بالحاجة إلى مؤذن يمتعهم ببيتين من الشعر الجميل، يؤديهما بصوت عذب، فقد اختلفت الأذواق، وعدمنا الأذن الناقدة التي تميز الغث من السمين!!

يضاف إلى ذلك ما ينشده المؤذن . حتى الآن . قبل أذان الظهر من أيام الجمعة إذ يفتتح المؤذن بآية من القرآن الكريم (إن الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما)، يتبعنها بقصائد في مدح النبي والتوسل به، ويسبق الأذان بصلوات على النبي . مرات متعددة حتى يحين وقت

الأذان وقد يتلون قصة المولد بناء على طلب أحد الجوار أو تبرعاً من المؤذن.

ولقد استمتعت بسماع بعض هذه القصائد من عدد كبير من منشدي حلب ومؤذنيها على مدى خمسين عاماً ونيّف

المولد النبوي الشريف:

قد يكلف أحد قاطني الحي المؤذن بتلاوة قصة المولد على المئذنة، وذلك في مناسبة اجتماعية خاصة مثل نذر أو نجاح أو شفاء مريض أو حمل بعد انتظار أو ولادة صبي بعد عدد من البنات أو في ذكرى وفاة عزيز وغير ذلك من المناسبات، فيصعد المؤذن المئذنة قبل وقت أحد أذاني الظهر أو العشاء، ويبدأ بالبسملة ثم يتلو ما يسمى بالتعطيرة، ومطلعها (الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية)، يتبع ذلك إنشاد أبيات في مدح النبي، وينحصر تجاوب المستمعين من سكان الحي حينئذ- بما أنهم غير متواجدين تجاهه - في الصلوات على النبي دون إنشاد أو قراءة، (وسيأتي تفصيل لحصة المولد الجماعي لاحقاً).

مهام أخرى للمؤذن:

قد يطلب من المؤذن أن يعلن لنساء الحي أن عليهن التستر لأن عمال الصيانة في شركة الكهرباء سيصعدون على الأسطح لإصلاح عطب فني في الأسلاك العالية، وهذه مهمة لم تكن موجودة قبل عام ١٩٢٩م ومقتصرة على الأحياء التي بنيت دورها على الطراز العربي المتميز بفسحة سماوية مكشوفة. وقد يطلب إليه أيضاً أن يخبر أن أحداً وجد شيئاً ثميناً "محفظة نقود أو حلياً أو شيئا ذا قيمة" وأن على صاحبها أن يأتي لأخذها بعد أن يبين مواصفاتها، أو العكس كأن يفقد أحد شيئاً قيّماً فيعلن أن لمن يجده مكافأة مجزية، وقد يعلن عن فقد طفل أو طفلة، وهكذا نرى أن المئذنة كانت بمثابة لوحة إعلانات أو صحيفة بل هي أسرع منهما في الوصول إلى الأذان بحيث تفضل حتى الإذاعة أو التلفاز.

أذان الميت:

استعرضنا الأداء الفردي الذي يقوم به المؤذن لكن هناك أداء جماعي في مناسبة خاصة هو أذان الميت الذي ينشده مؤذن الجامع مع نفر من غير المختصين، ويدعى ذلك بالجوق من "الجوقة" أي المجموعة ويُشارك فيها خادم الجامع أو أحد جيران الميت ممن له محاولات غنائية وسابق تجربة في الأداء بالإضافة إلى طفل. ووجود الطفل هنا يسبغ سحابة من التلطيف على الأصوات الغليظة، أو يذكر باستمرار الحياة في موقف الإعلان عن الموت.

ولم أجد لهذا الأذان في لحنه مثيلاً في أي من المدن الإسلامية. ولست أدري من أين أتى به أهالي حلب، هل هو لحن متوارث؟ أم منقول عن ثقافات أخرى؟ أو أن أحد الحلبيين ابتكره ثم حفظ عنه؟

ينقسم أذان الميت إلى أقسام ستة:

١- الإعلان عن وفاة "فلان" من سكان الحي ثلاثاً بقول المؤذن: (الفاتحة إلى روح المرحوم...) بدون لحن، ثم فاصل بعد كل مرة لقراءة الفاتحة.

٢- آيات من القرآن الكريم تذكر بالموت، وتنصح بعدم الاغترار بالدنيا يفتتحها بتسبيحات (سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي القوة والجبروت) ترد المجموعة بعد كل تسبيحة: (مولاي يا الله كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. ثم يضيف: "عجلوا بالصلاة قبل الفوت، وبالتوبة قبل الموت).

بعد كل وقفة يَردُ الجماعة: "مولاي" ممتدة ثم "يا الله" و هذا القسم من مقام "العجم". وقد ينشد المؤذن بيتاً أو بيتين في معرض الاستغفار وطلب الرحمة من الله، وترد عليه المجموعة بنفس الألفاظ واللحن.

ومن الأبيات التي تنشد شعر للسيد أبو الهدى الصيادي:

يا ربّ هيئ لنا من أمرنا رشدا

واجعل معونتك العظمى لنا سندا

وافتح قلوباً لنا بالحزن قد غُلقت

يا من إذا شاء إعطاء المنى وهبا

ندعوك بالرحمة العظمى التي سبقت

من عالم الأمر شأن السادة النجبا[1]

يسِّر أموراً أردناها وجُدْ كرماً

بمحض فضل فلم نقضِ الذي وجبا

٣- ينتقل المؤذن في القسم الثالث إلى مقام الحجاز في جملة وحيدة (الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله) فترد عليه المجموعة بجملة لحنية من مقام "العجم كرد"، بالكلمات التالية (عليك صلوات الله من الله وعليك السلام).

٤- صلوات على النبي (صلى الله عليه وسلم) يقطعها على النحو التالي (الصلاة.... والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله)، وسواها ويُرد عليه (عليك صلوات الله من الله وعليك السلام). خلال تعداد فضائل الرسول، يرتجل في مقام "البياتي" بألحان متعارف عليها بين المؤذنين.

٥- خامس الأقسام ختام يقول فيه المؤذن: (عليك وعلى آلك وأصحابك وآل بيتك) فترد عليه المجموعة (أجمعين، أجمعين والحمد لله رب العالمين) على مقام "الحجاز".

٦- الإعلان مرة أخرى عن اسم المتوفى (بقوله الفاتحة...) وطلب الرحمة له، كما في قسم الأذان الأول.

هذا ما جادت به الذاكرة من إنشاد المآذن في حلب، ولعل المجال يتسع للحديث عن ألوان أخرى من الأداء الديني الجماعي وحفلات المولد والذكر في مقال قادم.■

١- حركت القافية بالفتح لضرورة الشعر.

الشّناشيل والعديّات
في أشعار الأمّهات

عمر الدقّاق*

الأم بطبيعة الحال هي المحور أو المصدر الذي تنبثق منه وتدور حوله الترقيصات والتنويمات والأدعويات، وسائر المقطّعات الشعرية المُغنّاة. وسواء أكانت الأم في مخدعها أم في مطبخها أم في صحن دارها، فطفلها ماثلٌ أمامها، أو محمول على ذراعيها، أو زاحف أمام عينيها، فهي لا تكاد تفارقه، وهو لا يكاد يفارقها. إنها لا تملّ صحبته، ولا تسأم رؤيته، وهي تحرص دومًا على أن تخاطبه وتداعبه، وتسلّيه وتضاحكه. وما أبهى أن تتملّى ملامحه وتتصبّح بطلعته، وإذْ يتم لها ذلك تستبشر بما سيكون في يومها بعدئذ من خير وما سيعمّ من بركة.. ويطيبُ لها عندئذ أن تترنّم بهذه الكلمات المتفائلة أمام سرير صغيرها أو صغيرتها[1]:



صباح الخير كلّهْ
على مهدك وجلّه[2]
واللي ما يتصبّح بوجهك
ما يشوف الخير كله

---

* عميد كلية الآداب بجامعة حلب سابقًا.

١- أشعار الترقيص عند العرب، سعيد الديوجي ٤٣.

٢- جلّه بتشديد اللام: ما يجلّل به السرير من جلالة وغطاء، وهو في العربية الفصحى (الكلة) بكسر الكاف. وقد وردت الكلمة بهذا المعنى في شعر النابغة الذبياني وهو يتغزّل:

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

وحين تصير هذه الأم إلى مطبخها ويصحبها طفلها، لا يلبث حتى يشعر بقدرٍ من الضيق بل الضجر، لأنها قد أهملته قليلاً، أو انصرفت عنه إلى مشاغل أخرى لا تهمه ولا تعنيه. وإذ ذاك تنعطف إليه بحنان، وتعمد إلى مناغاته، وكتلة البرغل بين يديها، حيث تدأب على تدويرها وإنجاز أكلة الكبة المفضّلة. إنها تقول بإيقاعٍ محبب[1]:

كب كبيبة يا فارة   ابني ابن الإمارة
وابني جنة في بيتي   وابني بنوّر هالحارة

وليس بمستغرب لدى الأم في هذه الترقيصة وأمثالها أن يتراءى ولدها في عينيها واحدًا من نسل الأمراء، وأنه ينطوي بين عطفيه على ريح الجنة في هذه الدار المتواضعة، وأنه أيضًا يغمر الحارة ومَن فيها ببهاء نوره.. وهكذا، ومن منطلق غريزة الأمومة الراسخة بما فطرها الله على حبّ وليدها، فإن الأم لا تعدل بابنها كنوز الأرض، وهو في نظرها اليوم، كما كان شأنه معها بالأمس، أغلى شيء في الوجود:

تسوى العرب والديرة[2]
تسوى الدنيا شرق وغرب
تسوى كل العشيرة
تسوى كنوز الجوّا الأرض

وسواء أكان المولود ذكرًا أم أنثى، فالولد يبقى في عين أبويه فلذة الكبد وقرّة العين، ومبعث البهجة والسعادة، ومعقد الأمل والرجاء.

ومن المعهود أن تعايش الأم وليدها يومًا بعد يوم منذ أن يرى النور. إنها ترضعه من ثديها، وتمنحه حنانها، وتؤثره بعنايتها. وهي تترقب في كل حين باستبشار أن يجود عليها ببسمة، أو ينطق بحرف.

على أن الفرح الغامر إنما يتجلى لدى الأم وسائر أعضاء الأسرة حين يمر الولد بأطوار نموه المتسارع، كأن يبدأ بنطق بعض الأصوات أو الكلمات المحببة تجاه الأقربين، مثل: ماما، وبابا، ودادا، ونانا...

وحين تنبت أسنان الطفل يكون هذا حدَثًا سعيدًا يُضفي البهجة على القلوب. إنه يستحق الحفاوة، وعلى الأهل الآن إعداد أطباق (السليقة)، أي حبات القمح المسلوق، تعلوها قوالب السكر المخروطية ذات الألوان الزاهية. والسليقة، فيما يبدو، رمزٌ جميل لهذه الأسنان الصغيرة النابتة التي تشبه مثيلاتها من حَبّات القمح المباركة، وهذا طقسٌ مُحَبَّب يُمارسه الأهل عادةً في هذه المناسبة السارّة. ومن الترقيصات الذائعة على ألسنة الأمهات في حلب قولهنّ[3]:

عبدو عبيد   سنانو بيض
بقرط قرط البراغيد[4]

١- موسوعة حلب المقارنة، الأسدي ٦٠/١، مادة ابن آدم ٣٨/١.
٢- الديرة أي المنطقة. والعرب يُراد بهم هنا البدو أو الأعراب. وهذه الترقيصة من موروثات أهل الموصل بالعراق.
٣- موسوعة حلب المقارنة، الأسدي، مادة (أبيض) ج٥١/١.
٤- البراغيد هي البراغيث، والمفرد برغوث، ويلفظها الناس برغود. والمعنى أن الطفل قوي الأسنان شديد القضم حين يأكل كما تفعل البراغيث.

أمـا الطـور الآخـر والأهـم في حيـاة الطفـل فهـو وقوفـه علـى قدميـه وتأهّبـه للمـشي. وهـذا أيـضًا حـدَثٌ بـارز لـدى الأهل، جدير بأن يغمر البيت بل الجيران في الحـارة بالبهجـة والسـرور. وطبيعـي أن تغـدو الأم في تلـك الأيـام في أوج سـعادتها. ويستدعي ذلك انطلاق الحناجر بِكَمٍّ وافرٍ مـن الهـنهونات والزغاريـد، ومـن الأغـاني والأناشـيد. وقـد تُعَبِّـر إحـدى الأمهـات عـن لهفتها علـى رؤيـة ذلـك اليـوم، حـين يصبـح ولدها قادرًا علـى المشـي، حتـى إنهـا تنـذر لـه النـذر الـذي يليـق بـه، وتتغنّـى وهـي ترقّصه بقولها:

ربي يوم اللي يمشي

لادبح له خروف محشي

ويبـدو أن هـذه الأم سـرعان مـا اصـطدمت بواقعهـا البـائس، فاسـتأنفت قولها مسـتدركة، ومعتـذرة بفقرهـا، قانعـة بما قُسِمَ لها:

ربي، ربي لا تواخذني

فقيرة أنا، وما عندي شي

والأمهات في أغلب الأحيان يتعجّلن مشي أولادهنّ، ويترقّبن بشوق قدوم هذا اليوم. غير أن هواجسهنّ تشتدّ ومشاعر القلق لديهنّ تتزايد عندما يتأخر الولد في المـشي. وحينئـذ قـد تـذهب الأم بـه إلى الشيخ عساه يحقق لها مناها، إنها تمسك بـذراعَي طفلها مـن تحـت إبطيـه، وتـشرع في تلويح جسده وهي تقول له[1]:

شيخ منخل، يا شيخ منْخُل

عليك اليوم أنا بَدْخُل

ربي يمَشّي لي أحمد

لأجبْلَكْ طَبْخِة برغل

ومـن متممـات الحفـاوة بـالمولود الجديـد، ولاسـيما في ريـوع الفـرات، أن تخـيط الأمهـات للـصبي ثوبًـا فـضفاضًا طويل الأكمام، ليبدو فيه أكبر من عمره وكأنـه قـارَبَ أن يكـون رجـلاً. وثوبـه هـذا يكـاد يكـنس الأرض. وعنـدئـذ تتغنّـى أمـه وتصفق وهي ترقّصه بجذل[2]:

ددن، ددن، ددنّك

قشّ البيت بردنّك[3]

ولّما تفت الفتيتة[4]

حلو، وما أطيب دهنك

ومازالـت بعـض الأسـر تحتفـل بهـذه المرحلـة مـن حيـاة ولـدها، كمـا تحتفـل أيضًا بمناسبة ظهور أسنانه، وأيضًا بيوم ختانه... إلخ. ففي العراق وحوض الفرات حين يشرع الطفل بالمشي تعمد أمه إلى تزيينـه بالجنجـل أو الجناجـل، أي بالجلجل والجلاجل، بحيـث يـسمع أهـل الـدار صـوت الجـرس في كـل خطـوة يخطوهـا، فيكـون لهـذه الأصـوات أعـذب

١- مروية عن الدكتور أحمد زياد محبك.

٢- أشعار الترقيص عند العرب ٦٦.

٣- الردن: طرف الثوب.

٤- الفتيتة: تصغير الفتّة، ومثلها الكبيبة تصغير الكبّة، أكلة شائعة يُفَتّ فيها الخبز المُقَطَّع داخل المرق أو اللبن.

وقع على الأسماع. وعندئذٍ يطيب للأهل المبتهجين أن يُطلقوا على ولدهم (أبو الجناجل)، والأم تغني لولدها الأثير وترقصه ببهجة غامرة[1]:

حس الجنجل[2]، نادى المنادي

حسّ الجنجل، أحيا فؤادي

سمعت الجنجل، وأنا أتعشّى

خلّيت العشا، وقمت أنادي

ولأهمية هذه المناسبة قد يعمد بعض الأقربين من الأهل كالجدة والعمة والخالة إلى إهداء الطفل الماشي هذه الجناجل أو بعض النقود. ويسعدهنّ عندئذٍ أن يسمعن صوت جناجلهنّ كلما عاودنَ الزيارة.

ومن عادات الأسر الحلبية أيضًا أن الطفل حين يشرع في المشي يحتفل أهله بهذه المناسبة، فيشوون المعلاق، وقد يوزّعون على بعض جيران الحارة رغيفًا مع سيخين لكل بيت من هذا المعلاق تعبيرًا عن فرحتهم بهذا الحدث السعيد.

وقد غدا من السائد لدى كل أم عربية تقريبًا، وهي ترى طفلها يحاول الوقوف والخطو أن تغنّي له هذه المقاطع الجميلة التي ذاعت في ربوع سورية ولبنان وسائر بلاد العرب[3]:

دادي يا الله يا الله

دادي يا ما شا الله

دادي يا قرين الفول

دادي يسلَم هالطّول

وتزيد بعض الأمهات في حلب على ذلك قولهنّ:

دادي شطّة بطة

إن شا الله تمشي القطة

دادي خاروف محشي

إن شاء الله ابني يمشي

ولورود القطة في هذه الترقيصة دلالة اجتماعية طريفة، فالقطة، هذا الحيوان الأليف الجميل، تكاد تكون واحدة من أفراد الأسرة، ولاسيما لدى الجيل السابق الذي كان معظمه يعيش في البيوت العربية القديمة ذات الصحون المكشوفة، فالقطة هي الحاضر الغائب، فلا يستغنى عنها في كل بيت. إنها تؤاكل الأهل وتشاربهم، كما تدفع عنهم أذى الفئرات والجرذان وأيضًا العقارب والأفاعي، وهي فوق ذلك المؤنسة والمحبّبة التي قد تعلو منزلتها إلى حدّ مشاركة بعض الصغار فراشهم. ومن هنا كَثُرَ تشبيه الأمهات لولدهنّ بالقطعة، أو (البيسة) بلغة الصغار. ومن هذا القبيل

١- أشعار الترقيص عند العرب ٦٤، والجناجل محرّفة عن جلاجل.

٢- جنجل أي جلجل وهو الجرس الصغير، ولعلها أقرب إلى الشناشيل أو (الخلاخيل) التي تزدان بها أرجل الأولاد ولاسيما البنات وتصدر عنها أصوات مختلفة عند المشي.

٣- وردت هذه الأشطر في موسوعة حلب للأسدي باعتبارها متداولة في حلب، مادة (دادات) ١١/٤، كما وردت في مرويات سعيد الديوجي في كتابه أشعار الترقيص عند العرب ص٦٨ باعتبارها أيضًا متداولة في الموصل وسائر مدن العراق، والعراقيون يلفظونها (تاتي).

أيضًا ما تغنّي الأم الحلبية لولدها وهي ترقّصه بجذل، ممسكةً بكلتا يديه، ومُؤثِرَةً إياه على البيسة المُنافسة، ولعلّها تُغريه بذلك كي يقبل بتناوُل طَعامِه[1]:

حجّ الله يا حجيج الله

دبس وسمنة بالجرّة

باكُل أنا والببو

والبيسة تطلع برّا

والبيسة، أي القطة، هذه المخلوقة الأليفة، محببة أيضًا داخل الأسرة اللبنانية، ولها حضورٌ سائد في قطاعات شعبية عند عامة الناس، حيث تتجلى في ترقيصاتهم وتنويماتهم وفي أدعوباتهم وعديّاتهم.

والعديّة لونٌ طريف من الفولكلور اللبناني، وهي أغنية شعبية خفيفة يَرِد في مطلعها غالبًا فعل العَدّ أو ذكر العدَد، وتُلقى على مسامع الأطفال بمقاطع واضحة النبرات، مسربلة بالمرح والخفّة وحلاوة النغم. ومن أجمل نماذج العديّات اللبنانية "عديّة شيخ البسينات" أي زعيم القطط، وفيها تشكّل هذه البسينة أو هذه القطة الماهرة محور أقصوصة بسيطة أو أحدوثة شعرية، من مقاطعها[2]:

تعو نمشي نعدّ بيات

على شيخ البسينات

ع خبزاتي ربّيتو

أكل لي كل الجبنات

قمت حملتو ووقّعتو

وعند القاضي شارعتو

أكل أغلب موناتي

بيتحسّس من عقلاتي

وبينبش كل المخبايات

* * *

ومن طباع بعض العامة في حلب أنهم يشعرون بالقلق حين يتأخر الطفل في النطق والتكلّم. وعندئذٍ قد تذهب الأم المهمومة إلى جامع زكريا، أي الجامع الأموي، وتضع هناك أمام الضريح عدة ملبّسات في يوم الخميس، ثم تعود في اليوم التالي بعد صلاة الجمعة، وتستعيد حبات الملبس المباركة، وتبدأ بإطعامها للولد، آملَةً أن يخرج عن صمته ويبدأ بالكلام. كذلك قد تلجأ الأم القلقة إلى خادم هذا الجامع ليعالج الولد ويشفيه، كما يعتقد أهل الحي، وعندئذٍ يمارس الرجل عمله المعهود بأن يتناول مفتاح ضريح النبي زكريا، ويدخله في فم الصغير، ثم يُديره يمينًا ويسارًا قاصدًا في زعمه أن تنفكّ عنه حبسة الكلام[3].

هذه المجتمعات العربية كانت تسودها في العقود الماضية من السنين بساطة العيش، وغنى النفس. وأكثر الناس كانوا متآلفين متحابّين، يسمرون ويمرحون داخل بيوتهم، وبين أقاربهم

١- موسوعة حلب المقارنة، خير الدين الأسدي، مادة (دبس) ٤/٢٤.
٢- أورد أحمد أبو سعد مقاطع من هذه العديّة وعلّق عليها في كتابه "أغاني ترقيص الأطفال عند العرب"، ٣٦-٣٧.
٣- من مرويّات الدكتور أحمد زياد محبك.

وجيرانهم، وفي حاراتهم أو بساتينهم. وذلك قبل أن تقتحم حياتهم المعاصرة أدوات اللهو والطرب، وأجهزة البث والتصوير، ووسائر منجزات التكنولوجيا الباهرة. وكثيرًا ما كانت تنعكس ملامح من تلك الحياة في المواويل والأزجال، والترقيصات والحكايات، ومن أمثلة ذلك هذه الأغنية المفعمة بالمرح والتراحم وبالقناعة والرضى[1]:

دخلك دخلك دخلك بس

ميّة نعنع بين الخس

وللي قلبها بيوجعها

يشمّا شمّه ويقول: بس

* * *

كثيرًا ما تنطوي أشعار الترقيص على ملامح عصرها وبيئتها، وتعكس أيضًا وجوهًا من حياة الأسرة العربية ومهمة الأب والأم والأخت فيها. والأب، وهو رب الأسرة الشرقية ومعيلها، وراعيها وحاميها، محكومٌ بالعمل الدؤوب، وعليه أحيانًا أن يسافر أو يرحل طلبًا للرزق، وسعيًا وراء مستلزمات العيش. أما الأم الصابرة فليس عليها سوى انتظار عودة زوجها الغائب، وليس لها من أنيس إلاّ ولدها الحبيب. إنها ترقصه وتغنيه، وتمنّي نفسها وتمنّيه، إلى أن يرجع الأب إلى عشّه سالمًا غانمًا[2]:

تعال يا بابا، تعال

جيب لنا عبّك مليان

جيب الفستق والبندق

جيب لنا كعيب الغزلان

وقد يغيب الأب لأداء فريضة الحج في البقاع المقدّسة بالحجاز، والزوجة الصالحة تعدّ الأيام مع ولدها حتى يعود إلى أسرته وبلده، وينعم الجميع بحلاوة اللقاء واجتماع الشمل. وخلال ذلك يطيب للأم المشتاقة أن تغني طفلها وهي تناجي القمر المطلّ على شبّاكها في هذه الترقيصة[3]:

يا قمر يا دهرجي

سلّم عالبابا ليجي

ثم تُشيد برب البيت وتدعو له بالتوفيق:

خاتمو بخنصرو رب الكون ينصرو

وثمة أم أخرى متضايقة من حالة الوحدة التي تعانيها مع ولدها، ومن غربتها أيضًا في بلدها طوال مدة غياب الأب في بلد الحج، وهذا ما تعبّر عنه وهي ترقّص ولدها قائلةً:

تستك تستك تستاني

را عالحج وخلاّني

خَلاّني ببيت الجيران

يا ربي لا تنساني

١- من مرويات الدكتور أحمد زياد محبّك.

٢- أشعار الترقيص عند العرب ٧٩.

٣- من مرويات بعض الأهالي بحلب من أسرة الذاكري.

وكما يغيب الأب عن بيته بقصد العمل أو الحج أو سوى ذلك، قد تغيب الأم أيضًا عن بيتها لقضاء بعض شؤونها أو القيام بزيارات لبعض صويحباتها. وكثيرًا ما تنوب الأخت عن أمها الغائبة في رعاية أختها الصغيرة إلى حين عودتها إليهما. غير أن الطفل قلّما يأنس بأخته حين تكون أمه بعيدة عنه. كما أن الأخت بحكم فتائها غير مؤهّلة لتسدّ مسَدّ أمها. إنها تحاول تهدئة أختها قدر استطاعتها بضيقٍ شديد وصبرٍ نافد، وتعمد إلى ترقيصها على مضض وهي تُنشِد متبرّمة[1]:

تس تك، تس تك تستكها

راحت أمّا وخلّتها

خلّتها تبعَق جنبي

والمصّاصة نسيتها

ومن خصائص أشعار الترقيص في عصرنا الحديث، ولاسيما على صعيد المضمون، أنها تتناول أحيانًا القضايا الاجتماعية وشؤون العيش، وفي مقدمة ذلك قضية الفقر والغنى. وهذا المنحى قلّما نعهده في أشعار الأقدمين. ولمّا كان الفقر غالبًا على شعوب الأمة العربية وعامة الناس في الوطن العربي غدا طبيعيًا أن ينعكس ذلك في أشعارهم وأمثالها وأزجالهم ومواويلهم وسائر فنون القول لديهم. وكان يطيب لبعض الأمهات أن يُطلِقنَ لتصوّراتهنّ العنان، فيحلمن بتحقيق تمنياتهنّ بامتلاك ما شئن من مال وعقار، وذلك على جناح الخيال بعيدًا عن واقعهنّ المعيش. وإذا كان الثراء قد فات الأم فعسى أن يبسم الحظّ للولد أو البنت في قابل الأيّام، حين يكثر المال الوفير، ويتحقق الزواج السعيد..

وفي ضوء ما تقدّم يتجلّى لنا كم من أم أطلقت لأمانيها العنان، وأمّلت بأن يصبح ابنها ابن الإمارة، أو تصورت ابنتها عروسًا لأحد الباشوات أو الوجهاء، وأخرى غدَت زوجًا لأحد الولاة أو الحكّام، ومن حولها ستة أو سبعة خدّام.. وثالثة ستكون ثرية وتمتلك الكروم والخانات والدكاكين والبيوت.. ورابعة سوف يهرع السلطان إلى خطبتها من أبويها..

غير أن الأم العربية بوجه عام تتحلّى بالقناعة والرضى، في جملة ما تتحلّى به من تفانٍ وإخلاص، وتضحية وإيثار.. ولهذا بدَت نظرتها إلى أمور العيش وشؤون الحياة في أكثر الأحيان واقعيّة مسربلة بسنا التفاؤل وألق الاستبشار، كذلك أيقنت أنه لا مفرّ للأمّهات في حياتهنّ من البقاء ضمن الواقع المعيشي في منأىً عن بريق الأحلام وزيف الأوهام. وهذه النظرة القانعة في حقيقة الأمر رؤية فلسفية ذات شأن تجاه حقائق الحياة ترتكز إلى نفس مطمئنة راضية.

من هذا القبيل قول إحدى الأمهات في ترقيصة وجيزة تفاضل خلالها بين المال والبنين، ولا تتردد في إيثارها

١- موسوعة حلب المقارنة، الأسدي، مادة (بعق) ١٤١/٢، وأيضًا مادة (مَصّ) ١٢٨/٧.

الولد، فلذة الكبد[1]:

المالُ بيتعبّا في الجيوب

والولد مفتاح القلوب

وفي رأي أم أخرى أنه ليس بوسع أي مال مهما يكن قدره أن يطرف عين الأم ويصرفها عن شغفها بولدها، إنها تغنّيه وترقّصه بسعادةٍ ورضىً[2]:

خلّي المال يولّي

لا يونّس ولا يسلّي

أمّا كيف يكون ذلك، فهو في رأيها أن:

كل بوسة من المدلّل

بتسوى ملْك العثمنلي

إن سعادة الأم بولدها غامرة في كل حال. وهي، برغم فقرها، قانعة بما رُزقَت، راضية بما أنعم الله عليها. وكَم طاب لها في بعض أيام الشتاء الباردة في حلب مثلاً أن تعمد إلى ترقيص صغيرتها بمثل هذه الكلمات البسيطة، الحافلة بالإيقاع المطرب[3]:

حوحو حوحو يا بردي

قشة حطب ما عندي

عندي بنيّة غندورة

بتضرب لي بالطنبورة

طنبر طنبر طنبركي

رب السما ينصركي

* * *

وكما عكست أشعار الترقيص جوانب من حياة الناس الاجتماعية فقد انطوت في الوقت نفسه على ملامح جليّة من عصرنا وزماننا، ولا سيما في القرون المتأخرة من تاريخ العرب الحديث حين كانت معظم أقطار المشرق العربي واقعة تحت راية الأتراك العثمانيين. ومن هذا القبيل كلمات وعبارات وأشطر تُشير بوضوح إلى هذه الحقبة السياسية التي وضعت مياسمها على كثيرٍ من مظاهر الحياة في بلاد الشام بوجه عام، تبعًا لامتداد الحقبة العثمانية أربعة قرون من الزمان (١٥١٦ - ١٩١٨). وكانت حلب الواقعة في أقصى الشمال أقرب المدن إلى تركيا وأكثرها احتكاكًا بالأتراك في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتجارية، فضلاً عن دخول كثيرٍ من الكلمات العربية في اللغة التركيّة..

وقد ورد في العديد من الترقيصات والزغرودات والهنهونات ذكر كلمات "الباشا، والسلطان، والسراي، والعثمنلي..." وذلك ضمن أشطر من نصوص الترقيصات التالية:

كبيبة مين كبكبها

إجا "السلطان" وطلبها

وقول الأم لابنتها:

ويعزملك أهل "السراي"

١- أشعار الترقيص عند العرب ٨٨.

٢- أشعار الترقيص عند العرب ٦١.

٣- موسوعة حلب المقارنة، الأسدي، مادة (حوحو)، وأيضًا مادة (برد).

وقولها أيضًا معتزّة بولدها:

يسوى ملك "العثمنلي"

وقولها أيضًا في كلمات تركية صريحة:

جانم جانم بالتركي

أحمد باشا ناطركي

وفي بعض المواويل والترقيصات القليلة أو النادرة ما يُشير إلى مرحلة سياسية معينة عاشها أهل سوريا ولبنان قبل نحو قرن من الزمان في أواخر الحكم التركي وأثناء الحرب العالمية الأولى، وذلك حين أسفر حكّام الآستانة عن وجههم العنصري وراحوا يبطشون بطلائع الوطنيين العرب الذين كانوا يعملون بدأب لنيل الاستقلال والحرية. وكان جمال باشا حاكم سوريا العسكري قد اضطهد أحرار البلاد وزجهم في السجون، ثم ساق طليعتهم إلى المشانق في ساحات الشهداء ببيروت ودمشق خلال أيام حزينة من عامي ١٩١٥، ١٩١٦ فيما يعرف بإعدامات أيار.

وبصدد هذه المأساة الأليمة، ومن أعماق أم نكبت بأولادها على يد جمال باشا السفاح انطلقت أشطر قليلة مفعمة بالأسى الدفين والحزن الواري[١]:

بلدي يا بلدي

وجمال قتل ولدي

بلدي بتلات بلاد

راح لي فيها تلات أولاد

وعلى صعيد آخر لا تخلو المواويل الحلبية أيضًا والترقيصات وما إليها من وجود عبارات دينية كانت تتردد في حلقات الذكر والتكايا، أو في بعض المحافل وليالي السمر في حلب، من مثل ما تشير إليه بعض الترقيصات ذات النزعة الصوفية، كالشاذلية والكيلانية والرفاعية والنقشبندية: وقد عبرت عن ذلك إحدى الترقيصات حول منزلة الأسرة الرفاعية العريقة في حلب[٢]:

نتّي نتّي نتّييّه　　يا سكّان البريّة

ياللي واقع بالشدّة　　ينده: يا الله رفاعية

❖　❖　❖

وللبيئة المحلية والمعالم المكانية حيز واضح في نصوص الترقيصات والتنويمات، وأيضًا في متون المواويل والأزجال. وكثيرًا ما تعكس مقطعات الأشعار المرقصة جوانب أصيلة ومتوارثة من حياة المجتمع الشرقي في الأيام السالفة. وذلك داخل الحارات الشعبية، والدور العتيقة، وكل ما تنطوي عليه تلك الحياة البسيطة من رضى واطمئنان. وهي في معظمها صور حية، سادت زمنًا ثم بادت. أما اليوم فلم يبقَ منها سوى إشارات من مظاهر العيش الماضية، لا تكاد تعيها الأجيال الشابة المعاصرة، في ظلّ التغيرات والتحولات الاجتماعية الراهنة.

١- من مرويات شفهية صادرة عن أحد أعلام أسرة الذاكري بحلب.

٢- من مرويات شفهية ذكرتها السيدة ندى الرفاعي.

ومن هذا القبيل ما ورد في إحدى الترقيصات على لسان أم حلبية تشير فيها إلى بعض أدوات المطبخ وتكوين باب الدار الذي لا يُقفَل إلاّ في الليل، وبوسع الأقارب والجيران ولوجه برفع السقاطة الجانبية إلى الأعلى من الخارج، وكان في هذا تيسير على ربة البيت، حيث تريح نفسها من القيام وفتح الباب كلما طرقه طارق، وليس إلاّ إسماع صوتها إلى القادم ثم تدعوه للدخول إذا شاءت، كأن تقول ببساطة متناهية ومن داخل دارها بصوتٍ عالٍ[1]:

بإيدي علّقت (المنخل)

اقليب (السقّاطة) وادخل

كذلك يرد في ترقيصة تالية ذكر لأداة منزلية أخرى ما تزال سائدة ومعها اسمها في مطابخ الأسر الحلبية وهي (الجمجاية)، وهي أشبه بملعقة كبيرة يغرف بها المرق والرز والبرغل ونحوهما:

تس تك، تس تك، تستايه

وبعرسك لاطبخ رشتاية[2]

وإن عيّروني الجيران

لاضربهن بالجمجاية

وعلى هذا الصعيد أيضًا تتضمن الأشعار المرقصات لدى الأمهات العربيات صورًا حية أخرى من حياة الناس وسيدات البيوت، وما كنّ يعملنه بدأب في مطابخهنّ، حيث يهيّئن المآكل الشهية التي ما يزال العديد منها يتربّع على المائدة المعهودة، وفي مقدمتها أكلة (الكبّة) بأنواعها و(المحشي) أيضًا بأنواعه، وكذلك الرشتاية والمجدّرة، فضلاً عن الحلويات اللذيذة التي امتاز بها المطبخ الحلبي مثل الهريسة والكنافة والزردة والمأمونية والقطايف والكرابيج المغمسة بالناطف..

تلك هي كانت حياة الناس، قناعة ورضى، ودفء ومحبة..■

في العدد القادم

ملحمة أقهات الأوغاريتية

١- موسوعة حلب المقارنة، الأسدي مادة (سقط، سقى) ٤/٣٥٩.

٢- المصدر السابق، مادة (رشت) ٤/١٦٥.



آثار جغرافيّة في حلب

عبد الرحمن الكواكبي*

إن في حلب بعض آثار جغرافيّة مهمة نرى لبيانها لزوماً لأجل تصحيح تاريخ آثار جغرافيّة. فمن ذلك صحراء "سوق الجمعة"[1] وأكنافها وهي صحراء واسعة متوسطة في المدينة تشبه صحراء المغرب[2] في توسطها افريقيا، ومحيطها نحو أربعين كيلو متراً وفيها سلسلة جبال تحاكي جبال أورال[3] في ارتفاعها وهي متكونة من أوساخ المدينة ولم يمنع من تجسمها وارتفاعها ما تحمله عواصف الأهوية[4] منها وتمطر على رؤوس سكّان المدينة، لأن كثرة ما هو متّصل الورود[5] عليها من الأوساخ يعوض النقص، بل ويزيد، ولشهرة هذه الصحراء لا حاجة لتحديدها. ومن تلك الآثار أخرى أيضاً هي "بحيرة الكلاسة"[6] وهي مستنقعة تتكون من اجتماع مياه

* مفكر عربي نهضوي، وُلد في حلب (١٨٥٥ - ١٩٠٢)م. صاحب كتابَي: طبائع الاستبداد وأمّ القرى. وصحيفتَي "الشهباء" و"اعتدال".

١- قديماً أهم سوق أسبوعي في حلب، تعرض فيه صنوف البضائع يوم الجمعة من كل أسبوع. وقد أقيم في القرن الخامس عشر الميلادي لتأمين حاجيات جنود القلعة. لم يزل قائماً إلى الآن، ولكن موقعه في تحوّل مستمر.

٢- المغرب اسم أطلقه الجغرافيون على شمال أفريقيا الشامل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، وهي منطقة شهيرة بصحرائها الواسعة.

٣- جبال في روسيا تمتد نحو ٢١٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب بين أوروبا وآسيا، أعلى قممها نارودا ١٨٧٠م.

٤- جمع هواء.

٥- مصدر ورد بمعنى وصل وجاء.

٦- من حارات حلب، خارج السور القديم وسميت بالكلاسة لأن فيها أتاتين الكلس، وأكثر سكانها يعانون حرفة الكلس وقطع الحجارة من مقاطعها، ونحتها، وبنائها.

القاذورات، ومساحة وجهها يبلغ نحو ألف متر أو يزيد، وموقعها في الجهة الغربية من المدينة وهي محدودة شرقاً بسور المدينة، وغرباً بمنتزه رئيس دائرة البلدية الأولى (عزتلو زكي بك) وجنوباً بمحلة الكلاسة وشمالاً بطريق عام وقد كان ظهور هذه البحيرة منذ ثلاث سنين، غير أن في هذه الأيام نضب ماؤها، ولا نعلم هل ذلك من شدة حرارة الصيف، وهو الغالب، أم من ثمرة دائرة البلدية الثانية؟ وعلى كل حال، فقدت المدينة بذلك ما يكسبه الهواء من الجودة فيمتزج ببخارها المتصاعد منها.

ومن الآثار أيضاً "مزابل الحمامين" التي هي، في جسامتها وارتفاعها وشكلها المربّع أو المستدير، تحاكي أهرامات[1] مصر المشهورة، وهي تتكون من "الروث" الطري ويتسلق على هذا الشكل لأجل التجفيف، ولها فائدتان للمدينة: الأولى بخارها والثانية دخانها الذي ينشر في سماء المدينة فيظللها ويلطف عنها الحرارة صيفاً والبرد شتاء!!

وهذا كله من بعض فضل دائرتيّ البلدية على أننا إذا أردنا تحرير تاريخ لأعمال تلكما البلديتين في حلب، فلا يسعنا أن نكتب بعد هذه الخطبة والمقدمة إلا جملة مختصرة، أعني: "لاشيء"!!



صحيفة سياسية متنوعة الحوادث

على هامش النصّ

هذه المقالة مقتطفة من جريدة "اعتدال" العدد الأول ٥/شعبان سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ١٣ و ٢٥/ تموز ١٨٧٩ يوم الأربعاء. والمقالة نموذج من طرافة الكواكبي وصحافته الساخرة.

"آثار جغرافية في حلب" نصٌّ كتبه الكواكبي في ٢٥ تموز عام ١٨٧٩ ويعني أنه كُتب قبل ١٢٦ عامًا في صحيفة "اعتدال"، التي أنشأها الكواكبي بعد توقُف جريدة "الشهباء" حيث استطاع الكواكبي الحصول على ترخيص باسم (شريف زاده سعيد) لإنشاء صحيفة جديدة وأطلق عليها اسم "اعتدال".

صدر العدد الأول منها بتاريخ (٥ شعبان ١٢٩٦ هـ) و (٢٥ تموز ١٨٧٩م)، وفي افتتاحيّتها يعرّف بنهجها: "الاعتدال هي الشهباء" من كل حيثية، وقد أخذت على نفسها، من قبلُ ومن بعد، القيام بكامل وظائف الجرائد الأهلية، من نشر حسنات الإجراءات، وإعلان سيئات المأمورين، وعرض احتياجات البلاد إلى مسامع أولي الأمر، ونشر كل ما يقتضيه تهذيب الأخلاق، وتوسيع دائرة المعارف. هكذا يعاود الكواكبي في "اعتدال" - التي لم يكن لها من اسمها نصيب - نهجه السابق فيطالعنا في العدد الأول منها حرصه على "إعلان سيئات المأمورين وعرض احتياجات البلاد" غير عابئ بما قد يجرّ عليه هذا النهج من ويلات، وحسبه أنه يخط قناعاته من غير موالاة أو محاباة.

١- بنايات عظيمة شادها الفراعنة المصريون مدافن لهم، أهمها: هرم خوفو.

أما ما تحتويه الأعداد العشرة، إنما يتبدى من خلال العدد الأوّل الذي تتصدّره افتتاحية بعنوان "اعتدال"، وفيها يبيّن محررها حرصه على "نشر ألوية المطبوعات" خدمة لوطنه، بالرغم مما لاقاه من الظلم والاضطهاد بسبب جرأته في "الشهباء" ويعلن أن نهج "اعتدال" لا يختلف عن نهج سابقتها في "إعلان سيئات المأمورين، وعرض احتياجات البلاد"، وفي نشر كل ما يقتضيه تهذيب الأخلاق، وتوسيع دائرة المعارف، من أبحاث علمية وسياسية وغيرها. ثم يشرح أسباب إصدارها باللغتين: العربية والتركية "بناء على كون أكثر من نصف أهالي ولايتنا من الأتراك اقتضى تنسيب إصدار الاعتدال باللغتين" ولكن الأهم في خروج الصحيفة على هذا الشكل هو أمر "اقتضته رغبة من لا يمكننا مخالفته" وهذا يعني أن إضافة اللغة التركية واقتصار الصفحات العربية على اثنتين، كان شرطاً أساسياً في منح الرخصة لإصدار "اعتدال".

تلي تلك الافتتاحية أخبار السلطنة والأخبار الخارجية، بعد تلك الأخبار تأتي مقالة "لجنة الاصطلاحات العموميّة" وفيها يتكلّم المحرّر على أهميّة الإصلاح، مبتدئاً بإصلاح معناه، بعد ذلك يورد بعض الأخبار المحلية، وأخيراً، يقدّم مقالة ساخرة بعنوان "آثار جغرافية في حلب".

وفيها يتحدّث عن آثار "صحراء سوق الجمعة" التي هي عبارة عن مركز لتجمّع أوساخ المدينة "وهي صحراء واسعة متوسطة في المدينة تشبه صحراء المغرب في توسطها أفريقيا، ومحيطها نحو أربعين كيلو متراً، وفيها سلسلة جبال أورال في ارتفاعها، وهي متكونة من أوساخ المدينة، ولم يمنع من تجسّمها وارتفاعها ما تحمله عواصف الأهوية منها وتمطرها على رؤوس سكّان المدينة، لأن كثرة ما هو متّصل الورود عليها من الأوساخ يعوض النقص، بل ويزيد". ويعرّج على آثار أخرى أيضاً هي "بحيرة الكلاسة" وهي عبارة عن مستنقع لتجمع مياه القاذورات، يشكّل منتزه رئيس دائرة البلدية أحد حدودها. ثم يتحّدث عن أثر ثالث هو "مزابل الحمامين" التي تشكّل جبلاً من "الروث" تؤذي الناس برائحتها ودخانها، يقول "مزابل الحمامين التي هي، في جسامتها وارتفاعها وشكلها المربّع أو المستدير، تحاكي أهرامات مصر المشهورة".

ثم يبين مسؤولية "دائرتي البلدية" عن ذلك، بلهجة ساخرة: "وهذا كله من بعض فضل دائرتّي البلدية" اللتين يلخص نتاج أعمالها بكلمة "لا شيء". ولم يطل الوقت بصحيفة "اعتدال" حتى لاقت مصير "الشهباء" وتوقّفت عن الصدور بعد شهرين ونصف من إنشائها.■

المصدر:

عبد الرحمن الكواكبي. الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق: محمد جمال طحان. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١٩٩٥؛ ٥٧٩ص - ص ٢٥٧-٢٥٨.

عرض كتاب

محمود أسد*

مسرح حلب في مئة عام ١٩٠٠ - ٢٠٠٠

"ريادةٌ في البحث وترسيخ للتوثيق"

اسم الكتاب: مسرح حلب في مئة عام ١٩٠٠ - ٢٠٠٠

المؤلف: محمد هلال دملخي

دار النشر: دار عكرمة - ٢٠٠١ م



٣٢٧ صفحة من الحجم الكبير

استهل المؤلفُ محمد هلال دملخي كتابه بمقولة رينان "الوثائق أداةٌ خرساء في يدِ من لا يعرف كيف يُحْييها وينفخ من روحه فيها" ودعَّمه بقول الدكتور نقولا زيادة: "الرحّالة يعطيك صورةً لا يستطيع أن يهتم بها المؤرخُ، لأنّهُ لم يرها، ولم يجرِّبها ولم يختبرها..".

وقدَّم الكتاب بإهداء جميل كاشف عشقَ المؤلّف للمحروسة "حلب" تلك المدينة التي أسَرَت أفئدة القاطنين والوافدين والعابرين فقال: " لِمَن آمن برسالة الفنّ وقدسيّة المسرح، لستائر العشق الملفح بها أثناء غفوتي، لحلب الروح.. الذكرى.. الأمّ.. الأخت.. الحبيبة. لكلّ من يحترم تاريخ وتراث وفنَّ هذه المدينة العريقة. أقدِّمُ إليهم مهجتي بالكلمات، وأضَعُ قلبي بين أيديهم. فليصوغوا منها شيئاً لا يقلّ عن عطائهم وبهائهم..

وتوَّج الإهداءَ الجميلَ المعبِّرَ مقدِّمةٌ غنيَّةٌ للأديب الباحث الأستاذ محمود فاخوري. ذكر فيها أهميّة حلب ودورها عبرَ العصور وأشاد بأهمية الكتاب وما احتواه من معلومات وطرائف وتوثيق لمدينة، لا يتوقّفُ العطاء تجاهها، واستوقفتني كلمة الأديب الشاعر عادل الغضبان. وقد استشهد بها الأستاذ محمود فاخوري وأقتطفُ منها:

"وَلَوْ شبهنا المدن والبلادَ بعرائس الشعر، تلك العرائس التي يجد الشعراء عندها كنوز الوحي والإلهام لكانت مدينة حلب عروس عرائس الشعر جمالاً ومجداً ونوراً وجلالاً ومجداً وأريحيَّة خيِّرة..

* شاعر وقاصّ، مدرّس لغة عربية.

أفاضَتْ على الشعراءِ في كل جيل وزمن أقصى ما يطمعون فيه من حوافز الوحي ومصادر الإلهام". ص٣

مضمون الكتاب يثبت صحَّةَ ما ذكره الإهداءُ والمقدِّمُ ورحلتنا مع الكتاب ومؤلِّفه الفنان محمد هلال دملخي ليست سهلةً وليست عصيّة. فالكتاب يبسط مادته بسهولة ووضوح ويمدُّ لنا أشهى الوجبات على مائدة غنيّة، فيها ما يفيد ويثيرُ التساؤلات ويزرعُ البهجة. فهو مليء بالنادر والطريف والمفيد الممتع. بين دفّتيه وجوانحه ضم كمّاً كبيراً ونوعيّاً وفريداً من أخبار وتاريخ المسرح ورجاله ومسارحه وفرقه ومهرجاناته والعاملين فيه مع إلمامٍ واعٍ ودقيقٍ لكثير من الجزئيات التي أغناها بالهوامش والصور..

والعَرْض لا يغني عن الكتاب. بل هو دعوةٌ للأخذ من المنهل العذب لمن يريدُ الاستزادةَ ومعرفةَ الدقائقِ. وتكمن السهولةُ بأنّنا أمام جهد مُتَسِّق ومُبَرْمج بنظام يساعدنا على التجوال والبحث والتأمُّل. فيأخذنا حيث نريد دون مشقة وعناء، لأنَّ المؤلِّفَ حمل هذا العبْء المضني عنّا. وقدَّمه مادَّةً عَذْبةً سلسةً ومغرية، تُنسينا مدى الجهد الذي بذلهُ المؤلِّفُ ومدى العمل الجادِّ الذي يحتاج للبحث والتنقيب والملاحقة. وهذا جليٌّ وبارز في ثنايا الكتاب الذي حوى الكثير من الأخبار والأرقام والطرائف والنُّتف الصغيرة التي تبدو ليست ذات أهمية لأوَّل وهلة. فهناك معلومات كانت مشتَّتةً بين الصحف والمجلّات والمصنّفات ومغلّفةً في قلوب متعبة وصدور تئنُّ. وهناك صورٌ ووثائقُ قد علاها الغبار وأصابها الهزال وضعفُ التروية وكادت تلفظ أنفاسها. بصبره وحبِّه وإيمانه استطاع أن يلتقطها ويأسُرَها وأن يُعيدَ لها الحياةَ والخلود. تراه مجالساً هذا وملاحقاً ذاك، ومسافراً لأكثر من مرّة لاقتناص خبرٍ أو صورة. وهذا دأب الباحثين الجادِّين. فهذه السّهولة في التناول كان وراءها تعبٌ وصَبْرٌ وإيمانٌ ذلَّلَ الصعوبات التي اعترضتْ سبيلَ الباحثين.

الكتّابُ بُوِّب إلى أربعة عشر باباً، وقُسِّم كلُّ باب إلى فصول تطولُ أو تقصر في الباب الواحد. فهناك أبوابٌ ضَمَّتْ اثني عشر فصلاً كالباب الخامس الذي تناول مسرح الأربعينيات. والباب السادس ضمَّ ثمانية عشر فصلاً من مسرح الخمسينيّات. هذه الأبواب وتلك الفصول المنبثقة عنها جاءت لتسهيل البحث وتبسيطه، وليكون سهل التناول أكثر ممّا هو تقسيم أكاديميّ.

بإمكاننا تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول منه نقسمه إلى بابين، تناول في الباب الأول رحلة المسرح ماقبل المسرح، وقسمه إلى ثلاثة فصول تناوَل فيها الفرق المسرحية الوافدة إلى حلب. فأحصى أربعين فرقة محليّة واثنتين وعشرين فرقة عربية وأربعَ عشرةَ فرقة أجنبيّة، بعضها زار حلب أكثر من مرَّة ولفترة متعددة. وكانت ترى الاهتمام والرعاية والإقبال كفرقة الشيخ سلامة حجازي، وفرقة الفنان يوسف وهبي "فرقة رمسيس" وهي أكثر الفرق مجيئاً. وشارك معها بعض الفنانين المحليين كأسعد حطب ورياض يكن وعدنان قصار. وفي فصل آخر تناول المسرح في حلب. وكان عدد المسارح كثيراً ووزّعت على دور السينما ومسارح المدارس والكنائس والمقاهي، وكان لها روّادُها وأكثرها شهرةً مسرحُ الشّهبندر

الذي آل أمرُهُ للأسف إلى مرآب ومطعم، وقد كان صرحاً حضارياً ومحفلاً فنيّاً، وقف على خشبته المئات من عمالقة التمثيل وأساطين الطرب، وكان يُقسم إلى أربعة مسارح الأول للغناء وغنَّت فيه المطربة منيرة المهدية والمطربة فايزة أحمد والمطربة نجاح سلام. وكان المسرحُ الثاني للتمثيل ويقع غرب مطعم الشباب ومثلت على خشبته روز اليوسف وعبدالله عكاشة. والمسرح الثالث مسرح غنائي غنت عليه خيريّة السقا والمسرح الرابع شُيِّدَ بناءً على طلب الفنّان يوسف وهبي، وهو مسرح خشبي وأحصى المؤلّفُ ثلاثة وخمسين مسرحاً بعضها اندثر والآخر باق.. وتناول في فصل آخر الظواهر المسرحيّة في حلب كصندوق الدنيا والحكواتي وكراكوز وعيواظ وخيال الظلّ. وهذه الظواهر المسرحية فيها الكثيرُ من الطرائف والعفويّة على مستوى العمل والمشاهدين والحكايا. وهي بحاجة لإعادة اعتبار وهذا ما بدا أخيراً في بعض المقاهي والمسارح.. ومقصف الحديقة العامة وحديقة الأحلام.

البابُ الثاني من القسم الأوّل حوى أربعة فصول تناولت الولادة الأولى للمسرح الحلبي تمهيداً للولادة الثانية واعتبر المؤلّف ولادة المسرح الحلبي على يد "يوسف نعمة الله جد" المولود عام ألف وثمانمئة واثنين وأربعين والمتوفى عام ألف وتسعمئة وثلاثة. وهو الذي قدَّم مسرحية "بريجيت" عام ألف وثمانمئة واثنين وسبعين على مسرح المدرسة المارونية، وحضرها الأعيان والوجهاء والأدباء من مدينة حلب، وأشادوا بها. وتناول المؤلف رائد المسرح الحلبي بالتعريف، وسعى لمعرفة شجرة العائلة التي تنتهي إلى "بشرى" في لبنان. وقد تمَّ تكريمه في مهرجان حلب المسرحي الثاني عام ألف وتسعمئة وثمانية وتسعين، وفي الفصل الرابع من الباب الثاني استعرض الفرق المدرسيّة والرسميّة، هذه الفرق التي لعبت دوراً كبيراً في انتشار ظاهرة المسرح، وأبرزت كثيراً من المواهب كان لها دورٌ فعّال في معترك الحياة الرسمي. فذكر فرقة الثنائي "عيدو" عيدو السواس وعيدو التنكجي والمسمّاة بـ "نجمة سوريا" والتي ظهرت في بداية العقد الثاني من القرن المنصرم. فالأول منهما كان يعمل "سوّاساً" وعرف بـ "عيدو السوّاس" والثاني كان يعمل الأباريق والأقماع والمزاريب" عيدو التنكجي" اتّفقا على تشكيل فرقة قوامها خمسة أفراد لإشباع هوايتهما، فقدّما فصولاً هزلية وتحملا العبء، وصبرا حتى أوجدا المقرَّ للفرقة. وإلى جانب فرقة عيدو ظهرت فرق المدارس كالمدرسة الفاروقية والمدرسة الشرقية وفرقة الصنائع النسائية، والملاحظ أنَّ هذه الفرق المدرسية قدمت نخبة من الأدباء والمسؤولين بعد ذلك يذكر منهم عمر أبو ريشة والموسيقي المعروف أحمد الأوبري من المدرسة العربية الإسلامية والأستاذ المؤرّخ المرحوم خير الدين الأسدي والفنّان التشكيلي منيب النقشبندي والطبيب الجرّاح صبحي السباعي ووزير المالية في عهد الوحدة المرحوم فاخر كيّالي. وخرَّجت منها رائد المسرح الأول شرف الدين الفاروقي. وقدّمت المدرسة الشرقية الأستاذ معروف الدواليبي الذي أصبح رئيساً لمجلس الوزراء والأستاذ أسعد الكوراني الذي استلم وزارة العدل.

القسم الثاني: وقد شمل الأبواب التالية من الثالث إلى الباب الحادي عشر وأرَّخ فيه الكاتبُ لنشأة الفرق والنوادي

المسرحية. وبلغ عددها مئة وأربعَ عشرة فرقة وتوزَّعت حسب الزمن والأبواب إلى مسرح العشرينيات وبالترتيب حسب العقود إلى مسرح التسعينيات ثم تناول التجمُّعات النقابية. وهذه الأبواب قسِّمت إلى فصول غطت نشاط كلّ فرقة منفصلة عن الأخرى. فكان المؤلف يتناول الفرقة أو النادي. ابتداءً من مؤسسه ومدير أعماله والأعمال التي قدمها مع تاريخها وتاريخ تقديمها ويذكرُ مقرَّ النادي أو الفرقة وتنقلاتها وأعضاء الفرقة والظروف التي وقفت عائقاً في وجهها. قدَّم المؤلف أرشيفاً واسعاً وغنيّاً عن هذه الفرق ودعَّمها بالصور والأختام وبطاقات الدعوة.. وأشار إلى نشاطات الفرق والأندية الاجتماعية. وبعض هذه الأندية توقّف وبعضها مستمرٌّ ومنها يتعثَّرُ بين آونة وأخرى فمن الأندية المستمرة نادي العربي للتمثيل ونادي العربي الفلسطيني ولكنهما ينحيان منحى أدبياً وثقافياً في الوقت الراهن ونادي شباب العروبة والجمعية المتحدة للفنون... وهناك فرقة زواريان التي مازالت تتابع نشاطاتها، ولها خصوصيتُها، وهناك فرقة رازفيك لمسرح الأطفال. وهناك أندية تتوقف ثم تعاود كنادي الشبيبة المثقّفة الذي توقف ثم عاود عام ألف وتسعمئة واثنين وتسعين. وكانت هذه الفرق تتوقف لأبسط الأسباب كسفر رئيسها أو مخرجها أو موت أحدهما كما حصل بعد موت الفنان محمد ظريف الصباغ رئيس النادي العربي للتمثيل وهذا النادي الذي ينتمي إليه مؤلّف الكتاب ويشغل فيه مهمة أمين السر خصَّه بالحديث وأشار إلى نشاطه الأدبي الحافل والغني في المرحلة الراهنة ويرأسه الباحث الأستاذ محمود الفاخوري. وهناك فرق غيَّرَت اسمها وفنّانون انتقلوا من فرقة لفرقة ومن نادٍ لآخر، يدفعهم حبُّ العمل ومزاجُ الفنّان المتقلب. فقد خضعت الفرق لأمزجة أعضائها فحيناً يجتمع الصفُّ وحيناً ينفرط عقدُها ثم تعيدُ لملمة الصفِّ وهكذا. فلا غرابة أن نجد بعض الفنانين وقد وردَ اسمهم في أكثر من فرقة أو نادٍ. وكانت هذه الفرق تعود لمدارسَ أو أندية أو طوائف أو فئات. وحملت الطابع التربوي وقدّمت أعمالها لكبار الكتاب والأدباء وأغنى المؤلّفُ أبحاثه بتلك الإشارات الفنية والنقدية، فاعتبر فرقة /أتاميان/ رائدة مسرح الأطفال وقد تأسَّسَت عام ألف وتسعمئة وثلاثة وثلاثين تحت اسم فرقة مسرح الشبيبة الأرمينية، وكان مقرُّها في جادة الخندق، ثم انتقلت إلى شارع "بارون" ومنها انتقلت إلى حي العزيزية وأغناها المؤلف بالشرح وذكر أعمالها وقدَّم لها المخرج كريكور كلش الكثير من الأعمال وما زال... ص ١٠١.

وتحدَّث عن الفرقة القومية للتمثيل التي تأسَّست عام ألف وتسعمئة وسبعة وثلاثين وكان مقرُّها في حيِّ الفرافرة، هذا الحيُّ الذي أنجب وقدَّم الكثير من الفنانين والمبدعين في حلب. وهذه الجمعية كان رئيسُها "فاتح غضنفر" وعمل معها الكثيرُ من الفنانين المعروفين منهم نوفل ملحيس وظريف صباغ وعبدالكريم مظهر وذكر الأستاذ أحمد نهاد الفرا أنَّها قدمت مسرحياتها أمام رئيس الجمهورية شكري القوتلي على مسرح سينما العباسية بدمشق.

لم يُغفل الكتابُ الصغيرة والكبيرة مما يفيد في ترسيخ المعلومة ولفت الأنظار فأبرز دور نادي الفارابي الذي كان له نشاطات اجتماعية وفنيَّة كغيره من الأندية، فقد افتتح مقراً لتعليم الأمّيّين. وكذلك

نادي المجد الذي أسَّسه أسعد محمد حطب حيث قدَّم أعمالاً جديرة، وكان له باعٌ في النشاطات الثقافية والإعلامية والرحلات والموسيقا. وقدَّم الكثير من الأعمال وأعدَّ موهبة الفنان صباح فخري الذي شارك في مسرحية الكارثة وكان صغيراً وغنّى. وشارك الأستاذ جميل ولاية بدور البطولة النسائية فيها بسبب غياب صاحبة الدور. وكذلك أقام النادي دورات لمحو الأمّيّة واستضاف عدة فرق من مصر. كفرقة زكي رستم وفرقة زكي طليمات وفرقة فؤاد المهندس وفرقة يوسف وهبي.

واهتمّ بتجربة وفكرة مسرح الشعب الذي كان علامة مميّزة وبارزة في مدينة حلب. والذي تبنى فكرته الأستاذ المهندس عبدالغني السعداوي محافظ حلب آنئذ عام ١٩٦٨ وقد لمَّ المسرح لفيفاً جيِّداً ومتميِّزاً من الفنّانين والكتّاب واختار عناصره، عن طريق مسابقة وقدم ثمانية عشر عملاً مسرحياً على مسارح رعاية الشباب والجمعية الخيرية الأرمنية ونقابة الفنانين ومسرح المركز الثقافي وجذب جمهوراً خاصاً وواعياً ونال الاستحسان وأشاد به النقاد. وتبقى تجربتُهُ تجربة ناجحة يتحسَّر المرء على فرْطها.

ألا يدلّنا هذا على مدى المعاناة التي تحمَّلها محبُّو الفن والمسرح في ذاك الوطن؟ ألا يدفعنا لإجراء مقارنات جادّة بين ماكان وواقع الحال؟ وعندها نجد أنفسنا في متاهات الانحسار والانزواء.. وهذه إحدى حسنات الكتاب الكثيرة.

وذكر المؤلّف فكرة هامة. وهي فكرة إنشاء التجمعات عن طريق اتّحاد الأندية الأدبية والفنّيّة. هذا الاتحاد الذي تألّف من مندوبي أندية الفارابي والنهضة المؤلّف من محمد ظريف صباغ وجودت محمود، وأحمد راشد الطباخ.. "واعترف الكاتب بعدم وجود الوثائق أو المصادر التي تخصّ نشاط هذا الاتحاد..

ومن هذه التجمعات نادي اليقظة للآداب والفنون والذي جمع نادي الفارابي ويمثله محمد ربيع خياطة وفرقة المنتدى السوري ويمثّلها السيد مصطفى كمال بيانوني وفرقة الشرق للفنون ويمثلها السيد أحمد كيالي. وقدم خمسة أعمال مسرحية من عام ألف وتسعمئة وتسعة وخمسين إلى عام ألف وتسعمئة وثلاثة وستين وبعض من شارك فيها: سعاد عمر - سحر - نذير دقاق - ومصطفى كمال مولوي وأشرف موسيقياً ماجد العمري وسهيل رفاعي..

وذكر الكتاب في معرض حديثه عن الفرق والأندية أشخاصاً مازالوا يعطون بسخاء ولهم بصماتهم في مدينة حلب كالباحث الموسيقي عبدالرحمن جبقجي والشاعر عبدالرحمن أبو قوس والشاعر مصطفى النجار والأستاذ عبدالله حجار ونزار باقو وفاروق نور الدين والدكتور زهير أمير براق والأستاذ هائل اليوسفي والأديب مأمون الجابري وغيرهم. وهذه الأسماء التي امتدَّ تواجدها لسنوات بعضها انتقل من فرقة لأخرى وقامت بتأسيس فرق خاصة بها وهذا يدلّ على حيويّة المشهد الثقافي في المدينة عامة والمسرحية خاصة. ولكنّه يشير إلى عدم وضوح منهجيّة العمل. وصعوبة التآلف والتجانس في وسط يعجُّ بالأهواء والنظرات والمزاجيّة. ومن جهة أخرى يكشف مدى عشقهم لهذا الفن وحبّهم له فاندفعوا مثابرين رغم الظروف. وهذا القسمُ فيه الكثير من الطرائف والإشارات كبقية الأقسام. يقول المؤلف:

قد حدَّثني الفنان "محمد قصير الذيل" أن ديكور المسرحيات في الخمسينيات كان يُصنع من الخيش المصبوغ، وكان يتقاضى أجره عن العرض الواحد /١٥/ ل.س ثم تقاضى خمسين ليرة سورية لقاء أجره في التأليف والتمثيل والإخراج ويذكر المؤلّف أنّ جمعية المعرّي أوّل من قدمت مسرح الأوبريت في حلب وذلك في عام ألف وتسعمئة وخمسة وخمسين. ومن الطرائف التي ذكرها الكتاب عن فرقة نجوم الفن، أنّ الفنان أديب قدورة بدأ بعمله الفني /الماكياج/ مع فرقة نجوم الفن في مسرحية /إنسان يفكّر يضحك على الملائكة/ وهذه الفرقة كانت تقدّم في الصيف ومع مطلع كلّ شهر حفلة غنائية على مسرح سوق الإنتاج وكان يُحييها صباح فخري ومحمد خيري ومحمد أبو سلمو.

الكتاب يكشف لنا مدى ارتباط الأدب بالفن. فهناك الكثير من الأدباء الذين عملوا بالفن، ذكر بعضهم سابقاً وأذكر الأستاذ القاصّ بسّام سرميني الذي جرَّب العمل مخرجاً مع رابطة زكي الأرسوزي في مسرحية "فوق هذا المستطيل وقع حادث" للمؤلف الأديب محمد أبو معتوق والأستاذ ميشيل أديب الذي ألّف مسرحية "هذا هو الطريق" وأخرجها المرحوم الفنّان "أحمد نهاد الفرّا: لفرقة دار المعلمين. وفي معرض حديث المؤلف عن فرق الهيئات والمنظمات والمؤسسات والنقابات لفت انتباهي غيابُ المسرح في نقابة المعلمين وهي التي تملك مسرحاً وكادراً واسعاً من الأدباء والفنانين الذين توزّعوا هنا وهناك.. وغيابُ المسرح عن الريف عدا رابطة أبي فراس الحمداني في الباب. هذه الفرقة التي مازالت تقدّمُ أعمالها في مهرجانات المسرح وتحصد بعض الجوائز.

واستطاعت أن تؤسِّس مايسمى بتقاليد المسرح فقدَّمت أعمالاً لأدباء معروفين كالماغوط وأبي معتوق وسعد الله ونوس وحمدي الموصللي.. وعمل بالإخراج لها محمود درويش الذي مازال يرفدها بطاقاته وحبِّه مع المخرج النشيط جمال خللو. وقد أسَّسوا من جديد مسرح الطفل.. وتناول المؤلف بإسهاب فرق الروابط العمالية التي عمل معها ممثلاً ومخرجاً لعملين "العمل يصنع الأمل" و "فخّار يكسّر بعضه" وأبدى رأيه في هذه الفرق لأنه متابع عن قربٍ وملامِسٌ همومَها فتحدَّث عن تعثّر الفرق ومعاناتها على مختلف المستويات، وهذا ما يفتح باباً للدارسين ليستقصوا منه عوامل وعوائق المسرح. وتوقف المؤلف عند مسرح التسعينيات وتحديداً أسرة المهندسين المتّحدين التي لاقت إقبالاً جماهيرياً عارماً لم تعرفه فرقٌ من قبل فيقول:

"إلاّ أنَّ هذه العروض بالمقابل لا تخلو من إثارة إشكاليات فنّيّة متعدّدة من قبل رجال المسرح ونقّاده بسبب غياب أصول العرض المسرحي وتشبيه هذه العروض بنوع من الإثارة التي تشبه إشارات "الكباريه" والتي تعتمد على حشر الغناء والموسيقى والرقص وإقحام المشاهد الهزلية دون أن تكون بهدف اللون الاستعراضي التمثيلي إلى جانب افتقار الهدف الأسمى لسمات العرض المسرحي الجيد". ص ٢٤١.

أشار الكاتب إلى فرق كثيرة وبإيجاز لأنها ولدت ولادة متعثّرة فمنها من قدمت عملاً ثم غابت أو لم تقدّم شيئاً. ولاحظنا كثرة الفرق في العقود الأخيرة تلك الفرق العائدة للمنظمات والهيئات ولكنها لم تستمرّ، فاختلاف التسميات والتجمّعات

يوحي بحالة التردّي والتفكّك والضياع وغياب الغيريّة وتفضيل الخاصّ على العام، وهذا ينطبق على الكثير من القضايا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في عصرنا والتي بدأت تعاني منها مدينة عريقة كمدينة حلب.

إنّ كثرة هذه التجمّعات في الآونة الأخيرة تبرز روح الفردية والتفكّك مع العلم أنّ المسرح بناء متكاملٌ ومتعاضدٌ ونجاحُهُ نجاح جماعيٌّ وليس فرديّاً.

في القسم الثالث من الكتاب وهو القسم الأخير من الكتاب ويبدأ من الباب الثاني عشر الذي تناول فرقاً مسرحية مجهولة المصادر وقد وردت أكثر من مرة وتعذر على المؤلف معرفة شيء عنها فأحصى أربع عشرة فرقة ونادياً ذكر مؤسّسها ومقرها باستثناء "نادي الشبيبة الحلبية" فلم يعرف مؤسّسهُ ولكنه ذكر مقره في شارع الإطفائية. وهذه دعوة للبحث والاستقصاء لمعرفة هذه الفرق والأندية. وهذا الباب لا يتجاوز صفحة واحدة وهذا ما يدعو للتساؤل وربّما يقصد من التسمية فتح باب البحث لإكمال المشوار.. والبابُ الثالثُ عشر شمل ثلاثة فصول تناول فيها المهرجانات المسرحية التي جرت فهناك دورتان لمسرح الهواة جرتا في حلب عام ألف وتسعمئة وستة وسبعين وهو المهرجان السادس. والمهرجان السابع عام ألف وتسعمئة وسبعة وسبعين وهناك مهرجان الفرق المسرحية الذي قدّم في حلب وقدّم ثمانية عروض لفرق محليّة ومن المحافظات. وقد أعدّ هذا المهرجان الفنان المرحوم عبد الوهاب جرّاح وتعثر من بعد ذلك..

وفي الفصل الثالث من هذا الباب تعرّض لمهرجانات حلب الثلاثة وتوقف عندها. وكانت له رؤية خاصة في المهرجانات وهذا يدعونا للتساؤل: لماذا توقّفت هذه المهرجانات؟ ولماذا لم تستمرّ باستثناء مهرجان الروابط الشبيبية والتي قدّمت مجموعة من الشباب المثقفين راحت تشقّ طريقها بثبات تأليفاً وتمثيلاً منهم الشابان الشاعر محمد صهيب عنجريني والشاعر شادي مقرش. فعملا في فرقة شباب المسرح عام ألف وتسعمئة وتسعة وتسعين وقدّمت الفرقة مسرحية "الأرنب الطائش" وهي من تأليفهما.

ومن الأدوار اللافتة والجميلة تكريم المبدعين والروّاد في هذه المهرجانات في مهرجان حلب المسرحي الأول عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين كُرِّم الكاتبُ المسرحي سعد الله ونوس وقدِّمت له ثلاثة أعمال من تأليفه وأربعة من ترجمته والمهرجان الثاني كرّم المسرحيين "يوسف نعمة الله.." و"سليم قطاية" و"سعدية غريب" و"نديم شراباتي" و"نجم الدين جمالي" و"أحمد سيف".

واستُكملت الفائدة بتلك الندوات التي أغنت المهرجانات وما دار فيها من نقاش ووجهات نظر وهي ظاهرة إيجابية داعمة للعمل الجاد.

أمّا الباب الرابع عشر من الكتاب وهو الأخير كان غنيّاً ومفيداً حيث ترجم وعرَّف بروّاد المسرح في حلب وهم: ١- محمد بشير العباسي ٢- شرف الدين الفاروقي ٣- فاتح غضنفر ٤- محمد طريف صباغ ٥- سليم قطاية ٦- أحمد نهاد الفرا. وفي الفصل الثاني منه عرّف بأدباء المسرح في حلب وذكر أحدَ عشر أديباً وهم الشاعر عمر أبو ريشة وخليل

هنداوي وعبدالرحمن أبو قوس ومحمد أنور السردار ووليد إخلاصي وعبدالفتاح قلعجي ومحمد جهاد الكاتب ومحمد أبو معتوق وأحمد سيف "طحّان" ونجم الدين سمان وأحمد زياد محبك.

وفي بقيَّة الفصول من هذا الباب تناول كتاباً ومسرحيين كتبوا للمسرح وتعرَّض في فصل للمخرجين الذين أخرجوا للمسرح في حلب وفي الفصل الأخير ذكر الفنيين والتقنيين الذين عملوا في المسرح. وقد اعتنى المؤلف بالترجمة وذكر المفيد للبحث من خلال معلومات دقيقة ولم يغفل صورَ من ترجم لهم باستثناء عمر أبو ريشة وعبد الرحمن أبو قوس. وهذه التراجم تقدِّم معلومات وتقول الكثير وتبعث الأشجان لما آل إليه بعضهم وما حلّ بهم. وقدّم الروّاد والمخرجين حسب الأجيال. فبإمكان المرء أن يحصيَ بالأرقام والعدد كلّ أعداد الفرق والمترجمين والفنيين والمهرجانات والأندية والمخرجين وعدد الممثلين وغيرهم.

فالكتاب أحصى مئة وأربع عشرة فرقة أسِّست وألفا وستة وخمسين عملاً مثل وأحصى عدد الممثلين المشاركين باثني عشر ألفاً وخمسمئة واثنين وعشرين ممثلاً وكان عدد الممثلات اللواتي شاركن مئتين وأربعاً وستين ممثلة وذكر أن عدد الكتاب تسعةٌ وثلاثون كاتباً بحلب... وقد ذكر ذلك بصفحة خاصة للإحصاء. ودعَّم الكتاب ببطاقة شكر وتقدير لكل من ساعده وساهم بتقديم معلومة أو وثيقة أو صورة. فكان شكره للمرحوم الفنان محمد ظريف صباغ الذي عزَّز في فكره عشق المسرح وغرس في نفسه النبل والعزم والنظام وشكر الأستاذ الباحث محمود فاخوري الذي استفاد من عمله وتدقيقه اللغوي وغيرهما من الفنانين. وذكر في المراجع تسعة عشرَ مرجعاً استفاد منها.

هذه رحلتنا المجملة والممتعة مع كتاب قدَّم خلاصة رحلة شاقة ومفيدة. هذا الكتاب الذي قدَّم الكثير بعد عناء كبير. وهو كتاب رائدٌ في التوثيق المسرحي رغم وجود دراسات متنوعة وغنية متناثرة هنا وهناك أو بعض الكتب التي تأخذ بعض جوانب المسرح في حلب وهو مائدةٌ غنيةٌ فيها ما لذّ وطاب ومحرّض للآخرين للبحث والدراسة والاستنباط. وهذا الجهد بالأساس تقوم به المؤسسات التي تشكل فرق عمل لإنجازه وهو أمرٌ عسيرٌ وصعب. فلولا الإرادة والعزيمة وحبُّ المسرح لما أقدم عليه. وكيف لا ومؤلّف الكتاب لا يزال يتعاطى فنَّ المسرح تمثيلاً وله فيه تجربة مديدة. فكانت الكتابة والبحث من داخل البيت ومن إنسان عارك المهنة فكان ينطبق عليه المثل: "أهل مكة أدرى بشعابها " ولكن لا يخلو الأمرُ من قضايا تتطلب البحث أكثر وربَّما تقسيم الكتاب إلى كلّ هذه الأبواب والأبواب إلى فصول زمنية وغيرها فيه شيء من التبسيط أكثر مما هو تتبُّعٌ للأجيال وأعتقد أنّ هذا الكتاب يُضاف إلى أسرة الأعمال الموثّقة التي ولدت لتخدمَ مدينةً أحبَّها أبناؤها وتفنَّنوا في تقديم وفائهم.■

نشاطات الجمعية*

حفل إفطار رمضان

أقامت جمعية العاديات -كعادتها في كل رمضان احتفاء بهذا الشهر الكريم - حفل إفطار رمضاني في نادي العروبة وذلك يوم الخميس ٢٠٠٤/١٠/٢٨ الواقع في ١٤/رمضان ١٤٢٥ دعت إليه عددا من المسؤولين والمثقفين وأعضاء جمعية العاديات.

وقد ألقيت عدة كلمات في هذه المناسبة تحدث فيها كل من:

الدكتور أحمد بدر الدين حسون، والمطران يوحنا جنبرت، والأستاذ محمد قجة رئيس الجمعية، والدكتور محمود عكام، حيث عبر الجميع عن سرورهم بهذا اللقاء الرمضاني الكريم الذي اجتمع فيه ثلة من أبناء هذه المدينة الخالدة من مشارب مختلفة لتعزيز أواصر الوحدة الوطنية والمحبة والإخاء الديني التي تميزت بها هذه المدينة عبر العصور.

وفي الختام قدمت فقرات فولكلورية لشخصيات المسحراتي والحكواتي وغيرها من الشخصيات التي أمتعت الحضور وأدخلت البهجة إلى نفوسهم وأعادت إليهم الماضي الذي قضت عليه المحطات الفضائية التي أصبحت البديل عن كل شيء.





* إعداد: زكية حرح - أحمد حفار.

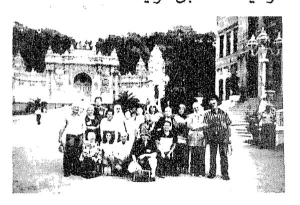
الطريق إلى استانبول

قامت جمعية العاديات برحلة إلى تركيا استمرت ١٢ يوما شملت مرسين وانطاليا وبورصة و استانبول، كما زارت الرحلة المعالم الأثرية في كبادوكيا وأضنة واستكمالاً لفائدة الرحلة الأثرية قدم د.محمد خواتمي - والصيدلانية ندى الرفاعي شرحا مفصلاً عن مجريات تلك الرحلة الممتعة التي كانت محطات تاريخية جغرافية.

زار خلالها المسافرون الجامع العظيم في بورصة أكبر وأول جامع عثماني يزيد عمره عن ستمائة سنة فيه ٢٠ قبة، شارك في تخطيط كتاباته ٤٠ فنان وخطاط.

وقد اشتهرت منطقة بورصة بفعاليات عديدة أهمها صناعة سيارات الفيات. وفي الطريق إلى حمامات يالوا للمياه المعدنية الساخنة بدرجة الغليان والمفيدة للشرب والاستحمام مر الوفد الزائر بمدينة كيمر بليك وأورخان غازي.

وفي استانبول زار الجمع جامع السلطان أحمد ومتحف "توب كابي سراي" أهم متحف عالمي حيث يضم بعضا من آثار روحية ونورانية عن الرسول عليه الصلاة والسلام مع عصا موسى وسيف خالد بن الوليد..





كما تحدث المشاركون في الرحلة عن أقدم وأجمل برج في استانبول ويدعى /برج جالطة/ الذي يرتفع عن سطح الأرض بـ ٦١م.

ومن رحاب استانبول تستذكر ندى الرفاعي بود عميق وإنسانية مفعمة بالاحترام الحضارة العريقة الغربية الشرقية عرفت الأجيال كيف تحفظ تراثها وتستثمره فكانت زيارة أهم قصور السلاطين وقد احتفظ بوضعه الأصلي ومفروشاته وأرضيته الخشبية النادرة التي صنعت من خشب الورد.

وفي كبادوكيا نزل المسافرون في فندق /غوميدا/ حيث الطبيعة الخلابة والجبال العالية وفي الصباح زار الوفد منطقة /كايمايكلي/ حيث ثمة ثمان طبقات تحت الأرض. مدينة سفلية افتتحت بأكملها للزيارة.

أما التسوق فكانت له نكهة خاصة في هذه الرحلة الجميلة تقول المحاضرة عن بازار استانبول: "انه أشهر الأسواق المسقوفة في العالم وأكبرها الذي شيد على يدي السلطان محمد الثاني الفاتح. مقاييس بنائه مهيبة وقناطره ترتفع ستة أمتار ممتدة فوق شوارعه وأزقته الأربعة والستين المتشابكة وقد عكست أوضاعه في وقت من الأوقات ثراء امبراطورية

امتدت من المجر إلى شبه الجزيرة العربية ومن مصر إلى جبال القفقاس. معظم السلع المبيعة في البازار متجذرة في التراث التركي وتعكس الحنين إلى عهد ولّى إلى الأبد. فهناك العقيق اليماني و/رغوة البحر- وهو حجر كريم/ والسجاد الشرقي الذي يعتبر السلعة الأكثر رواجاً في البازار الذي يعبره يوميا قرابة مليون شخص كطريق مختصرة بين منطقة وأخرى.

مهرجان العاديات

برعاية السيد وزير الثقافة الدكتور محمود السيد أقامت جمعية العاديات مهرجاناً كبيراً على مدى ثلاثة أيام بمناسبة مرور ثمانين عاماً على تأسيسها، شارك فيه عدد كبير من القيادات السياسية ومن أعضاء جمعية العاديات وفروعها في المحافظات. حضره مجالس إدارة الفروع وعدد كبير من أعضاء الجمعية في حلب وفروعها.

وقد تضمن المهرجان افتتاح معرضين أحدهما في صالة بلاد الشام (فندق شهباء الشام) أعد له اللجنة الاجتماعية ولجنة العلاقات العامة وأشرف على تنظيمه كل من السادة أمية الزعيم، تميم قاسمو، محمد خواتمي. وشاركت فيه فروع الجمعية في المحافظات.

كما تم افتتاح المعرض الثاني بالتعاون مع نقابة الفنون الجميلة (صالة الأسد للفنون الجميلة- الرازي) أعد له الفنان أنور عبد الغفور.

كما تم افتتاح المهرجان في قاعة العرش في قلعة حلب حيث ألقيت عدة كلمات وكانت المتابعة لفعاليات ثقافية وفنية في دار الكتب الوطنية (فروع الجمعية) وفعاليات فنية لفرق الجمعية في خان الشونة، تضمنت ندوتين عن (نشأة العاديات وحماية التراث) وندوة أخرى (حول الشعر الشعبي والتراث غير المادي).

وتفاصيل المهرجان تضمنها ملف المهرجان في بداية هذا العدد من المجلة.

وقد ساهم بتصوير المهرجان كلّ من: أحمد حفّار، غسّان خليل، نزار باقو، هايك أورفليان، وصفي ورّاق.

المناسبات الدينية في الشعر العربي

حظي رمضان والحج إلى البيت الحرام باهتمام الشعراء العرب أكثر من غيرهما من أركان الإسلام. ويمكن أن نقول إن رمضان يحل على المسلمين مرة في كل عام، فهو أشبه بالضيف، وما هذه الاحتفالات إلا جزء من إكرام هذا الضيف والحفاوة به. وفي شهر رمضان أقامت الجمعية ندوة شارك فيها: الأستاذ محمود فاخوري والأستاذ فواز حجو والأستاذ محمود أسد.

في البداية تحدث الأستاذ فواز حجو عن رمضان وجوه المفعم بالعبادة والتقرب إلى الله بالأعمال الخيرة:

رمضانُ يا شهر المكارم والتقى
يا خير شهر حلّ بالفرقان
بك أنزل الله الكتاب على النبيِّ
الهاشميِّ المصطفى العدنان

كما تحدث فيها الأستاذ محمود فاخوري عن المدائح النبوية بأنها فن شعري يضاف إلى بقية الفنون والأغراض الشعرية كالرثاء والوصف والغزل وغيرها ولم يكن لهذا الفن وجود في البدء لكنه استجدّ منذ عصر النبوة وبدأ بقصيدة كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها، لم يفدْ، مكبول



كما قدم الأستاذ محمود أسد صوراً ومشاهدَ من العيد:

منذ القديم تفاعل الإنسان مع المناسبات الدينية أكثر من أيِّ مناسبة أخرى لما للدين من أثر وتأثير في النفس والوجدان الجماعي. ويبقى الأدباء أسْرَعَ وأبلغ بالتعبير وأقْدرَ على صبِّ مشاعرهم الفيّاضة التي تلامس مشاعر المجتمع. فالمناسبات الدينية توحي بالكثير، وتلامسُ أعماق النفوس وأغلب منا سباتنا الدينيةَ مرتبطة بالعبادة، وما يتبعها من ثواب وأجرٍ، فعيد الفطر مرتبط بانتهاء شهر الصومِ الغنيّ بالعبادة، وكذلك عيد الأضحى مقترن ومقرون بأداء فريضة الحجِّ وهذان العيدان يعكسان الكثير من لواعج النفوس ولذلك في كتب التاريخ والأدب الكثيرُ من القصائد التي تعبِّرُ عن بهجة العيد.

وها هو المتنبي في طريقه إلى بلاد الشام هارباً من كافور مصر وقد جاءه العيد وعرفه فقال:

عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ
بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ
أمَّا الأحبَّةُ فالبيداءُ دونهمُ
فليتَ دونك بيداً دونها بيدُ

حلب في وثائق الخارجية البريطانية

ألقى الباحث والصحفي اللبناني جان داية محاضرة في رحاب جمعية العاديات عرض خلالها بعض الوثائق والتقارير الدبلوماسية البريطانية والتعليق عليها مبيناً أنه يتعاطى مع هذه الوثائق على أساس أنها أحد المراجع الرئيسية بالنسبة لحلب وليست المرجع الوحيد.

فبالتحليل والمقارنة يمكن التأكد من صحة مضمون الوثيقة أضف إلى ذلك، أن بعض أوراق الحقيبة الدبلوماسية هي رسائل ومناشير يتلقاها القنصل ويرسلها إلى رؤسائه بعد التعليق عليها فإذا لم يعجبنا تقييم سعادته، فإن الرسائل والمناشير التي حررها المواطنون حقيقية، وبعضها ثمين جدا كالملصقات الثورية الثلاثة التي انتزعها القناصل الإنكليز في العام ١٨٨٠ من جدران الساحات العامة في بلاد الشام، وهي ما زالت محفوظة في أغنى مركز في العالم للتوثيق الدبلوماسي، في حي كيوغاردن اللندني الأرستقراطي.

وعلى ذكر الوثائق المرفقة بالتقارير الدبلوماسية، فإن بعضها قد أرسل بالحقيبة الدبلوماسية من غير أن يترجم إلى الإنكليزية أو الفرنسية التي كانت اللغة الثانية في عموم السلطنة العثمانية، أو هي لغة الدواوين الرسمية إلى جانب التركية.ثم تحدث عن بعض الوثائق التي وجدها وبسط محتواها. ثم تحدث الباحث داية عن مدن السلطنة العثمانية ومنها حلب، حيث كانت مركزاً للقنصليات البريطانية التي توازي اليوم السفارات ولكن لقب السفير أطلق آنذاك على معتمد بريطانيا في استانبول وبالطبع كان السفير يتمتع بصلاحيات تفوق تلك التي يتمتع بها القناصل، بدليل أن بعض المراسلات الدبلوماسية كانت ترفع إليه قبل أن تأخذ طريقها إلى لندن. ولقد اتخذت الخارجية البريطانية هذا التدبير، لأن استانبول كانت عاصمة السلطنة المترامية الأطراف، ومن أجل تسيير الأمور وحل المشاكل بسرعة ومن غير العودة إلى وزارة الخارجية إلا في الأمور الشائكة والخطيرة.■

ثلاثة أعضاء من جمعية العاديات

يفوزون بجائزة الباسل ٢٠٠٤

برعاية السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية كرّم مجلس مدينة حلب الفائزين بجائزة الباسل للإنتاج الفكري والفني عام ٢٠٠٤. والمجلة تهنئ الفائزين وتورد فيما يلي نبذاً عنهم.

الدكتورة المهندسة نجوى عثمان:

إجازة في الهندسة المدنية، جامعة حلب ١٩٧٨، دكتوراه بتاريخ العلوم التطبيقية/ تاريخ العمارة الإسلامية - جامعة حلب ١٩٩٨، محاضرة بمادة الآثار والفنون الإسلامية ومادة تاريخ الفن والعمارة في كلية الآداب في جامعة حلب، عضو مجلس إدارة الجمعية السورية لتاريخ العلوم، عضو جمعية العاديات السورية، وعضو هيئة تحرير في مجلة العاديات ومجلة هندسة عضو لجنة الأعلام والنشر بنقابة المهندسين السوريين، لها العديد من الكتب المطبوعة:

الهندسة الإنشائية في مساجد حلب - حلب في مئة عام - مساجد القيروان - النقل الداخلي بحلب في القرن العشرين - مكابدات لطيفة ومواقف طريفة في أحياء حلب والقيروان، شاركت بالعديد من الندوات والمؤتمرات، نشرت العديد من المقالات والأبحاث في صحف ومجلات محلية وعربية وأجنبية.

الأستاذ محمد قدري دلال:

تخرج من كلية الآداب بجامعة الأزهر ١٩٦٩، درس اللغة العربية في مدارس حلب والدار البيضاء بالمغرب، درس الموسيقا على يد بكري الكردي ونديم الدرويش وشكري الأنطاكي، تخرج على يديه الكثير من الموسيقيين في حلب والدار البيضاء، نال جائزة شارل كرو من فرنسا /١٩٨٨/، سجل الكثير من الأعمال التراثية الموسيقية، شكل العديد من الفرق التي رافقته إلى أرجاء المعمورة، له مؤلفات أدبية موسيقية عضو جمعية العاديات.

الدكتور بكري شيخ أمين:

أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب شغل منصب أستاذ في العديد من الجامعات العربية. له خمسة عشرة مؤلفاً إضافة للمقالات الصحفية له العديد من المشاركات بالمؤتمرات والبحوث المنشورة. عضو جمعية العاديات.

الدكتور المهندس عبد الغني شهابي:

أستاذ التصميم المعماري في جامعة حلب، رئيس وحدة الدراسات المعمارية والبيئية، رئيس اللجنة الفنية لحماية حلب القديمة، عضو لجنة المخطط التنظيمي العام لمدينة حلب، عضو مجلس نقابة المهندسين، فرع حلب، أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه له العديد من المؤلفات والبحوث المنشورة، قام بالدراسة المعمارية للعديد من المشاريع حصل على جوائز عديدة.

الدكتور المهندس حسن بيلاني:

أستاذ الجيوديزيا في جامعة حلب، رئيس قسم الهندسة الطبوغرافية في كلية الهندسة المدنية، عضو مؤسس في الاتحاد الفلكي العربي لعلوم الفضاء والفلك، أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، له العديد من المؤلفات والبحوث المنشورة والمشاركات في المؤتمرات العربية والدولية، حصل على براءتي اختراع في:

- إيجاد نظام إسقاط مثالي لخرائط سورية
- تصميم وصناعة الإسطرلاب المعدل بمعونة الحاسوب.

أسماء الفائزين بجائزة الباسل للإنتاج الفكري لمدينة حلب

منذ انطلاقها حتى الآن

عام ١٩٩٤

- د. م أحمد أديب شعار
- محمد وحيد خياطة

عام ١٩٩٥

- محمد حلمي الغوري
- د. محمد حسن عبد المحسن

عام ١٩٩٦

- أ. محمد أبو معتوق
- أ. ضياء قصبجي
- الدكتور أحمد فوزي الهيب

عام ١٩٩٧

- أ. وليد خلاصي
- د. عبد الرحمن حميدة
- د. م محمود فيصل الرفاعي

عام ١٩٩٨

- أ. نهاد رضا
- أ. عبد الفتاح قلعجي

عام ١٩٩٩

- د. سعد الله آغا القلعة
- د. عمر دقاق
- محي الدين خطيب سلقيني

عام ٢٠٠٠

- د. محمد التنجي
- د. محمد جمال طحان
- سلمان قطاية
- أ. ليلى مقدسي

عام ٢٠٠١

- الفنان وحيد مغاربة
- أ. محمود فاخوري
- د. م عبد الكريم حمامي
- م . عبد الله حجار

عام ٢٠٠٢

- م . جوزيف كبة
- د. م سامح جزماتي
- د. نضال الصالح
- أ. محمد جلال قضيماتي

عام ٢٠٠٣

- أ. محمد مأمون الجابري
- أ. محمد عزام
- سمير فرنان بالي
- د. م تاج الدين ضيا
- الفنان طاهر البني
- الفنان محمد سهيل الرفاعي

البرنامج الثقافي السنوي للنصف الأول من عام ٢٠٠٥

(في مقر جمعية العاديات)

الرقم	التاريخ	الموضوع	المحاضرون
١	الأربعاء ١/٥	آثار مدينة قورش	عبد الله حجار
٢	الأربعاء ١/١٢	احتلال العراق وجهة نظر انتربولوجية	بروفسور جون بورنمن ت. د. محمد فؤاد
٤	الأربعاء ١/٢٦	الشرعية الدولية والقانون الدولي	د. محمود مرشحة
٥	الأربعاء ٢/٢	طريق الحج الحلبي في العصر المملوكي كما وصفه ابن جبير	د. أحمد فوزي الهيب
٦	الأربعاء ٢/٩	دور المرأة في المجتمع السوري القديم	بدري حجل
٧	الأربعاء ٢/١٦	أضواء على آثار منسية في ادلب	فايز قوصرة
٨	الأربعاء ٢/٢٣	ثلاث نساء من حلب	ناديا الغزي
٩	الأربعاء ٣/٢	قناة العاشق من سلمية إلى أفاميا	اسماعيل نوفل
١٠	الأربعاء ٣/٩	التراث الشفوي في حلب بين العلم والأدب	سمير طحان -تميم قاسمو- جمال طحان
١١	الأربعاء ٣/١٦	القصر الملكي في أوغاريت	أوليفييه كالو
١٢	الأربعاء ٣/٢٣	الحياة الاجتماعية في حلب في القرن العشرين	د. سهيل ملاذي -عبد الوهاب أوبري
١٣	الأربعاء ٣/٣٠	آخر مستجدات الحفريات في دورا أروبوس	بيير ليريش
١٤	الأربعاء ٤/٦	هجرة الأساطير الشرقية أسطورة الموت والبعث بين بابل وأثينا	د. سعد الدين كليب
١٥	الخميس٤/٧	النظام الجديد للاستثمار السياحي	فؤاد هلال
١٦	الأربعاء ٤/١٣	قلعة انطاكية وعلاقتها مع القلاع المجاورة	د. نديم شمسين
١٧	الأربعاء ٤/٢٠	التراث المسرحي في حلب	كريكوار كلش
١٨	الأربعاء ٤/٢٧	العين عبر العصور	د. سمير انطاكي
١٩	الأربعاء ٥/٤	نشأة الكتابة واختراع الأبجدية	د. محمد مصطفى
٢٠	الأربعاء ٥/١١	البادية السورية	سلطان محيسن
٢١	الأربعاء ٥/١٨	آخر المستجدات في حفريات أفاميا	جان بيير مالتي
٢٢	الأربعاء ٥/٢٥	قراءة في كتاب (لطفي الحفار)	سلمى الحفار الكزبري
٢٣	الأربعاء ٦/١	بروج السماء بين الحقيقة والخيال	محمد مجد الصاري
٢٤	الأربعاء ٦/٨	حلي ومجوهرات من إيبلا	عبدو مجز
٢٥	الأربعاء ٦/١٥	محمد علي باشا والدولة الحديثة	غريغوار مرشو
٢٦	الأربعاء ٦/٢٢	مئذنة الجامع الأموي في حلب	تميم قاسمو
٢٧	الأربعاء ٦/٢٩	سمعان العمودي وسمعان الشاب	جان لوك بيسكوب

برنامج الرحلات داخل القطر العربي السوري

للنصف الأول من لعام ٢٠٠٥

الرقم	النشاط	التاريخ	ملاحظات
١	الرصافة - الرقة - قلعة جعبر	٤/٨	يوم واحد
٢	السلمية وما حولها	٤/١٥	يوم واحد
٣	اللاذقية - جبلة - قلعة المرقب	٤/٢٢	يوم واحد
٤	قلعة سمعان - عين داره - كيمار	٥/٦	يوم واحد
٥	حماه - قصر بن وردان	٥/٢٠	يوم واحد
٦	مصياف - مشتى الحلو - صافيتا	٦/٣	يوم واحد
٧	معلولا	٦/٢٤	مبيت

برنامج الزيارات داخل مدينة حلب

للنصف الأول من عام٢٠٠٥

الرقم	المكان	التاريخ	الاجتماع	الساعة
١	المتحف	٣/٢٥	أمام المتحف	٩ صباحاً
٢	القلعة - حمام يلبغا - خان الشونة	٤/٧	أمام القلعة	٩ صباحاً
٣	حي الجديدة و الكنائس - جامع شرف	٤/٢٩	ساحة فرحات	٩ صباحاً
٤	باب النصر - جامع الدبانة جامع العثمانية - مصبنة الزنابيلي	٥/١٣	أمام باب النصر	٩ صباحاً
٥	باب قنسرين - جامع الكريمية المدرسة الأسدية - البيمارستان الأرغواني	٥/٢٧	امام باب القنسرين	٩ صباحاً
٦	باب الحديد - جامع بانقوسا بيت مامو - جامع الحدادين .	٦/١٠	أمام باب الحديد	٩ صباحاً
٧	أوج خان - جامع الزكي جامع قسطل حرامي - جامع الإبن	٦/١٧	أمام باب النصر	٩ صباحاً



تحيّة إلى العاديات

نقولا زيادة *

قبل ثمانين عامًا من أيامنا هذه، أي في سنة ١٩٢٥، قدّر لي أن أزور حلب للمرة الأولى. كانت محطة العودة التي بدأت في أنطاكية، بعد أن كنّا أنا ودرويش المقدادي، قد انتقلنا على الأقدام من صفد في شمال فلسطين إلى منطقة أنطاكية.

يومئذ تركَت حلبُ في نفسي أثرين، بالنسبة إلى مدن أخرى أعرفها، القدس وبيروت ودمشق، الأول فرادتها في أسواقها المسقوفة، والثاني هذه الآثار الإسلامية الأنيقة.

ثم مضت سنواتٌ كثيرة، ولم يُتَح لي أن أعود لزيارة حلب إلاّ سنة ١٩٥٢، كنّا أنا وثلاثة من تلامذتي أميركيين، في زيارة للجزيرة، أعادت الزيارة لي الأثر نفسه.

وفي سنة ١٩٥٣ دعاني الأديب الكبير سامي الكيالي، وكان مديرًا لدار الكتب الوطنية (البلدية) لإلقاء محاضرة في قاعتها. كانت المحاضرة حديثًا عن الحركة الوطنية في المغرب العربي. هذه الزيارة أتاحت لي التعرُّف إلى بعض أهل القلم في حلب. هذا أنا أتقدم تدريجيًا في التعرُّف على نواحي النشاط الحلبي.

كانت الجامعة الأمريكية في بيروت، وكنت قد انضممت إلى قسم التاريخ فيها سنة ١٩٤٩، قد منحت بعض المدارس الثانوية في لبنان وسورية والأردن امتيازًا بأن يُقبَلَ المُتفوّقون من طلاّبها في الجامعة الأمريكية بدون امتحان، ومن ثم فقد كانت الجامعة تنتدب كل سنة لجنة من أساتذتها لزيارة هذه المدارس ووضع تقرير عنها.

وكانت كلية حلب (Aleppo College) من بين المدارس التي تأهّلت لقبول طلاّبها في الجامعة الأمريكية وقد وقع عليّ الاختيار في سنة من السنوات لأكون

* شيخ المؤرّخين العرب في القرن العشرين.

عضوًا في اللجنة التي زارت الكلية. هنا بدأت معرفتي تتجه نحو المؤسسات العلمية في المدينة. وأذكر أنني دُعيت سنة ١٩٦٥ لأكون خطيب حفلة التخرُّج في كلية حلب.

وفي سنة ١٩٧٥، وكان قد أصبح لحلب جامعتها، بعد أن كانت كلية الهندسة التابعة للجامعة السورية (في دمشق) هي الكلية الجامعية الوحيدة في حلب منذ الاستقلال. وكان الذي وضع الحجر فوق الحجر لإتمام هذا العمل هو الدكتور أحمد يوسف الحسن، وقد كان قبل سنوات من تلامذة الكلية العربية في القدس حيث كنت أنا أحد أساتذتها، دعاني لإلقاء محاضرة، ويبدو أنها كانت ناجحة إذْ أن الكلمات التي سمعتها والتي كتبت عنها دلت على ذلك.

يبدو من هذا أن حلب كانت تقضمني لقمة لقمة، كما كنت أنا أقضمها كذلك لقمة لقمة، أتعرّف على المدينة تاريخيًا وجغرافيًا وأُعرّف على نشاطها صفحة صفحة، في التاريخ الحديث على الأقل. وأهم من هذا كان أهل المعرفة فيها يحتضنونني.

وكان أن قدر لي في نهاية المطاف أن أقع أسير جمعية العاديات برئاسة رئيسها الصياد الماهر الأستاذ محمد قجة. وأحسب أنني أستطيع أن أدّعي، وأفخر بذلك، بأنني قلّما سلمت من شباكه لندوة أو مؤتمر أو خطاب.

توالَت زياراتي لمدينة حلب، وتعددت محاضراتي على منابر جامعة حلب وجمعية العاديات ومعهد التراث وجمعية الشهباء. وأسعدني أن أشارك في هذا النشاط الثقافي الجم الذي عرفته حلب منذ العقود الثلاثة الأخيرة من قرننا الماضي، وأن أحاضر في ندوة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، وندوة عن الدولة العثمانية، وندوة عن ابن حزم الأندلسي، ثم ندوة حول بلاط سيف الدولة الحمداني، وندوة حول الحروب الصليبية، وأخيرًا ندوة عن لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي..

كانت ندوات مشهودة، ومازالت ذكراها تعطر النفوس في هذه المدينة العريقة، وبطبيعة الحال كان لجمعية العاديات بحلب بصماتٍ واضحة في كلّ ما ذكرت..

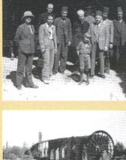
كنت دومًا أتمنى أن تتوج جمعية العاديات أعمالها العلمية الكثيرة والكبيرة، بمجلة تحمل اسمها، وكنت دومًا أسمع الوعد بأن المشروع على النار.

وأخيرًا نضج المشروع، وإذا بالبريد يحمل إليّ العدد الأول من مجلة "العاديات"، لست أستطيع أن أصف فرحي وسروري بذلك، لكنني يمكن أن أقول أنهما كانا مثل فرح صبي صغير وسروره إذا حصل على لعبة كان يتمنى أن تصل إلى يديه. هذا الفرح يرافقه فعل إيمان بالجمعية ورجاء من أهل القلم ممن يعرفون موضوعاتهم معرفة جيدة، أن يدفعوا إلى المجلة بمقالات في مستواها.. إلى الأمام جمعية العاديات..! ■

العاديّات

فصلية تُعنى بشؤون التراث والفكر تصدرها جمعية العاديّات











في الأعداد القادمة..

رسوم قصر ماري الجداريّة

فلسفة الجمال عند لسان الدين الخطيب

الأدعوبات والملاعبات في الأشعار الشعبيّة

الساعات الشمسيّة

عمارة الكنائس السوريّة

بيان انتخابي لكامل الغزّي

